

كورفا سود
أشرف أبو الخير
رواية
كتابي للنشر والتوزيع
CURVA SUD

كورفا سود

Curva Sud

أشرف أبو الخير



2015

أشرف أبو الخير
كورفا سود - Curva Sud - تجربة بيضاء
الطبعة الأولى: 2015
الإخراج الداخلى: سامح عبده

رقم الإيداع : 2015/14214
الترقيم الدولى: 4-65-5038-977-978

الناشر
كتابي للطباعة والنشر والتوزيع
تليفاكس: 27879791 02 002
E.mail: Kitaby@yahoo.com
11 شارع ابن الغنام - الظاهر - القاهرة
المدير العام : محمود فاروق



كورفا سود

Curva Sud

أشرف أبو الخير

الإهداء

إلى أبنائي (جاسمن وشام).....
عطر الياسمين و رمز المحبة.
الحب مهما كان مكلف يا عيال
هو اللي فاضل.. هو اللي باقي

بـــابـــا

[يقول كبار مشجعى الزمالك فى البلد]

* لو ابنى طلع أهلاوى .. هقتله.

(المنتج والممثل **سامى العدل**)

* لو الزملكوية خلصوا من البلد ومفضلش غير واحد هيكون.. أنا.

(الإعلامى القدير/ **عمرو أديب**)

* الأهلـي هــو (نجـم الشـباك) ولكــن هــل تسـتطيع أن تنكـر محبتــك لمحمــود المليجــي واســتيفان روســتي وعبدالفتــاح القصــري..

(الكاتب الصحفى/ **عمر طاهر**)

* حمـــرا.

(الكاتب الصحفى الكبير/ **إبراهيم عيسى**)

* إحنا الزمالك إحنا... واللا نسيتوا ؟؟!!

(جماهير الزمالك الغفيرة)

قبل صافرة البداية
«لحظات الإحماء»

آه يا تيشرت العمر يا أبيض

قد تكون قرأت هذه الجملة سابقاً، قد تكون تهكمت عليها وعلى من علقوها بمدرجات استاد الجونة في نوفمبر 2013، يوم مباراة نهائي كأس مصر بين الزمالك ووادي دجلة التي فاز فيها الزمالك بأول بطولة له (كأس مصر) منذ سنوات طويلة، قد تكون قرأت هذه الجملة العابرة ولم تتوقف عندها كثيراً، وقد تكون ممن انقبضت قلوبهم حال قراءتها، أو تكون ممن ذرفوا الدموع بمجرد قراءتها.

قد تكون في أي صورة أو هيئة، لكنك وأياً كانت خلفيتك لن تستطيع إنكار أن لافتة "آه يا تيشرت العمر الأبيض" قد تم تعليقها على ذلك المدرج لسبب هام.. وهام للغاية بالنسبة لمن يقف وراء تلك الجملة.

آه يا تيشرت العمر يا أبيض

نداء بليغ على ذلك الرداء الذي يقف وراءه الملايين عمراً كاملاً، نداء على القميص الذي يرتديه فريقك الذي تشجعه منذ أن كنت طفلاً، ذلك الرداء الذي تسعى لاقتنائه، مقتطعاً جزءاً من مصروفك، ملحاً على والديك،

باحثاً عن المكان الأرخص في كل المحال التي تعرفها، لتحصل على هذا الكنز الصغير.. قميص رياضي، ملون، ترتديه في المدرجات أو أثناء لعبك مع أقرانك بالشارع أو مشاهدتك للمباريات في أي مكان.. انه قميص يرتبط معك بذكريات كثيرة، هو قميص يمتص حبات عرقك وتمتصه مع الفرحة والغضب والحماس، فلا يمكن إلا أن يكون قميص العمر.. وهو نداء يرمز إلى لون، كما يرمز إلى ملخص حياتك، فأنت هنا تضع خلاصة الأمل والألم والمعاناة... الفرحة والحماس والاستمتاع... تضعهم في القميص الأبيض... قميص الزمالك.

عمرو حسين، كان هذا هو اسمه، شاب في مقتبل العمر، ذهب مع عدد كبير من الأصدقاء واخوة الدم، ليعترض على سياسات إدارة ناديه المحبب، حيث كان يؤمن بأن "الكورة للجماهير".. كان يرى أن مجلس الإدارة يقفز بقارب النادي في الهاوية، كان يرى كذلك أن من حقه أن يرفع صوته اعتراضاً على ما يجري بين جنبات النادي... وفي اليوم الموعود، الثالث والعشرين من سبتمبر عام 2013، ذهب عمرو ليقف أمام البوابة رقم (7) في ناديه المحبب، ليهتف ضد هؤلاء البشر الذين يراهم منتفعين من مناصبهم، فنالته رصاصة قضت على حياته، وأغرقت "تيشرت العمر الأبيض" بدمائه الحمراء .

مات عمرو، كما مات من قبله أكثر من سبعين شاباً في مدرجات استاد بورسعيد، كما مات من قبلهم- على أسفلت الشوارع والميادين- عدد ليس بالقليل من الشباب الطموح، الحالم بتحسين الأوضاع والخروج من واقعهم البائس إلى عالم أكثر رحابة... مات عمرو لأن أحداً لم يفهمه، فعلَق رفاق رحلته تلك اللافتة تخليداً لذكراه، مات عمرو لأنهم يتهمونه بالبلطجة والتخريب ومعاداة الوطن، مات لأن لديه قانونه الخاص الذي لا يتوافق مع قانون الآخر- أي آخر- يعيش على هذه الأرض.. فقانون عمرو هو الحلم والرغبة في التغيير والقدرة على كليهما، وهو ما لا يتوافق مع معتقداتهم وطلباتهم بل وأوامرهم.

ما بين يديك الآن من صفحات، رواية، تدور أحداثها قبل اندلاع ثورة يناير 2011، وهي ليست عملاً تاريخياً ولا ملحمياً، وقد اتخذت فيها من بعض الأماكن والأحداث الرئيسية والأسماء والتواريخ ما يمكن الاعتماد عليه في بنائها الدرامي الخيالي، وأؤكد أن أي تشابه قد تجده بين واقع أي شخص قابلته أو تعرفه في حياتك وبين ما ستقرأه من أحداث هو محض صدفة غير مقصودة على الإطلاق.

ما بين يديك الآن من صفحات، تحتفي بجماهير كرة القدم العريضة حول العالم، تحتفي بإيمانهم وحبهم- الذي قد تراه مبالغاً فيه- للفرق التي يشجعونها، وهي صفحات

لا تحكي عن عمرو حسين، بل تحكي عما يمكن أن يكون ألف عمرو حسين، أزعم أنك من خلالها ستعرف لماذا مات عمرو وغيره من الشباب!! ولماذا هم مصرون على المضي قدما في طريقهم الشائك المكروه من الجميع، وحتى إن كنت كارهاً لعمرو حسين وممارساته، فأعتقد أن الصفحات التالية ستجعلك- على أقل تقدير- تعي معنى "آه يا تيشرت العمر يا أبيض".



فقيد مشجعي الزمالك/ عمرو حسين

الشــوط الأول

أول رُبع ساعة
«جس النبض»

مقهى "المعلم بيومي":

- رُص قَص يا "مهدي".

أقولها هاتفاً وأنا أستعد للجلوس على ذلك الكرسى الخشبي المتراخي، المتهالك، الذى قد ينذرك بكارثة إذا ما جلست عليه للحظة، لكنني أجلس بثقة عمياء، اكتسبتها بحكم التعود والمودة القائمة بينى وبين كل كراسى هذا المقهى الرحب، جلست على كل تلك الكراسي ولم أقع يوماً، فألفت وأحببت هذا المقهى الذى يرقد شامخاً منذ سنوات فى قلب هذا الحى الفقير النابض بالحياة (ميت عقبة)، بالقرب من (الراجل المشهور بتاع السمك).

بـرودة غير معتادة تلف المكان بسبب الطقس البارد، رغم أن الساعة لم تصل إلى السابعة مساءً بعد، كنت أنفخ في كفيَ بلا انقطاع، وأنتظر شيشتي بشغفٍ معتاد، سمعت "مهدي" القهوجي ينادي على حلبة بالحليب فعرفت أن "ناصر" قد دخل المقهى، فقد تركني قبل دقائق وذهب ليقضي حاجته في مقهى أحدث من مقهانا ورائحة (مبولته) قابلة للاحتمال إذا قارنتها برائحة (مبولتنا).

- هو انت مش هتبطل الحلبة بالحليب دي بقى؟؟ ريحة البِي بِي بتبقى زي الزفت!!

- خليك في حالك يالا انت.. ده أكتر مشروب بيدفي في العالم.

جلس "ناصر" بجواري ماداً قدميه على كرسي خشبي أمامه، ضاغطاً بقوة على (آيس كاب) رخيص يرتديه دوماً في أيام الشتاء الباردة، يجعل شكله كوميدياً للغاية، وتحدثنا كثيراً عما رأيناه في التمرين قبل دقائق وعن المستوى المتذبذب للفريق، ثم باغتني بسؤاله إن كنت أستطيع مساعدته في البحث عن عمل قريب من (المعادي) براتب ثابت محترم!! فقد ملَ هو تماماً من وظيفته الحالية ويرغب في الحصول على وظيفة مستقرة حتى وإن كانت فرد أمن.. فكرت في "هشام" صديقنا المشترك أول ما فكرت، فوالده يمتلك مصنعاً كبيراً بـ(السادس من أكتوبر) وقد يكون في حاجة إلى شخص في أمانة ورجولة "ناصر"، وبحت بأفكاري لـ رفيقي ووعدته أن أتكلم مع "هشام" فور عودتنا إلى المعادي، وكعادة "ناصر" كان أكثر كسلاً من أن يجادل ويُناقش، فأنهى حوارنا بأنه يرغب في عمل بالمعادي، أو في منطقة قريبة من المعادي.. هو لن يذهب إلى السادس من أكتوبر بشكل يومي تحت أي مسمى، وكعادتي معه سببته بألفاظ نابية مؤكداً أن المستقبل في (السادس من أكتوبر)، وأن سوق العمل في المعادي ضيق للغاية، ولم أنس أن أُؤكد وجهة نظري من خلال اختيار مجلس إدارة الزمالك للسادس من أكتوبر لبناء فرع وملعب جديدين للنادي هناك.

غالباً ما يحتل الكرسى الذى أجلس عليه في مقهى المعلم بيومي ركناً بعينه، يسمح لى بأن أكشف المكان من كافة جوانبه، ظهري للحائط لأشعر بالمزيد من الأمان والثقة، وجهي للشارع، لأتابع ما يجرى داخل المقهى وخارجه، وفى الغالب أطلب "رص القص" يومياً.. بنفس الإيقاع.. بنفس الحسم.. فى نفس الوقت.. لذات الرجل.. مع اختلاف درجة الحماس طبقا لليوم، تلك الدرجة التي تتحدد بالقطع طبقا لحالتي النفسية بعد خروجي من النادي، والتي تتحدد بدورها طبقا لما أشاهده من خطط تنفذ على أرضية الملعب الشامخ العريق الموجود فى نفس مكانه منذ زمن- ملعب حلمى زامورا- الذى يقع جغرافياً فى قلب نادي الزمالك.. نادي الأمراء.. النادي الملكى كما يُطلق عليه محبوه ومريدوه فى كافة أرجاء الأرض.. النادي الذى بدأ (مختلطاً) نسبة إلى أول أسمائه، وصار بمرور الأعوام يجمع بين جدرانه خليطاً متميزاً من المواهب اللامعة.. نادي القرن الحقيقى (بالأرقام والإحصائيات لا بأبواق الإعلام المخدرة).. النادي الذى أنشأه الخواجات، ثم أضفى المصريون عليه صفاتهم وطباعهم وأخلاقهم، فأصبح نادي المبادئ الراسخة.. النادي الذى اقترب فى تلك الفترة- وقت جلست لأنادي "مهدي"- من عامه المائة وهو شاب، فتي، كما كان دوماً... النادي الذى أُتهم رجاله دوماً بالعصبية، ولم يتم بعد اتهام أحدهم بالسرقة.. النادي الذى أُتهم لاعبوه دوماً بالتراخي ولم يتم بعد اتهام أحدهم بانعدام الموهبة.

كنت مستمرًا في تجاذب أطراف الحديث الكروي مع "ناصر" حتى فوجئنا بكل من بالمقهى يهرعون نحو مصدر ضجيج خارج المقهى مباشرة، لنكتشف أن أحد الأشخاص يتعارك مع "أحمد" العامل في محل الكشري القريب، بعد ان استفزه الأخير بسبه للزمالك.. وهو مشهد يتكرر كثيراً في (ميت عقبة)، أهلاوي غبي يحاول استفزاز زملكاوي من أبناء المنطقة بالسخرية من الزمالك، فتنشب معركة متوقعة، ونتيجتها محسومة بسبب كثرة عدد الزملكاوية في المنطقة.. استمتعت لما رأيت الشاب الزملكاوي يصفع "أحمد" على وجهه ويركله بغلٍ وقسوة وسط وابل من السباب.. غبي ويستحق!!

- أيوه يا شيماء.

أرد بعصبية وحزم كالمعتاد على "شيماء".. تلك الفتاة التي تقبع فى حياتي كجدارية عملاقة يصعب زحزحتها، الفتاة التي أسعى جاهداً للتخلص منها لكنني لم أستطع إطلاقاً، الفتاة التي تهاتفني دوماً فى مثل ذلك الوقت... لتسألنى ذات السؤال والذى يبدو محفورا على لسانها:

- انت فين يا بيبى؟.

لأرد عليها ذات الرد المعتاد والذى حُفر فعلا على لسانى:

- فى القهوة.

عصبيتي تجاه "شيماء" مبررة تماماً، فهي تعلم تمام العلم أنني أجلس على هذا المقهى تحديدا بشكل

شبه يومـي منـذ أكثـر منـذ سـنوات لا أذكـر عددهـا فـى ذات الوقــت... فــى نفــس الركـــن... أدخـــن نفـــس نـــوع المعســـل الـردىء (قـص البـرج) والـذي يقـول النـاس إنـه مصنـوع مـن عجينـة الحشـرات والفئـران وبعـض الأخشـاب، وإن كنـت أراه دليـل الإنسـانية فـي هـذا العالـم، فالكوكـب بـلا (قـص البـرج) سـيكون أكثـر بؤسـاً وبشـاعة، أنـا شـخص أفعـل مـا أحبـه ويحلو لـي وقتمـا أريـد، أحـب جلسـتي فـي المقهـى التـي أتحـدث فيهـا مـع رفـاق المقهـى، وهـم مجموعـة مـن الأصدقـاء الذيـن اسـتطعت بنـاء أواصـر علاقـة كرويـة الطابـع بهـم، وذلـك بحكم كثـرة تلاقـى وجوهنـا أثنـاء ترددنـا جميعـا علـى المقهـى، ولـذا فأنـا لا أجـد أي مبـرر لاتصالهـا المسـتمر بـي فـي مثـل هـذا التوقيـت لتحصـل علـى معلومـات تعلـم بهـا مسـبقاً!!.

غالبـاً مـا أخـرج مـن النـادي خائـر القـوى مـن جـراء الحمـاس وتشـجيعى للاعبيـن أثنـاء المـران، لكننـي لـم أجـرؤ يومـا علـى تفويـت جلسـة المقهـى، هـي كالفاصـل بيـن شـوطين فـى حياتـي، ألتقـط فيهـا الأنفـاس، أخـرج مـن النـادي وأسـير وحيـدا عشـرات الأمتـار فـى طريـق حفظتـه كظهـر يـدي، أعبـر نفقـاً، أجـاور حائطـاً، وأظـل أمشـي وأمشـي.. ثـم أرى (الراجـل المشـهور بتـاع السـمك) فيطمئـن قلبـي وأعـرف أننـي اقتربـت مـن هدفـي.

وفـى المقهـى أجلـس وحيـداً أحيانـاً، ومـع آخريـن فـى معظـم الأحيـان وأتحـدث دومـاً فـى ذلـك الموضـوع المتجـدد والمحبـب إلـى النفـس، الموضـوع الـذي لا يملـه أحـد منـا على الاطـلاق، "نـادي الزمالـك" وأحوالـه... مجالـس إدارتـه ولاعبيـه، صفقاتـه وأخبـاره التـي تتناثـر حولنـا فـى كل مـكان، نتبـادل وجهـات النظـر ونتقاسـم سـاعات الحـزن ولحظـات الفـرح، نتحـاور، نتجـادل، ننفعـل علـى بعضنـا البعـض أحيانـاً بسـبب الحالـة المترديـة التـي يصـل إليهـا الفريـق الأول لكـرة القـدم أحيانـاً، لكننـا نظـل دومـاً معـارف وأصدقـاء.. رغـم أن أعمارنـا متفاوتـة إلـى حـد بعيـد، فأنـا كبعضهـم اجتـاز العشـرة الثانيـة مـن سـني عمـره بقليـل، وبعضهـم أقـل مـن العشـرين بشـهور معـدودة، ومنهـم مـن تخطـى الخمسـين، واقتـرب آخـرون منهـم مـن القبـر اقترابـه مـن بـاب المقهـى.

الأوضـاع فـي البـلاد كانـت أكثـر مـن راكـدة، لا جديـد فـي أي مجـال، لـذا فنحـن نلتقـي فـي (ميـت عقبـة) لا لنتحـدث فى السياسـة، لا لنتحـدث فـى غـلاء الأسـعار، لا لنتحـدث عـن ثـورة جرائـد المعارضـة ضـد النظـام، لا نتحـدث عـن أى موضـوع لا علاقـة لـه بالزمالـك، فنحـن هنـا فـي هـذا المـكان لا نهتـم بسـواه، الزمالـك فقـط هـو مـا نسـعى إليـه، هـو مـا ننشـده.

وتأتينـى مكالمـة "شـيماء" لتقطـع تسلسـل أفـكاري وتدفقهـا، دومـاً مـا تأتينـى وتقـف كلقمـة متحجـرة فـى

حلقـى، لكـم أكـره فـي تلـك الفتـاة ذلـك الإلحـاح والإصـرار علـى ملاحقتـى، تهاتفنـى لتطلـب لا شـىء، وأرد عليهـا مقدمـا هـذا اللاشـىء، دعوتهـا مـراراً لأن تكـف عـن ذلـك الإلحـاح.. دعـوات ومحـاولات بـاءت بالفشـل، محـاولات تزيدهـا إصـرارا علـى إصـرار، وتزيـد مـن عمـق المسـافات بيننـا أكثـر فأكثـر.

أتـى "مهـدي" القهوجـي متعجـل الخطـا كعادتـه فـى مثـل هـذا الوقـت مـن اليـوم، هـو يتعجـل خطواتـه مرغمـاً، فدائمـاً مـا يتواجـد فـى المقهـى فـى مثـل هـذا الوقـت مـن المسـاء عـددا لابـأس بـه مـن الزبائـن، انتهَـي معظمهـم مـن العمـل، وبعضهـم مثلـي أتـى لتـوه مـن النـادي بعـد متابعـة التدريـب، ليرتمـي الجميـع فـي أحضـان المقهـى، الـكل لـه طلـب، الـكل لـه حاجـة، وعلـى "مهـدي" التنفيـذ بسـرعة وبدقـة، لـذا فعليـه الإسـراع... وصحيـح أن هنـاك مـن يعاونـه فـى خدمـة الزبائـن، لكنـه كان دومـاً الشـخص الأهـم والأعـرق والأقـدم، يأتـي "مهـدي" مبتسـماً حامـلاً بيمنـاه مجموعـة مـن قطـع الفحـم المشـتعلة ترقـد علـى دائـرة معدنيـة صغيـرة بجـوار حجريـن فخارييـن، وبيـده اليسـرى يحمـل شيشـتى، ليلقيهـا أمامـي ويبـدأ فـى "رَص" الحجـر الأول ممارسـاً القليـل مـن النفـخ والشـفط والـذى منـه، حتـى يتأكـد مـن أن الشيشـة غيـر مكتومـة وأنـه لا مشـاكل بهـا، سـعل سـعلة خفيفـة، ثـم بصـق علـى الأرض بعيـداً عنـى كعادتـه دومـاً وبوجـه صبـوح ألقـى التحيـة المعتـادة:

- مساء الفل يا كابتن "مصطفى".. مساء العسل يا "ناصر" يا عسل

رددت عليه بابتسامة واسعة:

- مساء الفل يا مهدي، هاتلي بيبسي بس يكون سئعان
- وعندك واحد بيبس تلاجة لكابتن مصطفااااا.

هكذا هتف للعامل الذى يساعده فى خدمة زبائن المقهى والذى لا أعرفه نظرا لحداثة انضمامه لفريق العمل بالقهوة.. كان "مهدي" من أهم الشخصيات فى حياتي ومن أكثرهم تأثيراً فيها.. فهو من القلائل الذين يشعروننى بقيمتى فى هذا العالم، لكنني لا أحبه لهذا السبب فقط، فأنا أيضاً أعشق تفانيه فى عمله، أعشق رص الحجر من يديه الكريمتين مثلما أعشق البسلة بالجزر من يد أمي- رحمها الله- ولهذا السبب قد أشرب ما يزيد عن ثمانية أحجار من المعسل فى جلسة واحدة، وقد لا أطلب شيشتى على الإطلاق فى حالة غيابه عن المقهى لأى سبب.

كان رفيق المقهى "ناصر" يعرف الكثير عني وعن علاقتي بشيماء، فظهرت على وجهه ابتسامة ساخرة بعد أن أغلقت الهاتف في وجهها ثم بادرني:

- ماتسيبها يابني لو مش طايق ديك أبوها كدة!!
- اتلهي.

فعلـى الرغـم مـن معرفـة "ناصـر" للكثيـر مـن التفاصيـل عـن "شـيماء"، ورغـم قُربـه الشـديد منـي، إلا أنـه لا يفهـم حقـاً ماهيـة علاقتـي بهـا، فمشـاعري تجاههـا مرتبكـة يكسـوها الإشـفاق عليهـا، وعجـزي عـن تركهـا، وأنـا أبـداً لـن أسـتطيع شـرح أبعـاد علاقتـي بهـا لـ"ناصـر" أو لغيـره، حتـى وإن رغبـت فـي ذلك.

ورغـم كراهيـة "شـيماء" الواضحـة لحالـة العشـق التـي أعيشـها مـع الزمالـك إلا أنهـا تحـاول جاهـدة التغاضـي عـن هـذا الجانـب وتحـب مـا تبقـى منـي.. تحـب نفـس نـوع الموسـيقى المفضلـة لـي "الترانسـات"... ذلـك اللـون الموسـيقى الـذى يجمـع بيـن الصخـب والهـدوء، وتتدخـل فيـه التكنولوجيا بقـوة لتحولـه إلـى كتـل صخريـة وعـرة علـى صفحـة الموسـيقى الهادئـة، أرى الترانسـات كمـرآة لحياتـي، صاخبـة رغـم مـا بهـا مـن تـوازن، متدفقـة بـلا نظـام، قليلـة التفاصيـل لكنهـا ذات طعـم مميـز، الترانسـات هـي "موسـيقى الـروح" بالنسـبة إلـيَّ ولـن يغيـر مـن رأيـي هـذا أى شـخص، كذلـك تتمنـى "شـيماء" أيضـا إنجـاب ذات البنـت بـذات الاسـم "نيرميـن" وأنـا فـى الحقيقـة لا أعطيهـا أى مبـرر لحـب الاسـم، أنـا أعلـم أن "نيرميـن" كان الإسـم الـذى تحملـه أول فتـاة أحببتهـا وقـت كنـت مراهقـاً، أمـا هـي فـلا تملـك أى مبـرر فـى الواقـع، كانـت "شـيماء" تحـاول طـوال الوقـت أن تثبـت لـي أنهـا تغرقنـي بدعمهـا لآرائـي فـى الأوجـه الحياتيـة المختلفـة...

فقـط هـي تكـره فـيَ حبـي للزمالـك (رغـم إذعانهـا لتشـجيعه بسـببي).. أى أنهـا تكـره أكثـر مـن نصـف روحـي وتكتفـي بحـب مـا تبقـى منهـا.

لطالمـا تأملـت وجـه "مهـدي" القهوجـي بعمـق، كنـت أحـب ملامحـه الصعيديـة المنحوتـة، لا أحـب شـيئاً فيـه أكثـر مـن ابتسـامته، ولا يضايقنـي فـي ابتسـامته أكثـر مـن اصفـرار أسـنانه وانعـدام تناسـقها كنتيجـة متوقعـة للإهمـال والتدخيـن والكثيـر مـن الحشـيش الـردئ الـذي طالمـا أتيـت لـه بالبعـض منـه رغـم عـدم تدخينـي لـه علـى الإطـلاق.

فـي (ميـت عقبـة)، ينتشـر تجـار المخـدرات كمـا ينتشـر المهندسـين فـي مواقـع التشـييد، معروفـون بالاسـم، يختفـي بعضهـم لأسـابيع وشـهور، وربمـا لسـنوات، فنعلـم جميعـاً أنهـم كانـوا فـي زيـارة معتـادة للقسـم/ للمديريـة/ للسـجن.. والجميـل فـي هـذه البقعـة العامـرة مـن أرض مصـر، أنـه لا اختـلاف فـي طريقـة المعاملـة بيـن النـاس وبعضهـا، فالطبـاخ يتـم معاملتـه كالبائـع السـريح، كرسـام الكاريكاتيـر، كالطبيـب وكتاجـر المخـدرات... يعيبهـا فقـط أن الفقـر يلـف كافـة تفاصيلهـا، حتـى فـي الحشـيش، فلـن تقابـل أبـداً أحـد سـكان (ميـت عقبـة) وهـو يدخـن سـيجارة حشـيش حقيقيـة، فالحشـيش هنـا (شـعبي) مخلـوط وتالـف وليـس لـه أي علاقـة بالحشـيش الحقيقـي، الـكل يعـرف تلـك الحقيقـة، ويتعاملـون

معها ببساطة، هم كذلك يعرفون بعضهم بعضاً وتتداخل مشاكلهم وظروفهم بصورة مدهشة، وهذا ما أحبه حقاً في (ميت عقبة) وأهلها، فهم يفيدون بعضهم، يستفيدون من بعضهم، يحترمون بعضهم للغاية، وتتداخل ظروفهم وتتشابك بشدة.

دوماً ما يكون المقهى هو المسرح الذي تدور داخله قصص وحكايات الجميع، وبطبيعة الحال، يكون القهوجي هو خزانة الأسرار، متعمداً حين يسترق السمع، أو غير متعمد حين تخترق الأسرار آذانه أثناء تجواله في المقهى.

لهذا فإن "مهدي" يعرفنا ويعرف عنا المعلومات الأساسية، العمر التقريبى، أين نعمل، أين نسكن - فمنا من لا يسكن فى (ميت عقبة)- بل يعلم أيضا كيف نحب مشروباتنا، وقد علمتني الأيام أنه لا يوجد ما يمكن احتساؤه داخل مقهى كهذا في (ميت عقبة) إلا أي شئ مغلق، فقانون المقاهي المصرية معروف وواضح، الزبون يأخذ أحد شيئين: الجودة أو السعر المنخفض، ومقاهي (ميت عقبة) مثلها مثل معظم مقاهي المناطق الشعبية، اختارت أن تقدم لنا أسعاراً منخفضة على حساب الجودة، فإن قررت النزول إلى هناك بإرادتك، فلا تغامر بصحتك طالباً شاي/ قهوة/ سحلب/ينسون، فقط قم بطلب أي شئ مغلق... أرجوك.

حصـل "مهـدي" علـى الإعداديـة فـي نفـس العـام الـذي حصلـت أنـا فيـه علـى الابتدائيـة، لكنـه ابـن (ميـت عقبـة)، شـبَ ليجـد نفسـه فـي أسـرة كبيـرة فقيـرة، الأب عامـل باليوميـة، والأم ربـة منـزل لا حـول لهـا ولا قـوة، وضغـوط الحيـاة أكبـر مـن أن يحتملهـا الأب منفـرداً، فانضـم إلـى طاقـم العامليـن بهـذا المقهـى ليتسـلم أول راتـب لـه يـوم تسـلمه شـهادة الإعداديـة، التـي كانـت شـهادته الأخيـرة تعليميـاً، ومـن يومهـا لـم ينـل أي شـهادة إلا شـهادات زبائـن المقهـى التـي تشـيد بحُسـن أخلاقـه واجتهـاده فـي العمـل، وحيـن اقتـرب مـن عامـه العشـرين اسـتطاع أن يجـد لنفسـه شـقة صغيـرة في "ميـت عقبـة" يؤجرهـا لنفسـه وعروسـه التـي تزوجهـا بعـد أن شَـهِدَ لهـا أهالـي الحـي باسـتقامة الأخـلاق رغـم أن والدهـا، كمـا حكـى لـي مهـدي بنفسـه، كان يقضـي عقوبـه السـجن فـي قضيـة مخـدرات، فـكان لهـا الـزوج والأب والأخ والصديـق، إلـى أن تكللـت جهودهمـا فـي الفـراش بعـد عـام ونصـف بابنتهمـا الوحيـدة "شـهد" والتـي أرى لمعـة غيـر عاديـة حيـن ينطـق أي شـخص باسـمها أمامـه، ولا أعتقـد أن هنـاك مـن يحـب ابنتـه مثلمـا يفعـل "أبـو شـهد".. كمـا أنـه يرفـض فـي ذات الوقـت أن (يخاويهـا) نظـراً لحالتـه الماديـة المؤسـفة، فيوميتـه ــــ وطبقـاً لتعبيـره ــــ لا تكفـي إلا لسـيجارة المـزاج وبعـض الفتـات، ولـن تتحمـل ميزانيتـه مصاريـف طفـل جديـد إلـى أن يقضـي الـرب الإلـه بـأي تجديـد فـي مسـار حياتـه.

يشـارك "مهـدي" بالقطـع زبائـن المقهـى حـب الزمالـك وتشـجيعه، يدعـو للفريـق كثيـراً، ويدعـو لنـا وللزمالـك بحمـاس شـديد حيـن يعلـم أننـا سـنذهب لمبـاراة هنـا أو هنـاك.. فطبيعـة عملـه تتطلـب بالقطـع أن يتواجـد فـى المقهـى دومـا، لاسـيما فـى أوقـات مباريـات الزمالـك، وقـد حكـى لـي مـراراً أنه يتمنـى أن يحظـى بفرصـة الذهـاب للاسـتاد، فهـو حلـم، رغـم بسـاطته، إلا أنـه لـم يتمكـن مـن تحقيقـه علـى الإطـلاق طـوال هـذه السـنوات، فهـو شـخص بـلا جـدول إجـازات، وتغيبـه عـن العمـل يعنـي ببسـاطة عـدم حصولـه علـى اليوميـة، أو بمعنـى آخـر عـدم حصولـه علـى عشـاء الليلـة وإفطـار الغـد، وبالتالـي كان يعمـل قـدر المسـتطاع علـى أن يتواجـد بالمقهـى سـبعة أيـام أسـبوعياً، ولأطـول فتـرة ممكنـة.

ومـن ناحيتـي فقـد فكـرت أكثـر مـن مـرة فـي أن أصطحبـه إلـى الاسـتاد، وأن أدفـع لـه اليوميـة، لكننـي وكلمـا اقتربـت منـه أكثـر، كلمـا اختبـرت عـزة نفسـه أكثـر، فأتراجـع عـن تفكيـري فـي ذلـك حتـى لا يفهمنـي بصـورة خاطئـة، ولكـي أظـل محتفظـاً بعلاقتنـا المتينـة، ولذلـك كنـت أعوضـه بـأن أكلمـه دائمـاً فـي الهاتـف أثنـاء جلوسـي فـي المدرجـات لكـي أنقـل لـه الأجـواء الحماسـية للجماهيـر قبـل المبـاراة، وهـي عـادة حافظـت عليهـا دومـاً، فقربتنـا مـن بعضنـا كثيـراً.

يحبني هو بحق، أعلم هذا يقيناً، فأنا أعامله باحترام يستحقه، وبسخاء لا يطلبه- فهو عزيز النفس إلى حد بعيد- وبالقطع كنت أنا ممن لا يبقون حساباً على النوتة أبداً، وهو ما يزيد من احترامه لي، ورغم مشاغله وظروف حياته الصعبة بكل تأكيد والتي يمكنك تخمينها من شكله الخارجي العام، فإن "مهدي" لا يشغله عن الزمالك شيء، يبدو دائما متفائلا بنتيجة المباراة القادمة، ويجزم دوماً بيقين أحسده عليه أن الزمالك سينتصر بلا شك إن قمنا نحن بواجبنا كجماهير، لذا فلا يفوته على الدوام أن يوصينا بالهتاف للاعبين أو بتوجيه النصح للمدير الفني بأن يلعب برأسي حربة بدلا من واحد كي نضمن المباراة (بدري بدري)، أو يوصينا أن نصرخ فيه بأهمية تأمين خط الدفاع بدقة أكبر، حيث أن "مهدي" يرى مثلنا جميعاً أن خط الدفاع هو المشكلة الأكبر في الفريق منذ سنوات.. وهذا طبعا بافتراض أن أصواتنا تصل إلى المدير الفني.. كثيراً ما كنت أتذكر "مهدي" وعشقه الجارف للزمالك وأنا أتقافز في المدرجات، كثيراً ما كنت أتذكر وجهه الأسمر الصبوح، وشعره الغارق في مثبت الشعر الرخيص، والذي يمكنك الجزم بأنه- أي شعره- لن يستطيع الصمود على فروة رأسه لأكثر من عامين بسبب هذا المثبت اللعين، ولكن "مهدي" يرى أن المثبت برئ تماما من تهمة إسقاط الشعر، وأن (الغم) سيكون هو المسئول بالتأكيد، وأتخيله سعيداً في بعض اللحظات بعد إحراز هدف ما، وأكاد أبكي

عنـد تخيلـه مصدوماً مذهـولا بعـد احتضـان مرمانـا لكـرة مـن أحـد المنافسـين، وممـا لاشـك فيـه علـى الإطـلاق أن "مهـدي"- الزملـكاوي منـذ أن كان عمـره خمـس سـنوات- يؤمـن بالزمالـك مثلنـا جميعـا، يبكـى ويصـرخ ويتحمـس وينفعـل ويسـب مثلنـا جميعـاً ولهـذا لـن تسـتطيع أن تنكـر علـى "مهـدي" زملكويتـه.. لـن تنكـر عليـه عشـقه الجـارف للزمالـك.. أبـداً لـن تسـتطيع.

أتذكـر جيـداً أنـه وبمجـرد نـداء "مهـدي" علـى البيبسـي، وأثنـاء رص الحجـر، اسـتأذن مـن "ناصـر" بـأدب، وطلـب أن يتحـدث معـي لدقائـق علـى انفـراد، قمـت مـن علـى مقعـدي مسـتأذناً "ناصـر" وخرجنـا لنقـف علـى بعـد خطـوات مـن المقهـى... خطواتـه كانـت قلقـة علـى غيـر العـادة، وكنـت متوجسـاً بشـدة.

أزقة ميت عقبة:

نفـس القميـص الكاروهـات الـذي بـدأ فـي الاهتـراء منـذ شـهور، نفـس البنطلـون الجينـز الرمـادي الـذي يئـس منـه "مجـدي" ملـك (الرفـا) بالمنطقـة، نفـس الحـذاء، نفـس النظـارة، نفـس اصفـرار الأسـنان... نفـس الرائحـة العطنـة التـي تلـف حياتـه... نفـس الزوجـة، نفـس الابنـة، نفـس الشـقة الخانقـة التـي لـم يتغيـر فيهـا شـيئ منـذ أعدَهـا لكـي تكـون عـش الزوجيـة قبـل تسـعة سّـنوات وأكثـر... يالهـا مـن حيـاة غايـة فـي الملـل.

لكـن "مهـدي" لـم يكـن ملـولاً بطبعـه، معاملتـه اليوميـة مـع الزبائـن وأمزجـة الزبائـن جعلـت منـه شـخصاً أكثـر تفهمـاً وأكسـبته سـعة صـدر كبيـرة للغايـة، كان راضيـاً، مرضيـاً بحـق، لـم يشـتك لأحـد إلا فـي مناسـبات نـادرة فعـلاً، لـم يرفـع صوتـه يومـاً علـى أحـد والديـه أو أخوتـه، لـم يحـاول يومـاً مـد يـده علـى "أم شـهد"، فهـي تخدمـه وتسـاعده وتُسـعده بحـق، ولا يشـعر أنـه رجـل المنـزل إلا فـي جوارهمـا "شـهد وأمهـا"، مـا أسـعد اللحظـات التـي تأتيـه فيهـا "شـهد" بمعضلـة حسـابية ما لـم تسـتطع التعامـل معهـا فـي المدرسـة، فيسـاعدها بخبرتـه الطويلـة فـي مجـال التعليـم - حيـث حصـل علـى الإعداديـة فـي غابـر الأزمـان-، ومـا أسـعد اللحظـات التـي يجلـس فيهـا علـى الأريكـة الصلبـة الوحيـدة بالمنـزل بجـوار" أم شـهد" ليشـاهدا سـوياً فيلمـاً عربيـاً قديمـاً كان أو حديثـاً!!، يـأكلان طعامهمـا الفقيـر بـلا حـزن أو غضـب، ويلقـي كلاً منهمـا داخـل الآخـر، الحـب والتقديـر والمـودة... والشـهد.

كان "مهـدي" نموذجـاً للشـخص الـدؤوب والمتفانـي، هـو مؤمـن تمامـاً أن اللـه اختـار لـه أن يُولَـد ويعيـش حياتـه كلهـا بـ(ميـت عقبـة) لسـبب وجيـه لا يعلمـه إلا هـو، ويوقـن بأنـه وإن كان ولـد علـى بُعـد كيلومتـر واحـد فقط في (المهندسـين) لـكان الآن شـماماً أو نصابـاً أو علـى الأقـل (راكـب عربيـة مـن عـرق أمـه)... فاللـه يعلـم شـخصيته جيـداً، ولـه بـكل تأكيـد حكمـة فـي أن خَلَقَـهُ فقيـراً، كان يؤمـن أن اللـه يكتـب الأفضـل

لعباده على الدوام.. وكان أكثر ما يريحه في المقارنة بين (ميت عقبة) والمهندسين أنه لو كان وُلد هناك فإن فرصة إنجابه لـ"شهد" ستكون ضئيلة... هل هناك "شهد" في المهندسين؟؟
كيف سيكون شكل العالم بلا "شهد"؟
وهل كان سيتمكن من تحمل الحياة ومقالبها وتقلباتها بدون "شهد"؟

"أبو شهد".. هكذا يناديه معظم الناس، فمنذ أن كان شاباً يافعاً كان يتمنى من الله أن يرزقه ابنة جميلة، هادئة، مطيعة، تُمشط له شعره، وتلمع حذاءه، وتطبخ له ولأمها يوماً... وتساندهما في شيخوختهما، ما أحلى خلفة البنات!!

وهو يرى أن الله يحبه لأنه رزقه بما طلب، فجاءت "شهد" الجميلة الهادئة، التي تُمشط له شعره يومياً قبل نزوله المقهى، وتُلمع له الحذاء، وقريباً جداً ستبدأ في مساعدة أمها بالمطبخ... إنه رجل سعيد، ويشكر ربه في كل لحظة، فبيته كما تمنى على الدوام... هادئ، منظم، وزوجته تحترمه وتبجله، وهو يعاملها باحترام وبسخاء (على قدر المتاح) فلا يخفي عنها قرشاً إلا قروش الحشيش التي تعلم هي بها، وتصبر على ما ابتلى الله زوجها به، لأنها (واعية) وفاهمة أن الرجال لهم (أمزجة) والراجل من غير

كيـف مالـوش عـازة، كمـا إنهـا تحمـد ربهـا ليـل نهار علـى أن مزاجـه ليـس فـي النسـوان.

المعلـم "بيومـي" صاحـب القهـوة يعامـل "مهـدي" كإبـن لـه، ورغـم أنـه شـديد الصرامـة والحـزم، إلا أن "مهـدي" يتفهـم ذلـك، واعتـاد عليـه منـذ زمـن فلـم يعـد يُزعجـه الأمـر... ويعلـم "مهـدي" كذلـك أن يوميتـه ضئيلـة بالنسـبة للكثيـر مـن المقاهـي بالقاهـرة، لكنـه عقـد العـزم منـذ زمـن علـى عـدم تـرك "المعلـم" لأن (ولاد الأصـول مايبيعوش العشـرة بالسـاهل)، غيـر أن الفـارق فـي اليوميـة سـيصرفه "مهـدي" بالتأكيـد علـى المواصـلات مـن وإلـى (ميـت عقبـة)، وعلـى الأمـراض التـي سـتجتاح جسـمه مـن جـراء دعـاء "المعلـم" عليـه إن قـرر تـرك المقهـى.

"لا يُكلـف اللـه نفسـاً إلا وسـعها".. لـم يفهـم أبـداً المعنـى الحرفـي لتلـك الآيـة الكريمـة، وإن فهـم منهـا أن عليـه ألا يشـتري أيـة ملابـس جديـدة، ألا يُفـرط فـي الأكل والشـرب، ألا يشـتري أكثـر مـن سـيجارة حشـيش واحـدة يوميـاً، وإن كان هنـاك زيـادة فـي الحشـيش فلتكـن كمنحـة مـن أحـد زبائنـه أو رفاقـه... فهـم مـن الآيـة كذلـك أن الأجـازات الأسـبوعية تـرف، وأن المشـي علـى الأقـدام مـن وإلـى المقهـى شـرف، ولا داعـي لركـوب التـوك تـوك أبـو اتنيـن جنيـه.

وفهـم أيضـاً أن عليـه أن يكـف عـن تدخيـن علبـة (الكليوباتـرا) اليوميـة، ويكتفـي بثلاثـة أحجـار معسـل يسـتأذن فيهـم "المعلـم" كبديـل للسـجائر، وأن يشـحت سـيجارة مـن هنـا أو هنـاك إن شـعر برغبـة شـديدة فـي تدخيـن تلـك السـجائر اللعينـة... تلـك كانـت رؤيتـه للآيـة الكريمـة، وهـو حريـص علـى تنفيـذ رؤيتـه لهـا بحذافيرهـا.. فعـاش هانئـاً ولا ينغـص عليـه حياتـه شـئ إلا الزمالـك ومـا يعيشـه مـن انكسـارات وإحباطـات.

"عيـان بالزمالـك"... هكـذا يُعَـرِف "مهـدي" عـن نفسـه، وقـد تمكـن منـه المـرض الأبيـض ولـن يخـرج أبـداً، هـو يعلـم الكثيـر عـن الزمالـك وأخبـاره وتاريخـه وبطولاتـه، هـو كائـن من (ميـت عقبـة)، وشـخص مـن هنـا إن لـم يكـن زملكاويـاً.. قـد يتهمـه النـاس بأنـه شـاذ جنسـياً... و"مهـدي" راجـل أوي.

كانـت حياتـه تسـير بهـدوء، وليـس بهـا إلا بعـض الارتجاجـات الماديـة المعتـادة والمفهومـة، إلـى أن ارتفعـت حـرارة "شـهد" فـي ليلـة كئيبـة مـن ليالـي فبرايـر... نصـح الصيدلـي بالذهـاب للطبيـب، الـذي نصـح بمستشـفى معروفـة للأطفـال، التـي قـرر أطباؤهـا حجـز (ضنـاه) تمهيـداً لإجـراء عمليـة فـي الصبـاح الباكـر... حمـد اللـه كثيـراً لأن العمليـة سـتنقذ حيـاة ابنتـه، وفـرح مـن داخلـه لمـا أثنـى طبيـب المستشـفى علـى إحضـاره للبنـت بسـرعة، لكنـه لمـس لأول

مـرة إحســاس العجــز، عندمــا عــرف أن العمليــة ســتتكلف مــا يقــرب مــن ســبعمائة وخمســين جنيهــاً، وســيحتاج بعــض الأمــوال كذلــك للمســتلزمات والإكراميــات والــذي منــه.. مــاذا يفعــل؟؟ ... كيــف يتصــرف؟؟.

لــن يمكنــه الاقتــراض مــن "المعلــم"، فهــو لــم يــرد بعــد الســتمائة جنيــه التــي اقترضهــا منــه قبــل شــهور بســبب عيــد الأضحــى، والمعلــم صبــر عليــه كثيــراً، لكنــه لــن يعطــه المزيد... فبحــث كثيــرا عمــن يمكنــه إقراضــه هــذا المبلــغ الضخــم؟؟

عصــر "مهــدي" ذاكرتــه، فلــم تســتقر إلا على اســم واحد... كابتــن مصطفــى بتــاع المعــادي، واد شــهم وجــدع وأكيــد مــش هيتأخــر عنــه فــي حاجــة.. ربنــا يســهل.

(ميت عقبة)- المقهى:

كنــت متوجســاً، فهــي المــرة الأولــى التــي يطلــب فيهــا "مهــدي" مثــل هــذا الطلــب، رغــم علاقتنــا الطيبــة المســتمرة منــذ ســنوات... خمنــت أنــه يريــد قطعــة حشــيش، أو يريــد أن يقتــرض منــي بعــض المــال، وهــو مــا كان، فقــد طلــب "مهــدي" أن أُقرضــه ألــف جنيــه!!.

- أصل البت "شهد" بنتي محتاجة عملية كبيرة.

سألته بجدية حقيقية:

- هو انت معندكش تأمين صحي؟!!
رد بسخرية واندهاش عميقين:
- هو انت خواجة واللا إيه يا كابتن "مصطفى" ؟!!!

نبهتني سخريته إلى أنني خواجة بالفعل، يعيش في حيٍ راقٍ، يعمل في مكان مكيف الهواء، ولا يعرف الكثير عن جمهورية (ميت عقبة)، جمهورية العرق والإرهاق، التي ينبغي عليك إذا كنت من قاطنيها أن تقترض شهريا لتعيش على حد الكفاف مبلغ خرافي بمقاييسك، لكنه يعادل رُبع مرتب شخص ما من قاطني جمهورية أخرى متاخمة لحدود جمهوريتك، وربما أقل.

كنا في فبراير 2009، أتذكر أن الزمالك كان لديه مباراة في اليوم التالي وكنت أخطط لمشاهدتها في الملعب كعادتي، فاتفقت مع "مهدي" على ملاقاته في المقهى قبل المباراة بثلاثة ساعات، وأنني سأدبر له المبلغ كاملا، شريطة أن "يرُص" لى حجرين زيادة على حسابه في حالة فوز الزمالك.. ورغم خسارتنا للمباراة، إلا أن الله أكرمني بإعطاء "مهدي" هذا المبلغ الذي لم أسترده حتى اليوم، ربما لأنني لم أطلبه.

"مصطفى أحمد سعد الدين"
ذلك هو اسمى كما هو وارد ببيانات بطاقة الرقم

القومى التي قمت بتحديث بيانتها قبل أيام لأضيف عليها المهنة... بعد أن كنت أأبي تسجيل تلك المهنة فى أى وثيقة رسمية تحمل اسمى ولا أعتبرها من ضمن بياناتى أساساً، لكنني أضطررت إلى ذلك اضطراراً يفهمه أي شاب مصري في سني، فجملة (حاصل على.....) إن كانت مكتوبة في بطاقتك فهي كفيلة بأن يجذبك أى شخص يعمل بسلك الشرطة من قفاك إلى أقرب قسم.. حيث إن هذه الجملة تعنى ببساطة أنك عاطل عن العمل، أى أنك بلغة الشرطة والشارع معاً (صايع)، والمهم هنا فى موضوع البطاقة ومهنتي هو نقطتان مهمتان للغاية:

أولاهما: أنني كنت أرفض رفضاً قاطعاً تسجيل مهنتي بالبطاقة ليس فقط لكونها غير متلائمة مع مؤهلى العلمى الذى تعبت من أجل الحصول عليه لأربع سنوات داخل مدرجات كلية الآداب بـ(جامعة حلوان) لأدرس أقدم النظريات والإثباتات والخرافات الفلسفية المختلفة التي أعشق تشعبها ومنطقها، وعبثها أحياناً، بقسم (الفلسفة) العريق... ولكنها أيضا- أى مهنتى- تتعارض تماما مع مبادئي الكروية، حيث إنني أعمل داخل أكثر الشركات احمراراً فى مصر... أعمل فى شركة الاتصالات التي ظلت تفتخر في تلك السنوات بأنها الراعى الرئيس للنادي الأهلى، هذا النادي الذى يقف عائقا دائما ومستمرا أمام تطور نادي الزمالك وتقدمه للأمام خطوات فى جدول الدورى العام.. أعمل فى فودافون.

الأمـر الثانـي: أننـي وقبـل شـهور قليلـة كنـت أسـير فـى أى شـارع مصري مطمئنـاً ثابـت الجنـان حيـث إن أخـي الأكبـر "وليـد" ضابـط شـرطة وهـو مـا كان يمثـل درعـاً واقيـاً لـى فـى كثيـر جـدا مـن المواقـف التـي أتعـرض لهـا باسـتمرار... وهـي مواقـف قـد يتعـرض لهـا أى شـاب مصـري فـى أى وقـت وأى مـكان، تبـدأ بالمشـاجرات ولا تنتهـي عنـد التوقيـف العشـوائى عـن طريـق أفـراد الشـرطة المنتشـرين فـى الشـوارع بكفـاءة... إلا أن "وليـد" أخـي يعاملنـى بجفـاء شـديد منـذ فتـرة- لأسـباب وجيهـة جـدا مـن وجهـة نظـره الخاصـة - فقـررت ألا أعتمـد علـى وجـوده وسـارعت بتحديـث بيانـات البطاقـة خوفـاً من أن يتخلـى عنـي فـى لحظـات حرجـة.. وتجنبـاً لأى موقـف مهيـن.

سـؤال قـد يتبـادر إلـى ذهنـك الآن.. مـا هـو الـدرس المسـتفاد ممـا سـبق؟.. لمـاذا تصـدع رأسـى بهـذه التفاصيـل؟... لمـاذا تـروى قصتـك؟... لمـاذا تمـلأ رأسـى بـدخان قـص البـرج الـردىء، وصـوت صديقتـك التـي تحـب جـزءاً منـك، وجلوسـك علـى المقهـى المجـاور لـــ "الراجـل المشـهور بتـاع السـمك"؟.. لمـاذا تحكـي عـن "مهـدي" وصفاتـه، عـن "ناصـر" وفودافـون، وأخيـك الضابـط، وقطعـاً حبـك المبالـغ فيـه لنـادي الزمالـك.. مـاذا تريـد يـا "مصطفـى أحمـد سـعد الديـن"؟!!!

إجابتـى عـن هـذه الأسـئلة ومـا قـد يـدور فـى رأسـك غيرهـا، هـي أننـي يـا سـيدى العزيـز.... (أولتـراس).

المعادي- أكاديمية الشرطة- سوهاج- وغيرها

أنا لم أكره "مصطفى" أبداً.. كيف أكرهه وهو أخي الأصغر؟؟!!

بيد أن المجتمع الذي نعيش فيه، يفرض شكلاً محدداً للعلاقة بين الأخين، فمهما بلغ "مصطفى" من كفاءة وعلم وقدرة وخبرة، سأظل أنا الأخ الأكبر، الواثق العليم ببواطن الأمور، الأكثر حنكة ومهارة، والأهم من ذلك.. أنني صاحب السطوة والنفوذ.. الضابط.

أثرت فترة الكلية عليَ بكل تأكيد، أربع سنوات كاملة هي زهرة عمري، قضيتها محبوساً داخل أسوار الكلية شتاءً، وساعياً إلى الساحل الشمالي صيفاً لأتخلص من أعباء شهور الدراسة، فترة غيرت من ملامحي وملامح شخصيتي بصورة كبيرة، بنيت جسمي جيداً ليصبح ممشوق القوام، تميزت في الرماية طالباً في الكلية، ومارستها باحترافية بعد التخرج، وابتعدت رغماً عني عن الفتيات والبنات،. فقد قررت منذ زمن أن أكون أكثر عمقاً من أن أربط حياتي ومستقبلي بفتاة ساذجة مسطحة العقل كما يفعل أخي، كما أنني أكثر فقراً من أن أغامر بالارتباط بفتاة أعلم أن راتبي من وزارة الداخلية لن يكفينا لساعات كل شهر.. فملت إلى إفناء نفسي في العمل وتأجيل فكرة الزواج إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولا.

لـم أسـتطع بسـبب طبيعـة عملـي كذلـك بنـاء أي علاقـة متزنـة مـع أحـد مـن أفـراد أسـرتي، فحيـن تخرجـت أخيـراً التحقـت للعمـل كضابـط مـن قـوة الأمـن العـام بمحافظـة (سـوهاج) لمـدة عاميـن، هنـاك أقضـي معظـم أيـام الشـهر، وبالتالـي فقـد تقطعـت بـيني وبيـن أسـرتي الكثيـر مـن السُبل، فصرت أجهـل ظروفهـم، وأغيـب ـــ رغمـاً عنـي ـــ عـن المناسـبات الأسـرية والعائليـة الهامـة، ولا يـدور أي حـوار بينـي وبيـن أي مـن ثلاثتهـم (الأب والأم والأخ الأصغـر) إلا فـي نـادر المناسـبات.

وفيمـا تـلا ذلـك مـن سـنوات، التحقـت للعمـل بالنجـدة فـي محافظـة القاهـرة، أقضـي نصـف يومـه بالضبـط فـي عملـي بالشـارع، وأقضـي النصـف الآخـر بيـن النـادي وسـريري حيـث ينـام... فـزادت الفجـوة بينـي وبيـن الجميـع، وكان ممـا يزيـد وطـأة ظروفـي النفسـية المرهقـة، أن راتبـي ضئيـل بحـق، سـتمائة و ثلاثيـن جنيهـاً فقـط لا غيـر، هـو مبلـغ لـم يكـن ليكفينـي لعشـرة أيـام ثـم أبـدأ فـي الاعتمـاد علـى أبـي بصـورة شـبه كاملـة.

يـوم تخرجـت مـن أكاديميـة الشـرطة، قـرأت فـي عيـن أخـي الكثيـر مـن الفرحـة، لكنهـا كانـت فرحـة ممزوجـة ببعـض السـخرية، فـــ "مصطفـى" لـم يكـن يفهـم أبـداً لمـاذا يضطـر أي شـخص أن يسـجن نفسـه داخـل أسـوار عاليـة، تحرسـها

الجنـود ليـل نهـار، لأيـام وأيـام، علـى مـدار أحلـى سـنوات عمـره، هادفـاً الحصـول علـى دبـورة نحاسـية لامعـة، والكثيـر جـداً مـن المسـؤوليات والإرهـاق والضغـوط، وقليـل جـداً مـن البنكنـوت؟؟

ولـم أنـس تلـك النظـرة أبـداً، أعلـم أن "مصطفـى" يجهـل الكثيـر عـن طبيعـة العمـل الشـرطي، أعلـم كذلـك أن انضمـام "مصطفـى" للأولتـراس جعـل منـه شـاباً أكثـر حـدة خاصـة فـي نظرتـه لنـا نحـن رجـال الأمـن، فهـو يرانـا دومـاً كغيـلان بريـة تتربـص بأفـراد الأولتـراس الشـجعان، ولـم أحـاول فـي أيـة لحظـة أن أناقـش أخـي فـي وجهـة نظـره، كنـت أراهـا وجهـة نظـر أقـل مـن أن تُناقَـش لشـاب أرعـن متهـور، وأن السـنوات قـد تفعـل فعلتهـا وتؤكـد لـه أن رجـال الشـرطة فـي كل مـكان يقومـون بواجبهـم وبمـا تقتضيـه عليهـم وظائفهـم.

ورغـم أن الفـارق بيننا خمس سـنوات كاملـة، إلا أن ارتباط "مصطفـى" بالقـراءة منـذ زمـن، جعـل منـه شـاباً مختلفـاً عـن الشـباب فـي سـنه بشـكل عـام، فهـو لا يشـرب المخـدرات ولا يتسـبب فـي أيـة مشـاكل مـن مشـاكل المراهقيـن المعروفـة، هـو يمـارس الرياضـة والقـراءة والزمالـك، والكثيـر جـداً مـن "شـيماء" صديقتـه التـي لا أتعامـل معهـا كثيـراً بحكـم ظـروف العمـل التـي تجبرنـي علـى التغيـب عـن المعـادي كثيـراً، غيـر أن فـارق السـن بينـي وبيـن "شـيماء" بعيـد حقـاً.. وبالتالـي

فـإن "مصطفـى" أبـدا لـم يشـكل أي عـبء علـيَ فهـو مـن البيـت للنـادي للبيـت للاسـتاد.. فقـط.

وبسـبب (الأخـوة)، فقـد قمـت بإنقـاذ أخـي فـي مـرات مختلفـة، فـي مواقـف عديـدة ظـل يحتـرف التعـرض لهـا، مشـاجرة هنـا أو هنـاك، سـحب رخصـة القيـادة مـرات ومـرات بسـبب عـدم الالتـزام بقانـون المـرور، بـل سـاعدته كثيـراً فـي مواقـف مشـابهة يتعـرض لهـا معارفـه - معـارف مصطفـى-... ولهـذا كنـت أرى دومـاً أننـي أفعـل مـا يجـب فعلـه تجـاه الأخ الأصغـر، لا أكثـر ولا أقـل.

كنـت أميـل بطبعـي إلـى الصمـت والتأمـل، فيكفينـي مـا أراه يوميـاً مـن مشـاكل أثنـاء العمـل، وقلمـا كان يسـتفزني أي شـئ، أي فعـل يَصـدُر مـن أي شـخص، إلـى أن رن هاتفـي فـي مسـاءٍ شـتوي، مـن زميـل لـي بقسـم (البسـاتين) المتاخـم لحـي (المعـادي)، ليبلغنـي أن "مصطفـى" لديهـم بالقسـم، بعـد ضبطـه مـع فتـاة فـي وضـع مخـل بـالآداب فـي دائـرة القسـم، وطلـب منـي أن أحضـر لأتسـلم "مصطفـى" و بالطبـع "شـيماء".

ذهبـت وقتهـا إلـى قسـم البسـاتين، وأنـا أغلـي غضبـاً، فالإحـراج الـذي عَرَضَونـي لـه لا يسـتهان بـه علـى الإطـلاق، وطـوال سـاعات ثلاثـة بعـد أن أوصلنـا "شـيماء" إلـى منزلهـا

ظللت أؤنب أخي على ما فعله ليس فقط بجسد الفتاة، وإنما كذلك بسبب تعاليه واعتدائه على افراد القوة الأمنية والذين كان من الطبيعي أن يلقوا القبض عليهما بعد الإهانة والبذاءة التي طالتهم من "مصطفى".

حاول "مصطفى" أن يجادل، ويدافع عن نفسه وعن "شيماء"، وأن يُهاجمني، لكن ذلك كله لم يُجد نفعاً، فكان أن أصدرت فرماناً قاسياً:

- أنا هقول لأبوك، يمكن يلحق يربيك، ولو شفت رقمك على تليفوني تاني، أوعدك إني أسعى بنفسي إني أحطك في السجن... كفاية بقى مسخرة وقلة قيمة.

وكرد فعل طفولي من "مصطفى" دخل إلى غرفتنا المشتركة، وخرج منها بعد دقائق وقد رسم على جدران الغرفة أربعة حروف أعلم معناهم جيداً.

A.C.A.B

كل رجال الشرطة أوغاد!!!

فهو يعلم تماماً أن رجال الشرطة ليسوا بأوغاد، خاصة وأن هناك واحدًا منهم يشاطره غرفة نومه، وأن هذا الذي يشاطره الغرفة أخوه الأكبر الذي أنقذه وصديقته لتوه من فضيحة مجلجلة قد تدمر مستقبلهما تماماً... لا فائدة من "مصطفى" في هذه المرحلة، فلتكن القطيعة

إذن، ولهذا قررت أنا الضابط المكتئب المرهق المضغوط أن أقاطع أخيه الأصغر الأرعن المتهور المجنون، واستمرت القطيعة لما يزيد عن السنة إلى أن حدث ما حدث في إبريل 2010.

المعادي، نادي الجزيرة، وغيرهما:

من سكان المعادي أنا، وُلدتُ لأجد نفسي من سكان "دجلة" إحدى أرقى مناطق المعادي على الإطلاق، سيارتان بالمنزل واحدة لأبي وأخرى لأمي- رحمهما الله- كما تمتلك الأسرة أكثر من شقة أخرى، وحسابات ممتلئة بالبنوك، وبجانب عضوية نادي الروتاري التي يمتلكها أبي منفرداً، تمتلك الأسرة عضوية بنادي المعادي الرياضي واليخت (هكذا اسمه)، وهو المكان الذي اشتهر بجمع أرقى عائلات هذا الحي.

مارست الكثير من الرياضة طفلاً ومراهقاً وشاباً.. وعلى مستوى تشجيع الرياضة فأنا لا أهتم إلا بتشجيع كرة القدم، ولا أُشجع إلا الزمالك في مصر، والإفريقي التونسي، روما الإيطالي، الوحدات الأردني، أرسنال الإنجليزي، وبرشلونة الإسباني، اقتطعت من حياتي آلاف الساعات لمتابعة كل مباريات تلك الفرق رسميةً كانت أو ودية بقدر المستطاع، وإذا راجعت تاريخ كل تلك الفرق معي ستجد

أنني أميل لتشجيع المقهورين في عالم الرياضة، فكل تلك الفرق تمتلك تاريخاً ناصع البياض مع كرة القدم، وتاريخاً من الصراعات مع الفرق الأكبر حجماً ذات النفوذ، الأهلي المصري والترجي التونسي وثلاثي إيطاليا الإنتر وميلان واليوفنتوس ثم الفيصلي الأردني ومانشستر يونايتد الانجليزي وريال مدريد على الترتيب.

وعلى عكس توقعات كل من يعرفني فأنا لا أجيد لعب كرة القدم على الإطلاق، أجيد مشاهدتها وأزعم أنني الأفضل بين كل من أعرفهم في الشعور باللاعبين وقراءة الملعب ومعرفة التغيير المطلوب قبل حدوثه، لكن يبدو أن مبالغتي في التحليل منذ كنت طفلاً منعتني من الممارسة، كنت أنزل إلى أرضية الملعب مرتدياً زياً رياضياً مناسباً، وفي عقلي يجلس محلل كروي ببدلته الكاملة، فأهتف في زملائي مملياً عليهم أدوارهم بالملعب أكثر من تفكيري في الدور الذي يجب عليَ تأديته، أيقنت مع الوقت أن ممارسة كرة القدم وكل الألعاب الجماعية لا تناسب تركيبة عقلي وشخصيتي، فأحببت التنس بين المرحلتين الابتدائية والإعدادية، مارسته لسنوات في نادي الجزيرة الذي تمتلك عائلتي عضويته منذ زمن بعيد... كنت أنزل يومياً صيفاً وشتاءً من منزلي إلى النادي لأتدرب بحماس وحب حقيقيين، ساعدني التنس في تلك المرحلة على بناء عضلات جسمي وتشكيلها بصورة رائعة،

وفي تلك المرحلة قابلت حب حياتي الأول "نيرمين" التي فتنتني برشاقتها ومهارتها وإمساكها لمضرب التنس الأنيق، كما بدأت وقتها التعرف على مدى تَوَحُش هرموناتي لما كنت أتأمل تنورتها البيضاء القصيرة وما تحتها من ملابس داخلية بيضاء (دوماً بيضاء رقيقة)، كنت أتعرف لأول مرة في تاريخي على تلك البروز الصغيرة التي تنمو في أجساد الفتيات وأكتشف أن ذلك يثيرني بشدة، إلى أن انتهت علاقتنا كما تنتهي كل علاقات المراهقين العاطفية بخلاف ساذج وعناد مبالغ فيه، لمت نفسي عليه كثيراً فيما بعد، وكان من نتائج قطعي لعلاقتي بـ"نيرمين" أن قطعت علاقتي بالتنس كذلك.

ثم شغلني الغطس لشهور طويلة، وطالما أحببت لقطات الفيديو التي كانت أسرتي تلتقطها لي أثناء قفزي بالتمرين من أعلى إلى أعماق حوض السباحة، أحببت تَكَوُن عضلات جسمي بسبب الغطس، كنت أقف أمام المرآة طويلاً متأملاً عضلات صدري وبطني، وكنت أشعر أن جسداً كهذا يستحق ما هو أرقى من الغطس، ففكرت في ممارسة رياضة أكثر عنفاً تساعدني في إظهار قوتي البدنية، فاتجهت للعب التايكوندو والكاراتيه لبعض الوقت قبل أن يباغتني حب الملاكمة، كفن راقٍ.

كانت الملاكمة بالنسبة إلي هي فن الإيذاء البدني، تُفاجئ فيها منافسك بضربة غير متوقعة في نقطة معينة، فتخور قواه، أدهشني استيعابي السريع لفكرة الملاكمة وفلسفتها، واعتمادها على خطط محكمة وتدرج مثالي في القوة من الأقل للأكثر عنفاً.. عشقتها، فحققت فيها إنجازات محترمة مازلت فخوراً بها، إلى أن مللتها كعادتي بعد شعوري بالتميز، وحين انقطعت علاقتي بالملاكمة، انقطعت علاقتي بممارسة الرياضة.

ولأسباب كثيرة اتجهت بكل قوتي في الاتجاه المعاكس، فعشقت القراءة، جاء هذا بالأساس لأنني أهوى التميز والاختلاف منذ الصغر، وفي دائرة معارفي الضيقة لم يكن هناك أي تميز في أن تمارس الرياضة، ولكن هناك الكثير من التميز إن مارست القراءة، كما أنني كنت شديد الارتباط بأمي، ودوماً ما كنت أراها في مشهد ملتصق في ذهني وهي تقرأ بلا توقف لساعات طويلة، لفتني هذا المشهد فأحببت تقليده، وأذهلتني القراءة في أسابيعي الأولى معها، فقد فهمت أول ما فهمت أن القراءة هي الإنجاز الوحيد الذي لن يحققه الإنسان مهما حاول، وأنك- على حسب التعبير الشائع- تزدادُ جهلاً كلما ازددت علماً، فصرت أتحدى نفسي في قراءة كل ما يقع تحت يدي من كتب يمتلئ بها منزلي، حتى إنني وقبل دخولي الجامعة بسنتين تقريباً وعدت نفسي بقراءة كتاب كل ثلاثة أيام،

ثلاثـون كتابـاً كامـلاً كل ثلاثـة أشـهر، كنـت أكثـر ميـلاً للتاريـخ والفلســفة والسـير الذاتيـة، وأسـتغرق تمامـا فـي القـراءة، متحديـاً مللـي حتـى اعتدتـه، ولا يفصلنـي عـن القـراءة إلا مشـاهدة المباريـات، وظـل نزولـي إلـى الجيـم الراقـي القريـب مـن شـارع 9 الأشـهر بالمعـادي، وتشـجيعي الحماسـي المبالـغ فيـه لفـرق كـرة القـدم المختلفـة وعلـى رأسـها الزمالـك هـو كل مـا يربطنـي بالرياضـة.. وكانـت النتيجـة المتوقعـة.

شـاب مختلـف بـكل المقاييـس، قـوام ممشـوق ينـم عـن تاريـخ حافـل مـع ممارسـة الرياضـة، درجـة وعي ونسـبة لا بأس بهـا مـن الثقافـة قلمـا تجدهـا فـي شـاب مـن عمـري، مظهـر عـام أكثـر مـن لائـق يفضـح بيئتـي الراقيـة، حتـى إن الـكل كان يندهـش مـن وجـودي بجامعـة حكوميـة عاديـة، دارسـاً لشـئ أكثـر مـن عـادي، لكننـي كنـت سـعيداً هانئـاً باختياراتـي، شـاعراً بتميـزي الـذي أراه فـي أعيـن الجميـع، وهـذا مـا كنـت أرغـب فيـه تحديـداً، لكننـي نسـيت أن أحـدد لنفسـي هدفـاً لمرحلـة مـا بعـد التخـرج، فمـاذا سـأفعل بليسـانس الفلسـفة هـذا سـوى مجـاورة أهلـى بالمنـزل؟؟!

شـهادة جامعيـة، الزمالـك، تأجيـل الخدمـة العسـكرية، الزمالـك، شـيماء، واسـطة، فودافـون، شـيماء، الزمالـك، واسـطة، الزمالـك، شـيماء، الزمالـك، المركـز الرئيسـي بالمعـادي، واسـطة، شـيماء، مواعيـد عمـل مريحـة، شـيماء، شـيماء، شـيماء...

والزمالـك الزمالـك الزمالـك الزمالـك.. هـذا هـو ملخـص حياتـي منـذ عـام 2004 وقـت تخرجـي وحتـى عـام 2007.

وتدور الحياة.. وتدور

وحيـن أُراجـع عمـري بسـرعة أجـده ينقسـم وبـلا مبالغـة إلـى رُبـع وثلاثـة أربـاع.. رُبـع بـه حياتـي وثلاثـة أربـاع بهـا الزمالـك... فمـن البيـت للعمـل بـدون تركيـز فـى كليهمـا، أخلـع نفسـي مـن أيـة التزامـات أسـرية أو عائليـة، فلـم أكـن أحبـذ التواجـد وسـط بشـر بـلا رأس، تنحصـر اهتماماتهـم فـي النميمـة، إن تحدثـوا فـي السياسـة سـيقولون كلمـات جوفـاء (لا هتـودي ولا هتجيـب)، وإن تحدثـوا فـي كـرة القـدم سـيملأون حياتـي ضجيجـاً مكـرراً حـول عظمـة النـادي الأهلـي.. هـراء وراء هـراء جعلنـي أنسـحب مـن حيـاة الجميـع بمـن فيهـم أبـي وأمـي وأخـي الوحيـد، وأعيـش وحيـداً مـع كتبـي وحـب الزمالـك.

أمـا فـي العمـل، فقـد كنـت أدفـع اللحظـة تلـو الأخـرى لأصـل لنهايـة العمـل وأخلـع تلـك الحلـة الكئيبـة وربـاط العنـق الأحمـر الخانـق فـى حمـام الرجال بالـدور العلـوى مـن الفرع... أخلـع معهمـا الكثيـر مـن التزامـات العمـل الروتينيـة السـخيفة، بيـن الاجتماعـات التـي لا تنتهـي وإمضـاء الأوراق ومتابعـة الخطـوط والكـروت.. أخلـع كل ذلـك وأرتـدى ملابـس خفيفـة تتناسـب مـع حياتـي التـي تقبـع خلـف ذلـك البـاب الزجاجـى..

وأذهـب متلهـف الخطـا بسـيارتى البيضـاء إلـى (ميـت عقبـة)، حيـث تدريـب الفريـق فـى النـادي... أحضـر أحيانـاً مبـاراة فـى كـرة السـلة أو اليـد، فنحـن ملـوك هـذه الرياضـات فـى مصـر بالفعـل، فمنـذ سـنوات يمتلـك الزمالـك زمـام الأمـور فـى أكثـر مـن رياضـة منهـا كـرة اليـد وتنـس الطاولـة والكـرة الطائـرة أحيانـاً.. ولكننـي وفـى الأسـاس أقطـع تلـك الرحلـة يوميـاً مـن (المعـادي) إلـى (ميـت عقبـة) لمشـاهدة التدريـب المسـائى للفريـق الأول لكـرة القـدم، ثـم القهـوة وقـص البـرج والحديـث عـن النـادي واللاعبيـن والجهـاز الفنـى ومجلـس الإدارة، وبالقطـع مكالمـة "شـيماء" ذات الطابـع الأسـطوري.

لـم أنـدم يومـا علـى ارتباطـى بـ (ميـت عقبـة) بهـذا الشـكل المبالـغ فيـه، برغـم الفجـوة المعرفيـة والاجتماعيـة الواسـعة بينـي وبيـن معظـم أهلهـا، فصحيـح أنهـا أبعدتنـى عـن (المعـادي)، وحرمنـي هـذا الارتبـاط مـن تكويـن علاقـات جديـدة ومتينـة بسـكان (المعـادي)، أو حتـى الحفـاظ علـى العلاقـات القديمـة، لكـن ارتباطـى الشـديد بـــ (ميـت عقبـة) سـاهم بشـدة فـى تقويـة علاقتـى بالزمالـك، تاريخـه وحاضـره ومسـتقبله، وسـاهم فـي أن أُقابـل علـى الـدوام بشـرًا مثلـي لا يشـغلهم سـوى الكيـان/ الوطـن/ الزمالـك وهـو مـا كان يهمنـي ويسـتهويني فـى الأسـاس .

قد تسخر مني الآن وتتلاعب بك الظنون... هاهو زملكاوي مختل آخر يصدع رؤوسنا بقصته مع تشجيع الأبيض، لكنني أؤكد لك مسبقا أنك لن تفهم مقصدي إطلاقاً إلا إذا كنت مؤمناً بشدة بأى شيء، ووجدته يهرب من بين أصابعك كالرمال الناعمة، الزمالك وبلا أدنى مبالغة هو الدرب الذى أسير عليه، صحيح أنني أسير عليه مهزوزا.. صحيح أنه درب وعر وغير ممهد، ولكن من قال إنني أهوى السهولة؟!!، من قال إنني ممن ولدوا وتعلموا كلمات بابا وماما و(بيب بيب أهلى) على الترتيب، كمعظم المصريين.. من قال إنى أصدق حرفاً من الترهات التي يروجها الإعلام الأحمر.. الأكاذيب التي صدقوها من كثرة تكرارها... الخرافات التي زعموا وجودها حتى أصبحت واقعاً ثقيل الظل بحكم كثرة التأكيد عليها.. من قال إنني هذا الشخص اللين الذى يسير مع الجموع هاتفا باسم الأكذوبة الكبيرة المسماة بحب نادي القيم الأحمر... من قال إنني هذا الرجل ؟!!.. أؤكد لك من جديد يا سيدى أنك لن تفهمنى إلا إذا آمنت، فالإيمان هو مفتاح كل شيء.

هذا هو بالضبط حالى مع الزمالك.. أراهن عليه دوما.. وغالباً ما أخسر الرهان لأسباب تخرج عن إرادة كلينا - الزمالك وأنا- أنتظره كثيراً وأعلم أنه يجد فى السير لأجلى، لا من أجل المزيد من أوراق البنكنوت،

الزمالـك هـو الوطـن كمـا نحلـم ونتمنـى، الوطـن الـذي نتمنـى أن ينتفـض بعـد سـنوات القهـر والجمـود، الزمالـك فتـاة جميلـة يجـرى وراءهـا الحالمـون مـن أمثالـي.. اختبـار صعـب يخشـاه الجميـع... وظيفـة محترمـة فـى شـركة متعـددة الجنسـيات يرغـب بهـا الجميـع.. كرسـى فخـم يعطيـك انطباعـا مسـتمراً بالعراقـة والثبـات، الزمالـك يرغـب بـك ويقبلـك ويتعامـل معـك بـكل مـا فيـك مـن عيـوب وسـخافات ونواقـص.. الزمالـك يقبـل التراجـع.. يقبـل الخسـارة.. يقبـل القسـمة علـى الجميـع.. الزمالـك مثـال واضـح للتحـدى، للقيـام والتماسـك بعـد العثـرات التـي تأتـي واحـدة تلـو الأخـرى.. الزمالـك يبادلـك الحـب إن أحببتـه.. يصدقـك إن صدقتـه.. يبـدو كشـيخ عجـوز أبيـض الجلبـاب واللحيـة لا يرهبـه شـيء، لا يحيـط بـه أحـد، يمشـى متثاقـلا لكنـه محـدد الهـدف مسـتندا علـى عصـاه المتينـة التي يصنعهـا أبنـاؤه ومحبـوه.. الزمالـك إن وقـع آمـن بالوقـوف مـن جديـد، وإن اعتـدل فـى سـيره يفعلهـا بفخـرٍ حقيقـي.. الزمالـك مجلـد كبيـر يحـوى آلاف القصـص لـن يمكنـك حصرهـا.. لغـز كبيـر يكمـن حلـه فـى الإيمـان بـه.. يكمـن حلـه فـى التصديق.. أنـا صدقـت.. الملاييـن فعلـوا.. فهـل تبعتنـا؟!.

المعادي، باليرمو، الكورفا سود.

أشـجع كـرة القـدم منـذ هـدف اللاعـب (مجـدي عبـد الغنـي) الشـهير والـذى سـجله فـى مسـابقة كأس العالـم التـي

أقيمت فى إيطاليا، جاء الهدف يوم الثلاثاء 12 يونيو 1990 فى مرمى هولندا من ضربة جزاء عادلة بعد أداء متميز من منتخب مصر بدءاً من الحارس العملاق، الإعلامي العملاق حالياً أحمد شوبير.. مرورا بهشام يكن وهانى رمزى فى الدفاع وكل النجوم جمال عبد الحميد وحسام وإبراهيم حسن وطبعا عريس المونديال- هداف مصر فى كأس العالم كما يقول الخبثاء- مجدي عبد الغني ومن قبلهم جميعا الجنرال محمود الجوهرى قائد مصر فى المونديال- وهي معلومات عرفتها فى مرحلة لاحقة بالطبع- ذلك أنني فى هذا اليوم كنت على مشارف الأعوام الثمانية من عمرى، سمعت آهات والدى و"وليد" مخلوطة بصرخاتهم المتوالية وأذكر أنني كنت أرسم وقتها فى غرفتى.. دفعتنى أصواتهم المزعجة لاستكشاف ما يحدث فى المنزل.. لأشاهد "وليد" واقفاً على الأريكة قافزاً فى لحظات راقداً فى أخرى.. وأرى والدي - الوقور جدا- مرتديا جلباب منزلي جاثياً على ركبتيه أمام التلفاز يكاد يبكى مع هجماتنا المتتالية.. يصول ويجول.. يصرخ.. ينفعل.. جلست لأراقب المباراة مندهشا متسائلا (كيف تفعل كرة القدم بالبشر ما أراه؟).

وبعد دقائق من تواجدى أمام الشاشة وتحديدا فى الدقيقة 83 نزلت عدالة السماء على إستاد باليرمو... ورغم أننا نعيش فى حي هادئ من أحياء القاهرة إلا أنني

فوجئت بعـدد ضخـم مـن ردود الأفعـال... صـراخ وضجيـج يمـلأ الأجـواء.. شـبابيك وبلكونـات البيـت تلقـى إلينـا بالكثيـر منـه.. أبـي يسـجد علـى الأرض شـاكراً.. يحتضننـى بشـدة.. "وليـد" يتقافـز ويتقافـز علـى الأريكـة وقـد بـح صوتـه بسـبب الهتـاف والصـراخ الـذي لـم يتوقـف منـذ فتـرة طويلـة .. أمـي - رحمهـا اللـه - تخـرج مـن المطبـخ يدهـا غارقـة فـى الصابـون لتصفـق بـكل مـا أوتيـت مـن قـوة ثـم ترفـع صوتهـا بالهتـاف الشـهير (مصـر).. وجدتنـى أرتعـش.. انتفـض جسـمي مـع إعـادة الهـدف وبـدأت أشـارك أسـرتي والشـارع ذلك الهتـاف الـذى بدأته أمي:

(مصر / برابرابابا.. مصر / برابرابابا.. مصر / برابرابابا)

(جوهاااااارييييي.. .. جوهاااااارييي.. أو أو)

ومـن لحظتهـا وجدتنـى مدفوعـاً لمتابعـة صـور وأخبـار المنتخـب فـى الجرائـد اليوميـة التـي يشـتريها أبـي بانتظـام، ومنهـا إلـى أخبـار الزمالـك، فانتماءاتـك الكرويـة يحددهـا شـخص مـا أو موقـف مـا يقبـع بعيـداً فـى مؤخـرة ذاكرتـك لكنـك لـو كنـت مثلـى لتذكرتـه جيـداً.

معجـون أنـا بكـرة القـدم، لهـذا فأنـا أتذكـر نزولـى فـى صبـاح هـذا اليـوم عـام 1993 لأشـترى الأخبـار والأهـرام والوفـد لوالـدى.. أرانـى بوضـوح شـديد.. طفـلاً فـى الحاديـة عشـرة... يمشـى متثاقـلاً بعـد أن اسـتيقظ مـن نومـه مغصوبـاً، يتجـه إلـى عـم رضـا بائـع الجرائـد الـذى يجلـس بالقـرب مـن المنـزل،

جريـت بعيونـى علـى صفحـات الجرائـد المتراصـة بجـوار بعضهـا، إلـى أنِ شـدني عنـوان رئيسـي علـى صفحـات جريـدة الجمهوريـة، ورغـم أن ذلـك كان منـذ سـنين طويلـة إلا أننـي أذكـر مـا كان يحملـه هـذا العنـوان مـن معـان... فـوز (نـادر) للزمالـك علـى أشـانتى كوتوكـو - وهـو مانشـيت يمجـد فـى حـارس مرمـى فريقنـا آنـذاك (نـادر السـيد) الـذى كان نجـم المبـاراة - ويحتفـى المانشـيت بالزمالـك فيقـول.. الزمالـك يحتفـظ بـكأس إفريقيـا للأبـد.. الزمالـك بطـل إفريقيـا علـى حسـاب أشـانتى كوتوكـو بضربـات الترجيـح.. وصحيـح أننـي لـم أشـتر الجريـدة، لكـن العنـوان البـراق وحـده كان كافيـا لأعـود إلـى منزلـى فخـورًا بالإنجـاز (المصـري) الـذى حققـه الزمالـك، وأتحـدث مـع أبـي وأمـي وأخـي لأيـام وأيـام عـن الزمالـك، ولتبـدأ فـى تلـك الفتـرة كـرات دمـى البيضـاء فـى التحـول ببـطء وثبـات إلـى كـرات دم بيضـاء بخطيـن حمـر.

تلـك كانـت بدايـة رحلتـي مـع تشـجيع الزمالـك، سـنوات كانـت كـ"جـس النبـض" بالتعبيـر الكـروي، أتلمـس فيهـا طريقـي نحـو العالـم الأبيـض الرحـب، وقابلنـي الزمالـك وقتهـا بترحـاب، لأنـه كان يكسـب البطـولات، الزمالـك كان يصـارع الكبـار ويهزمهـم، الزمالـك كان يلعـب كـرة القـدم مخلصـاً متحمسـاً راغبـاً فـى الفـوز، وامتـلأت حياتـي باللحظـات الفارقـة التـي سـاهمت فـي رفـع معـدل زملكاويتـي بشـدة، لمسـة سـاحرة مـن هـذا اللاعـب أو ذاك، هدفـاً ذكيـاً إحترافيـاً، بطولـة محليـة أو قاريـة.

"الأيام مفيش أسرع منها".. هكذا كنت أسمع دوماً من والدي، فأرى الآن بوضوح ارتيادى المتكرر لمدرجات الدرجة الثالثة يمين المقصورة بإستاد القاهرة (الكورفا سود) أجلس أحياناً أعلى المقصورة.. أحياناً في الدرجة الثانية التي تواجه كاميرات التلفزيون.. أحياناً أفشل فى دخول الإستاد... أحياناً أذهب مع أصدقاء وشركاء القهوة لإستاد الإسكندرية أو الإسماعيلية أو غيرهما لمشاهدة مباراة للفريق هناك، وتجرى أمامي الأيام.. كم من الدقائق مرت فى الملاعب.. آلاف من نقاط العرق سالت منى فى المدرجات كما سالت من أبطال الفريق على أرضيات الملاعب.. ومئات من النقاط يكسبها أو يخسرها الزمالك.. عشرات المدربين.. آلاف التقسيمات فى ملعب حلمى زامورا.. وتلهث أمامي الأيام، وأتذكر لهفتى لكى أنتظر العدد الأول من مجلة الزمالك... وصراعي المميت للوصول إلى الأسطورة (حازم إمام) بعد شرائى لقميصه لكى أحصل على توقيعه عليه أثناء خروجه من تقسيمة صباحية للفريق.. أتذكر فرحتى وتصفيقى وصراخي مع أهداف الزمالك.. وتعود بى الأيام لأتذكر حسرتى عند خسارته للنقاط والبطولات.

وتمر الأعوام، يتبقى فى ذاكرتى ما يستحق البقاء فيما يتعلق بكافة جوانب حياتي ويستقر فى تلك الذاكرة كل ما هو زملكاوي.

معجـون أنـا بكـرة القـدم، لهـذا فأنـا لـم أعـرف أبـداً سـر الفـوز الدائـم للأهلـى.. عنـدى كأي زملـكاوي مـا يشـبه اليقيـن بـأن الحـكام واتحـاد الكـرة المصـري والحـروب الإعلانيـة الخفية لهـم دور فـى ذلـك بـكل تأكيـد، فكـرة القـدم (بيزنـس) ضخـم ينتفـع منـه الكثيـرون، لكننـا فـى المقابـل كنـا نخسـر نقاطـا كثيـرة.. نعـم هـم يفـوزون بالتحكيـم.. يحصلـون علـى درع الـدورى بالتحكيـم.. يلعبـون فـى كأس العالـم للأنديـة أكثـر مـن مـرة بالتحكيـم!!.. لكننـا أيضـاً كنـا نخسـر ونخسـر ونخسـر لسـر لا أعرفـه، ويبـدو أننـي سـأموت قبـل أن أعرفـه.. وبمنتهـي الحيـاد أعتـرف أنـه وإن كان للتحكيـم يـد فـي خسـارتنا أحيانـاً، إلا أن تذبـذب مسـتوانا فـي كثيـر مـن الأحيـان وعـدم اسـتقرارنا الفنـي والإداري علـى الـدوام، كانـا سـبباً رئيسـياً فـي تسـيدنا للمركـز الثانـي لسـنوات طويلـة!!.. وعلـى مـدار الأعـوام تغيـر وجـه الزمالـك مـرات ومـرات، تغيـر لاعبـوه ومجالـس إدارتـه وأجهزتـه الفنيـة.. لكنـه ظـل يحتـرف الخسـارة.. يتقنهـا.. حتـى إننـي شـعرت فـى بعـض الأوقـات أن الزمالـك أوشـك علـى إدمانهـا.. للأسـف .

أرانـى فـى مواقـف عديـدة ترتبـط بتشـجيع الزمالـك وحبـي الـذى يصـل إلـى درجـة الهـوس، لكننـي لـن أنسـى أبـداً يـوم الأثنيـن 13 أغسـطس 2007.. وهـو اليـوم الـذى بـدأ فيـه الزمالـك مشـواره فـى الـدورى العـام لموسـم 2007- 2008.. يـوم مبـاراة الزمالـك مـع الإسـماعيلي.. مبـاراة

هـي ككثيـر مـن مباريـات الزمالـك.. لكنهـا تحمـل معنـى خاصـاً عنـدى، ذلـك أنهـا كانـت أولـى المباريـات التـي أحضرهـا فـى الكورفـا سـود كعضـو ناشـط وفاعـل مـن أفـراد (ULTRAS WHITE KNIGHTS) والتـي تعـرف فـى الجرائد والمجـلات وبيـن جمـوع المصرييـن باسـم.. أولتـراس زملكاوى.

ثانى رُبع ساعة

« الليبرو »

الطريق من (ميت عقبة) إلى المعادي:

تركت المقهى بعد جلسة طالت كثيراً، وتأبطت ذراع "ناصر" باحثاً عن بعض الدفء، متجهين إلى سيارتي التي وضعتها بالقرب من النادي، وفي طريق عودتنا كنا نتناقش بجدية عن دورنا كأولتراس في المرحلة الحالية من عُمر الفريق، والتي يتذبذب فيها أداؤه بشدة، كنت أرى أن دوري هذا الموسم (2008- 2009) ليس لنا بكل تأكيد، فقد خسرنا مباريات سهلة للغاية، ونستعد لمباراة سهلة جداً نظرياً في الغد كنت أثق في خسارتها مثل ثقتي في نفسي (وهو ما حدث بالفعل)، وكان "ناصر" يرى على العكس أن الفرصة مازالت قائمة، فنحن مازلنا في فبراير، والدوري مازال طويلاً.

- هو من إمتى الأولتراس بييأس كده يا "مووس"؟؟...
هكذا قال.

وإن اتفق كلانا على ضرورة تواجدنا المستمر بالملاعب لتشجيع الفريق والشد من أزر اللاعبين مهما كانت الظروف، وذكرني "ناصر" أن أيامنا تلك ليست الأسوأ، حيث تذكرنا سوياً (ديسمبر 2007) حين تشاركنا في لبس الحداد ورفع لافتة سوداء بالملعب أثناء مباراة الترسانة مع الزمالك قالت بوضوح (افتقدتم الرجولة، ففقدتم تعاطفنا).

- الله لا يعيدها أيام.. كنت بموت ساعتها

قالها "ناصر" بصدق حقيقي، وهكذا كان شعوري، كنت قلقاً للغاية على مستقبل الفريق، وأعلم أنه لابد من "ثورة" داخل جدران النادي لإعادة الفريق إلى المسار الوحيد الذي نتمناه له جميعاً.. مسار البطولات، لكن الموسم اقترب من نهايته، ولا يبدو أن هناك أية بارقة أمل، وبخبرتي مع الوطن/ الزمالك فإن التغيير لن يأتي إلا بعد صفعة قوية نتلقاها جميعاً، وكنت أرى تلك الصفعة في الأفق... وبوضوح.

وصلنا إلى (المعادي)، وأوصلت "ناصر" إلى بدايات شارع (أحمد زكي) الشهير فخبرتي علمتني أن أتركه هنا وألا أقود سيارتي في الأدغال التي يسكن فيها تجنباً لحرق دمي، ثم أكملت طريقي إلى "دجلة" عبر شوارع المعادي العنكبوتية، هاتفت "شيماء"، لأعتذر لها عن عصبيتي المبالغ فيها، ووعدتها بأن أمُر عليها غداً في كليتها، وأصطحبها إلى الغداء في مطعم (بكين) القريب من القرية الأوليمبية بالمعادي، فرحت بدعوتي، وأغلقت الهاتف، ممنياً نفسي بمساءٍ دافئ في الغد بين أحضانها، لذا فقد هاتفت "هشام" صديقي من فوري، حاجزاً شقته لنفسي في الغد، وافق كعادته، بعد أن نصحني بأكلة فوسفور قوية، كذلك حدثتهُ عن بحث "ناصر" عن عمل وفكرتي في أن يعمل لدى أبيه، ووعدني بطرح الأمر على الوالد بمجرد عودته من سفر قصير خارج البلاد.

المعادي- وسرير في المعادي:

- المايـوه ده هيـاكل مـن جسـمك حتـة يـا فراولـة.. عقبالـي بئـااااا

كانـت تعلـم أنـه صـادق، وأن المايـوه الكحلـي يجعلهـا فاتنـة بحـق، وأعجبتها جرأتـه الشـديدة التـي أعلـن بهـا رغبتـه فـي (أكلهـا).. نزلـت هـي اليـوم مـن الفيـلا وقـد قـررت أن تلـف رأس "مصطفـى"، وقـررت أن ترتـدي أكثـر مايـوه (Sexy) لديها لتكـن علـى ذات المسـتوى مـع "مصطفـى"... فمـا هـذا الكائـن الخرافـي، أهنـاك حقـاً رجـال علـى ذلـك المسـتوى مـن الوسـامة؟؟... عينـاه رومانيتـان واثقتـان، وشـعره البنـي الغزيـر الطويـل، أكتافـه العريضـة التـي تفضـح سـنوات وسـنوات مـن ممارسـة الرياضـة، اسـتقامة ظهـره وصلابة عـوده... وصوتـه!!!... مـا هـذا الصـوت؟؟ إنـه يشـبه صـوت (أسـامة منيـر) كثيـراً، وقـور، رخيـم.... إنـه رجـل مثيـر إلـى حـد بعيـد.

قـررت "شـيماء" منـذ تلاقـت عيونهمـا لأول مـرة منـذ شـهور أن تحظـى بهـذا الشـاب الممتـاز، يبـدو قويـاً وسـيماً ثريـاً وابـن نـاس.. فليكـن، وحتـى إن لـم يعجبهـا بعـد التعـارف وبعـد أن (يتصاحبـا) لأيـام، فلتتركـه ببسـاطة.. ولكنهـا تعلـم أنهـا لـن تتركـه قبـل أن تمشـي معـه فـي كافـة طرقـات النـادي، لتقـوم بتوصيـل رسـالة إلـى "كريـم" أنـه ارتكـب جُرمـاً فظيعـاً حيـن قـرر أن يقطـع علاقتـه بهـا.

رأت هـي "مصطفـى" لأول مـرة فـي تدريـب الغطـس، كان يجلـس وحيـداً، ويبـدو أنـه صديـق المـدرب، فقـد وجدتهمـا يتصافحـان، ويُحيـي كلا منهمـا الآخـر بابتسـامة مـن وقـت للآخـر.. كان الفريـق يسـتعد لبطولـة، ولـذا كان التدريـب طويـلاً ومرهقـاً، وحيـن انتهـت تدريبـات (السـويدي) والإحمـاء، وبـدأ التمريـن فـي المـاء كان "مصطفـى" قـد اختفـى.

خَرَجَـت "شـيماء" مـن التدريـب بعـد وقـت طويـل لتجـد مـرآة سـيارتها مكسـورة، ويقـف بجوارهـا "مصطفـى"، قـال إنـه كسـر المـرآة بسـيارته دون قصـد منـه، فذهـب فـوراً إلـى (شـارع 77) القريـب واشـترى لهـا مـرآة جديـدة، وانتظرهـا كـي يذهبـا سـوياً إلـى ورشـة قريبـة يعرفهـا، ليقـوم بتركيـب المـرآة علـى حسـابه!!

صدقتـه "شـيماء" بمنتهـى السـذاجة، فقـد كان يلعـب دور الشـخص المحتـرم ببراعة،كمـا كان يبـدو عليـه التأثـر والأسـف الشـديدين، وحيـن انتهيـا مـن تركيـب المـرآة كانـا يتبـادلان أرقـام الهواتـف، فـي حـال احتاجـت أي شـئ فـي أي وقـت، ولكـي تـرد لـه موقفـه (الشـهم)... هكـذا قالـت.

وفـي صبـاح اليـوم التالـي، بـدأت لقاءاتهمـا المنتظمـة والتـي لـم تنقطـع طـوال شـهور وشـهور، حيـن دعاهـا فـي هـذا الصبـاح إلـى فطـور علـى الطريقـة الأمريكيـة داخـل مطعـم

(لوسيلز) الأنيق بشارع 9، ثم عبرا الطريق الصغير حيث يقع بار وكافيه (فيلا 55) وبدأت العلاقة التاريخية التي ستألفها شوارع (المعادي)، وسيعرف بها كل فرد في من أفراد هذا الحي الراقي.

تسكن "شيماء" في فيلا صغيرة بشارع 101، ورثها الأب عن الجد، من قبل علاقتها مع "مصطفى"، الأم رحلت منذ عامين، وتعيش هي كأي فتاة صغيرة في سن المراهقة، تتشابك علاقاتها مع الشباب من مدرستها وفي النادي، خاضت الكثير من العلاقات العاطفية الفاشلة في سنوات ثلاث، كانت آخرها مع "كريم" الذي تركها بلا مبرر قوي، وارتبط بصديقة لها في النادي.

بحثاً عن التعويض النفسي، بحثاً عن الأمان الذي لم تعد تشعر به منذ وفاة (مامي)، ونظراً لصغر سنها، كانت "شيماء" على أتم استعداد لتصديق كل كلمات "مصطفى" المعسولة ووعوده الكاذبة، كانت تحب اسم "فراولة" الذي يطلقه عليها، كانت تحب اهتمامه بها، كانت تحب احتواءه لها باستمرار، سؤاله المستمر عنها، التزامه بحضور التدريب معها، متابعة نتيجة الثانوية العامة - حتى إنه سهر الليل كاملاً على الانترنت ليأتي لها بالنتيجة- وحين عرفت أنها ستحقق أحلامها لامحالة وستنضم إلى قسم اللغة الإسبانية بجامعة القاهرة، أحست بخليط ممتع

مـن المشـاعر، فقـد نضجـت هـي أخيـراً ودخلـت الجامعـة، وسـتنتمي إلـى الجامعـة الأعـرق والأكبـر فـي مصـر، سـتقف أخيـراً بجـوار السـاعة الشـهيرة والتـي تسـمعهم يذكرونهـا فـي الراديـو بـلا انقطـاع... (سـاعة جامعـة القاهـرة)، كمـا إنهـا سـتكون قريبـة للغايـة مـن المـكان الـذي وقـف تحتـه عظمـاء مصـر عبـر التاريـخ.. قبـة الجامعـة... كذلـك فقـد شـعرت "شـيماء" بـأن "مصطفـى" (وشـه حلـو) عليهـا، فقـد فـازت بالبطولـة التـي كانـت تتـدرب بسـببها حيـن قابلتـه، نجحـت في الثانويـة العامـة بعـد أسـابيع قليلـة مـن لقائهمـا، ونجحـت عـن طريقـه فـي التعـرف علـى الكثيـر مـن خبايـا (المعـادي) التـي تعشـقها لكنهـا اكتشـفت أنهـا لا تعرفهـا بصـورة جيـدة إلا معـه.

علمـت بعـد أيـام أن "كريـم" تلقـى علقـة سـاخنة مـن "مصطفـى" أمـام بـاب النـادي بسـببها، ففرحـت أن (رجلهـا) دافـع عنهـا أمـام الجميـع، وفرحـت أكثـر لمـا عرفـت أن "كريم" اختفـى لأسـابيع بسـبب تلـك العلقـة وأيقنـت وقتهـا أنـه لـن يضايقهـا مـرة أخـرى.

فـي صبـاح يـوم شـتوي بـارد، كانـت تسـتعد لبطولـة هامـة.. وكانـت تعـرف أن "مصطفـى" سـيدعمها بتواجـده فـي المدرجات، فقـررت أن تبـذل أقصـى جهـد لديهـا فـي البطولـة، وفـي إثارتـه، فهـي تعلـم أن "مصطفـى" عينـه زايغـة، ولهـذا قـررت أن تحرقـه بنيـران إثارتهـا وتعمـي عينيـه عمـن سـواها مـن البنـات.

نزلـت مـن الفيـلا وفـي حقيبتهـا المايـوه الكحلـي، كانـت تعلـم أنهـا تتحـول إلـى حوريـة مـن الحـور العيـن حيـن تضـع جسـدها داخلـه، وحيـن فـازت بالبطولـة دعاهـا "مصطفـى" لسـهرة بسـيطة احتفـالاً بهـذه المناسـبة فـي منـزل "هشـام" صديـق عمـره.

شـربت Vodka ID لأول مـرة فـي حياتهـا، تلقـت هديـة ذكيـة وغاليـة وبسـيطة وأنيقـة لأول مـرة فـي حياتهـا، أكلـت طعامـاً صينيـاً تعشـقه، تلقـت باقـة كبيـرة مـن الـورود البنفسـجية البديعـة، كمـا تلقـت مايـوه بكينـي وردي اللـون أظهـر مفاتـن جسـدها كاملـة أمـام "مصطفـى"... فاستسـلمت جـراء التأثيـر السـاحر للهديـة، وفتحـت سـاقيها لمصطفـى.. ليسـتريح.

لـم تنـدم هـي إطلاقـاً علـى مـا قدمتـه لـ"مصطفـى"، فقـد كانـت تثـق فيـه بجنـون، وتشـعر أنـه يحبهـا بعمـق، وأن مـا حـدث بينهمـا فـي تلـك الليلـة ومـا تلاهـا كان مـن المحتـم حدوثـه إن الآن أو فـي أي وقـت لاحـق، فهـو رجلهـا وهـي زوجتـه، كمـا أنهـا تعلـم أنهـا سـاخنة ومثيـرة وممتعـة بصـورة سـتجعله أعمـى إلا أمامهـا.. لـذا فقـد زادت ثقتهـا فـي علاقتهمـا ومتانتهـا، لـذا فقـد استمرت فـي إعطائـه جسـدها بـلا قلـق أو وجل.

كان "مووس" (هكذا يناديه الجميع وتناديه هي)، رجلاً ممتعاً في الفراش، لا يكف عن تقبيلها، لا يكف عن سكب كلمات الحب والغزل في آذانها، لا يكف عن مداعبتها، ولم يقم من فوقها مرة واحدة إلا بعد أن يقبلها قبلة طويلة، ويشكرها على الدقائق الممتعة التي قضاها مع جسدها... ياله من رجل.

تعلمت "شيماء" مع الوقت أنه لا رجل بلا عيوب، وكان عيب "مصطفى" الأبرز بالنسبة إليها هو (الزمالك).. ينافسها فريق الكرة هذا على قلب الشاب الوسيم، دارس الفلسفة، القارئ، المثقف، الواعي، موظف فودافون النشيط، الذي يضاجعها بنهم شديد... لطالما تخيلت هي أن "مصطفى" يبني سيناريو لقاءاتهما الحميمية على سرير "هشام" في (الوكر) وكأنه سيناريو مباراة، فيبدأ بجس النبض عن طريق القبلات التي يغرق يديها وقدميها وشفتيها ووجنتيها بها، ولما يشعر بتدفقها وتجاوبها، يتحكم بمهارة في منطقة وسط الملعب بأن يعتليها ويبدأ في محاولات هجومية فعالة، تثيرها كما تثار الجماهير في المدرجات، وحين يتبادل معها الهجوم والدفاع، يبذل أقصى طاقة ليحرز هدفاً ممتعاً، وحين يخرج منه عصير الحب، تشعر أنه يتذكر هدفاً ما من أهداف الزمالك، فيفرح للغاية... ويطمئن.

كانت تغار من (الزمالك) وإن تعودت على مجاراة "مصطفى"، أحبت هي اسم "نيرمين" الذي يرغب في إطلاقه على ابنتهما، فرغم أن الاسم قديم إلا انه متميز ومتفرد، وهي أكثر من يعلم أن الأسماء العادية كاسمها تجعل حاملها يحيا رغماً عنه في قالب لا يتمناه، فطالما تمنت أن يكون اسمها أي شئ آخر إلا "شيماء" هذا... فتحمست لنيرمين كثيراً.

- عرفها "مصطفى" على موسيقى الترانسات، وهي له شاكرة.
- عرفها "مصطفى" على خبايا شوارع (المعادي)، وهي له شاكرة.
- عرفها "مصطفى" على أحلى (عربية فول) في العالم، وهي عربية فول فوزي أمام جامع الفكهاني بالغورية، تلك المنطقة التي لم تدخلها في حياتها إلا معه، وهي له شاكرة.
- عرفها "مصطفى" أن الاحتفال بعيد ميلادها والمناسبات الخاصة دوماً له مذاق مختلف بحق، مع المزيد من الهدايا (الذكية) التي يُغرقها بها، وأن خير ختام لأي لقاء هو القبلة الطويلة الرائعة المليئة بالحنان، وهي له شاكرة.

هي تعلم أيضاً أن لها عيوبًا، فهي لحوحة أكثر من اللازم، تقلق عليه بلا توقف وكأنها تخشى فقدانه في أي

لحظـة، وهـو غالبـاً مـا يتوتـر جـراء طريقتهـا تلـك، لكنـه لـم يصـل بعـد إلـى مرحلـة التجاهـل، فهـو دومـاً مـا يـرد علـى هاتفـه مهمـا كانـت الظـروف، ولأن لـكل منهمـا عيوبًـا فهـي تشـعر معـه بالتـوازن، وقـررت أن تحبـه كمـا هـو، هـي تحبـه .. وكفـى، هـو يمـلأ حياتهـا، وهـي لا تريـد إلا هـذا الرجـل الهـادر المسـيطر الشـجاع القـوي الوسـيم الـذي يُعوضهـا عـن غيـاب أبيهـا فـي عملـه ونصـح وحنـان أمهـا الراحلـة، لا تريـد إلا أن تحسـدها عليـه كل فتيـات العالـم، هـي لا تريـد إلا "مصطفـى أحمـد سـعد الديـن" بفلسـفته وزمالكاويتـه، وعمقـه وعصبيتـه... وحبـه لهـا.

المعادي- ملاعب كرة قدم - كتاب التاريخ:

بيـن فبرايـر 2009 وإبريـل 2010 حيـن انتهـى كل شـئ، لـم يحـدث فـي حياتـي مـا يسـتحق الحكـي أو التركيـز عليـه، انتظـام بالعمـل فـي النهـار، وشـغف شـديد بالقـراءة واجتماعـات الألولتـراس وحضـور المباريـات بانتظـام وصرامـة، والكثيـر جـداً مـن الجنـس سـواء مـع جسـد "شـيماء" أو مـع أي فتـاة اقتسـمها مـع "هشـام" رفيـق عمـري حيـن يرغـب فـي ذلـك - فهـو ليـس مـن مهاويـس الجنـس مثلـي- وإن كان كأي شـابَ طبيعـي يفتقـد السـيطرة علـى هرموناتـه فـي بعـض الأحيـان.

ورغـم أن "هشـام" أهـلاوي منـذ الصغـر إلا أن جهلـه بكـرة القـدم أعفـى كلانـا مـن التعـارك حـول الزمالـك والأهلـي، هـو صديقـي وجـاري منـذ الأزل، اقتسـمنا المدرسـة والنـادي والتسـكع دومـاً، واقتسـمنا الفتيـات فـي الفـراش أحيانـاً، ولـم تتأثـر علاقتنـا تلـك بـأي شـئ حتـى عنـد دخـول كلا منـا كليـة مختلفـة فـي جامعـة مختلفـة، فقـد درس هـو إدارة الأعمـال فـي (مـودرن أكاديمـي) بالقـرب مـن المنـزل فـي المعـادي، وظلـت وتيـرة علاقتنـا ثابتـة، راكـدة، لا تتغيـر تفاصيلهـا، نلتقـي ثلاثـة أيـام فـي الأسـبوع أمـام "كشـك فرغلـي" أحـد أبـرز علامـات حينـا الأنيـق، والـذي لـن يمكنـك أن تكـون مـن سـكان المعـادي بحـق إلا عندمـا تتسـكع أمامـه قليـلاً، ثـم نذهـب إلى الجيـم الفخـم الموجـود فـي شـارع 9، وبعـده نجلـس علـى أي كافيـه طلبـاً لبعـض الشيشـة والكثيـر مـن السـجائر الـــ (ميريـت) التـي نسـد بهـا مسـام الرئـة بعـد فتحهـا فـي الجيـم.

ورغـم التفاصيـل الكثيـرة فـي حياتـي، تظـل كـرة القـدم هـي العلامـة الأبـرز فيهـا، فرحلتـي معهـا بـدأت منـذ عقـود وانتهـت فـى إبريـل 2010.. وعلـى ذكـر 2010 دعنـى أنعـش ذاكرتـك الكرويـة قليـلا.. مـع بدايـات الموسـم الكـروى لعـام 2009 - 2010 استبشـرنا جميعـا نحـن الزملكاويـة خيـرا وقلنـا- كمـا يحـدث كل موسـم فـى الواقـع- إن الـدورى للزمالـك لا محالـة.. وكان لنـا فـى ذلـك وقتهـا كل الحـق.. فمعنـا مديـر فنـى كـفء نجـح فـى إنقاذنـا مـن شـبح الهبـوط فـى الموسـم

السـابق (سويسـرى الجنسـية ميشـيل ديكاسـتيل) والـذى دأبنـا علـى مناداتـه جميعـا نحـن أربـاب الدرجـة الثالثـة بــ (ديكاسـتال).. واثنـان مـن أقـوى مهاجمـى مصـر وأكثرهـم شـهرة وتألقـاً فـى ذلـك الوقـت همـا (ميـدو) و(عمـرو زكـى).. يحـرس عريننـا الوحـش (عبـد الواحـد السـيد).. يدافـع عنـا نجـم المنتخـب (محمـود فتح اللـه).. وبجـواره العمريـن (عمرو الصفتـى) و(عمـرو عـادل).. معنـا صفقـة رابحـة بالمقاييـس الإعلاميـة والفنيـة هـي (حسـن مصطفـى) نجـم وسـط غريمنـا الأهلـي الأسـبق.. معنـا أيضـا صفقـة راهـن عليهـا نجـم الزمالـك الأسـبق الثعلـب (حـازم إمـام) كثيـراً وهـي صفقة اللاعب (سـيد مسـعد) والـذى يشـبه علـى مسـتوى الشـكل (جـود جونسـون) لاعـب نـادي توتنهـام الانجليـزى (فـى ذلـك الوقـت) إلـى حـد التطابـق لكنـه لـم يثبـت أن لـه أي علاقـة بـه علـى مسـتوى المضمـون.

مـا سـبق، جعلنـا كزملكاويـة نبـدأ الموسـم وكلنـا أمـل.. فنحـن نظريـا نمتلـك أقـوى وأهـم كتيبـة مـن النجـوم فـى حـدود جمهوريـة مصـر العربيـة.. أخيـراً نمتلـك مـا كان الزمالـك يفتقـده بشـدة وهـو الاسـتقرار.. ولكـن للأسـف كان ذلـك علـى الـورق فقـط.. وكعادتنـا دومـاً فقدنـا النقطـة تلـو الأخـرى.. هُزمنـا فـى مبـاراة وتعادلنـا فـى مباريـات .

بدأنـا الموسـم مـع فـوز (بالتخصـص) علـى إنبـى فـى أول أسـابيع الموسـم فإنبـى ورغـم قوتـه وتماسـكه وحفاظـه علـى هيبتـه فـى جـدول الـدورى العـام إلا أنـه بالفعـل وحتـى نهايـة موسـم 2009- 2010 لـم يسـتطع هزيمـة الزمالـك فـى مبـاراة واحـدة، فمنـذ تواجـده بالـدورى الممتـاز تعـادل معنـا سـت مـرات متتاليـة ثـم هُـزم أمامنـا اثنتـى عشـرة مـرة سـواء فـى الـدورى العـام أو فـى مسـابقة كأس مصـر، وهـو مـا كان يجعلنـى كزملـكاوي واثقـا مـن الفـوز علـى إنبـى مهمـا كان مسـتوى فريقـى، ثـم خسـرنا فـى ثانـى أسـابيع الـدورى مـن بتروجيـت، وبتروجيـت وقتهـا كان فريقًـا قويًـا وعنيـدًا، يمتلـك بالإضافـة إلـى مدربـه الكـفء وقتهـا (مختـار مختـار)، كتيبـة مـن النجـوم تتمنـى نصفهـا كل أنديـة الـدورى العام تقريبـاً.. ثم جـاء بعـد ذلـك تعـادل معجـون بالهزيمـة مـع فريـق المقاولون العـرب، ثـم فـوز هزيـل علـى الاتحـاد.. ثـم هزيمـة مـن طلائـع الجيـش.. فهزيمـة مـن الإسـماعيلي علـى أرضنـا بهـدف قاتـل.. ثـم تعـادل بطعـم الهزيمـة مـع الجونـة هـذا الفريـق الوافـد الجديـد للـدورى فـى ذلـك الوقـت.. وبعـد مـرور سـبعة أسـابيع كاملـة مـن عمـر الـدورى نفـوز علـى الإنتـاج الحربـى فـوزا غريبـا جـداً فـى الواقـع بنتيجـة 3 - 2 فلـو اسـتمرت هـذه المبـاراة لدقائـق قليلـة إضافيـة لكنـا هُزمنـا بجـدارة!

يـوم مبـاراة الإنتـاج الحربـى، يـوم لا ينسـى، فهـو فريـق حديـث العهـد بالـدورى العـام، كان هـذا الموسـم أول مواسـمه

فيه، ورغم ذلك استطاع أن يحرج كيان ضخم كالزمالك- نحن التاريخ والسجل الحافل والملىء بالنجوم- وبقوة.. يومها كنا نرتدى طاقما أسود بالكامل على عكس طاقم الزمالك الأبيض المعتاد، ويبدو أنه كان طاقما منحوساً... فكما ذكرت لك فقد كدنا نُهزم فى تلك المباراة، وقد خرجت من الاستاد يومها مكتئباً، خائفاً على مستقبل الزمالك، فها قد مرت سبعة أسابيع ولم نفعل أى شئ يليق باسم الفريق، خرجت من الملعب يومها، لتأتينى مكالمة من "شيماء" تتهلل فرحاً لأننا فزنا، وصحيح أننا كنا فى بدايات الشتاء، وكان الطقس لطيفا فى هذه الفترة، لكنني كنت أرتعد من البرد بلا سبب محدد.. فأتت مكالمة "شيماء" هذه المرة لتشعرنى بالدفء، وكانت تلك من المرات القليلة التي أدفأتنى فيها مكالمتها.. طلَبَت رؤيتى فوافقت بلا تردد.. التقينا فى منزل "هشام" صديقى- أو الوكر- كما نطلق عليه، وكان يوما ملعونا، فكما شهد تراجعاً فى منحنى أداء الزمالك، شهد أيضا تراجعاً فى منحنى فحولتى... لم أكن طبيعيا بالمرة يومها، ويبدو أن حالتي المعنوية السيئة وخوفى على الفريق قد أثرا سلباً على أدائى فى السرير، فقمت من فوقها، لأرتدى ملابسى بسرعة وأخرج متحججاً بأن ورائى فى الغد يوما حافلا فى العمل.

ويبدو أن ارتداء الفريق للطاقم الأسود كان بمثابة بوابة جهنم بالفعل، فتوالت الهزائم بعد ذلك، من غزل

المحلة ثم اتحاد الشرطة، وأرجو ألا تنس أنه زمن (هنرى ميشيل)... فقد استغنى مجلس إدارتنا عن "ديكاستال" وقرروا أن يعيدوا إلينا الفرنسى الفاشل الذى يجلس فى موقعه على الدكة متفرجاً، متابعا بدون حراك، ينزل الملعب واثقا من الخسارة ولا يحرك ساكنا طوال 90 دقيقة لمحاولة التعديل، وأخيراً جاءت الإقالة المنتظرة، ارتفعت الأصوات فى تلك الفترة مطالبة بما يشبه "ثورة التصحيح"، لابد أن يتولى الزمالك رجل فاهم لحالة كرة القدم المصرية، قائد، حماسي، يأبي الخسارة، ولا يعرف إلا طعم النصر.. وبعد مباراة اتحاد الشرطة مباشرة خاض الزمالك تلك المباراة التي أعتقد أنها مباراة مفصلية فى تاريخ النادي طوال 99 عاما هي كل عمره المديد فى ذلك الوقت، مباراة حرس الحدود، والتي شهدت أول ظهور للعميد (حسام حسن) كمدير فنى للأبيض، وخسرنا فيها ثلاث نقاط مهمة للغاية بعد إحراز حرس الحدود هدف المباراة الوحيد، وبعدها مباشرة، أهدتنا السماء تعادلاً بطعم الفوز الساحق مع الغريم اللدود (الأهلي) أكد قوة العميد وحنكته، حيث إنه جاء بعد أقل من أسبوع من توليه مسئولية الفريق... ولا تنس أن يومها كنا نحن الأكثر اهتزازاً، وهم كانوا الأكثر تماسكاً، نحن الجانب الأضعف، وهم كالعادة الأقوى والأوفر حظا، هم يمتلكون كافة المفاتيح، لكننا كنا نملك (المقصلة).. كنا نمتلك روح "حسام حسن".

"حسام" سيبقى دوماً واحداً من أهم وأقوى الأساطير الكروية المصرية، فكل من عاصره أو رآه في الملعب يعلم تمام العلم أنه يمتلك روحاً قتالية قلما تتواجد فى لاعب كرة قدم.. يقف شامخاً كتفاً بكتف مع عظماء اللعبة فى العالم أجمع، مهاجماً فذاً، يتقن إحراز الأهداف، ينقل عدوى الحماس والولاء لكل من يجاوره على العشب الأخضر، يمتلك كاريزما الرجل الأول ويستطيع القيادة والتأثير فى الآخرين بكل سهولة، هو شخص يستطيع تحويل الدفة بيسر وسلاسة فى أى اتجاه يريد، وكانت بوصلته فى تلك الفترة تشير بإبرتها فى اتجاه وحيد.. اتجاه الزمالك.

زمن العميد.. ذلك هو الزمن الذى رفعنا رأسنا فيه، وعلا فيه صوتنا، عادت فيه الهيبة واستُردت فيه العافية.. وفى وسط هذا الزخم كنت أعيش أنا حالة غير اعتيادية من الفرحة.. أتجول بين ملاعب القاهرة والكلية الحربية والإسكندرية والإسماعيلية وبورسعيد وأسيوط وغيرها لأؤدى واجبى كمشجع زملكاوي.. أترك الجزء التافه من حياتي وما يحويه من تفاصيل البيت والعمل والحب لأتفرغ بكل ما أوتيت من قوة وحماس وحواس للجزء الأهم.. للجزء الذى أؤمن به وبقوة.. الزمالك ولا شىء غيره.

الفوز ثم الفوز فالفوز ومن بعده الفوز.. كان هذا زمن "حسام حسن" ولهذا فقد توالى ضحايانا فى الدورى

العام في سبعة لقاءات متتالية، وهو ما ساعدنا في الترقي داخل الدوري لنصل إلى مركز متقدم للغاية بعد أن كنا نحتل المركز الثالث عشر، وتوقف قطار الفوز اللاهث بعد ذلك فى الإسماعيلية بتعادل مقبول خسرنا به نقطتين ولم نخسر به من كانوا أصدقاءنا فى شرق مصر... نعم، (من كانوا)!!.. فنحن كجماهير أصبحنا لا نثق فى الإسماعيلي ككيان بعد احترافه أخذ الأموال من النادي الأهلى، وتعاطفهم -كلاعبين ومجلس إدارة - غير المعلن مع الأهلى، بل انصياعهم له تماماً.

جاءت بعد ذلك ثلاثة انتصارات متتالية، ثم تعادل سخيف قاس فى تلك المباراة الدموية مع فريق اتحاد الشرطة والتي تحولت فيها أرضية إستاد القاهرة إلى ما يشبه ساحة الحرب بعد أن حاول أبناؤنا الدفاع عن الكيان الأبيض ضد القهر والتعسف التحكيمى المعتاد.. فجاء الرد بقرارات تجعلك كارها لكل شخص يستطيع أن يتحكم فى مصيرك ومصير فريقك، جاء الرد بعيداً كل البعد عن الإقناع ليقهر اثنين من أهم لاعبى الزمالك وأصغرهم سناً وقتها (حازم إمام- علاء على) بحرمان الأول من الاشتراك فى ثمانى مباريات مع غرامة مالية ثمانية آلاف جنيه مصري، وعقاب الثاني بالحرمان من نصف عدد المباريات ونصف كمية البنكنوت، فقط لأنهما حاولا الدفاع عن شرف فريقهما وكرامته المهدرة على أرضية الملعب، قرارات

همجيـة هـي، قـرارات أثـرت فـى نفـوس الفريـق والجماهيـر، لكنهـا لـم تفقدنـا الثقـة فـى صلابـة العميـد وعـدوى الحمـاس التـي نقلهـا للفريـق... لـم تفقدنـى الثقـة فـى هـذا الصـرح الصلـد.. فـى هـذه الأسـطورة التـي أرى أننـا نبخسـها قدرهـا كثيـراً عندمـا نطلـق عليهـا العميـد.. أبـداً لـم تفقدنـى الثقـة فـى "حسـام حسـن".

جـاءت بعـد ذلـك هزيمـة مفاجئـة وغيـر متوقعـة مـن حـرس الحـدود علـى أرضهـم فـى إسـتاد المكـس بالإسـكندرية.. هزيمـة مـرة هـي، جـاءت فـى الوقـت القاتـل بالنسبة للمبـاراة (فـى الدقيقـة 91) وبالنسـبة لتوقيـت جـدول الـدورى العـام، فقـد جـاءت قبـل مبـاراة الأهلـي مباشـرة، وأعتقـد أن التعـادل مـع اتحـاد الشـرطة والهزيمـة مـن حـرس الحـدود لـم يفقدانـا مجـرد خمـس نقـاط، لكـن تحولهمـا إلـى فـوز، كان سـيضمن لنا أن نسـتقر علـى عـرش الـدورى العـام بنسـبة تتخطـى الـ 80 %، وذلـك اعتمـادا علـى عـدد النقـاط والفـارق الـذى كان سـيضيق للغايـة مـع الغريـم التقليـدى واللـدود (الأهلـى) إذا وضعنـا فى الحسـبان أيضـا الحـالة النفسـية والمعنـوية لـلاعبى الأهلـي ومجلـس إدارتـه وقطعـاً حالـة جهـازه الفنـى- المرتبـك فعـلا وقتهـا-.. وأكاد أجـزم أن خريطـة الـدوري كانـت سـتتغير تمامـا لـولا ترتيـب القـدر.. مـع الوضـع فـى الاعتبـار أن الأهلـي أخفـق كثيـراً جـدا فـى هـذا الموسـم.

الأهلـي فـى موسـم 2009- 2010 بـكل تاريخـه (المضىء) كمـا يصـوره الإعـلام الأحمـر، لـم يحقـق الفـوز بفـارق يزيـد عن الهدفيـن طـوال مباريـات الـدوري، حتـى مـع بتـرول أسـيوط متذيـل ترتيـب الجـدول... الأهلــي فقــط يسـبقه الرعــب بمسـيرة شـهر، الجميـع يخشـاه لمـا يحملـه مـن تاريـخ قـد يكـون مزيفـاً وغيـر حقيقـى، الجميـع يهابـه لمـا يسـمعونه مـن الإعـلام (الأحمـر) عـن مـدى قوتـه.. الأهلـي كان يبـدو وقتهـا كصنـدوق أضـاع السـاحر (مانويـل جوزيـه) مفتاحـه الصـدئ، فقـد خسـر الأهلـي مـع بدايـة الموسـم بطولـة كأس السـوبر المصـري علــى يــد جـرس الحــدود.. وفــى الـدورى كان قــد تعـادل فـي كل المباريـات الصعبـة، وخسـر مـن غـزل المحلـة المهـدد بالهبـوط.

الأهلــي المتخبــط.. العنيــف.. الطامــح.. المترنــح، كان يســتعد للقــاء الفــارس الآتــي ركضــا مــن الخلــف.. سـيقابل العــداء الــذى ســقط مــع بدايــة جريــه فــى المضمــار لكنــه اكتسـب احتـرام الجميـع عندمـا اسـتطاع الوقـوف علـى قدميـه مـرة أخـرى والاقتـراب مـن المقدمـة.. وزاد احتـرام الجميـع لـه عندمـا خضـع لـه المرُبـع الثانـي، وسـجد لـه المرُبـع الأول، عندمـا دنـا كثيـراً مـن شـرب كأس النصـر.. الأحمـر كان يسـتعد لمقابلـة الزمالـك.

وسـأعتمد علـى أنـك كـروي الطابـع مثلـي، وأتحـدث معـك (كفنييـن)، أنـت تعـرف أن أكثـر مـا يخافـه فريـق الكـرة فـى أى وقـت هـو طمـوح الفـرق الأخـرى، ومـا يجعـل فرائـص الفـرق الكبيـرة ترتعـد حقـاً هـو الفـرق المماثلـة إذا ترنحـت ثم أفاقـت، حتـى أنهـم فـى التحليـلات الكرويـة العتيقـة يمـلأون رأسـك بالكثيـر مـن العبـارات التـي تحـذرك مـن "القادمـون مـن الخلـف" فهـم يأتـون بغتـة، يأتـون مندفعيـن، يأتـون وهـم معبـأون بالإيمـان.. يأتـون لتحقيـق الهـدف، والزمالـك (القـادم مـن الخلـف) اسـتطاع أن يجـرى بيـن جنبـات قاعـة الـدورى العـام المصـري ليجلـس وحيـدا وبـلا منافـس، واحـد فـى الصـف الثانـي بعـد أن كان يجلـس فـى الصـف الثالـث عشـر، يجلـس فـى هـذا الصـف الـذى سيسـمح لـه بدخـول بطولـة إفريقيـا أخيـراً بعـد سـنوات عجـاف، ليصفـع الأهلـي الجالـس فـى الصـف الأول علـى قفـاه ويزيـد مـن رعبـه وتوتـره... يجلـس فـى هـذا الصـف ليصـرخ فـى أذن (الأهلـي) أن مـا أُخـذ بالتحكيـم المتحيـز وبالأمـوال وبالحـظ أحيانـاً، قـد يُسـترد بالمجهـود والعـرق والإيمـان.

وكفـرد أولتـراس، كنـت أعلـم واجبـي تجـاه فريقـي تمامـاً، أعلـم أننـي اللاعـب رقـم 12، الـذي يزأر بصوتـه محفـزاً (زملاءه) فـي الفريـق، وحتـى قبـل انضمامـي رسـمياً لمجموعـة الـــ (وايـت نايتـس)، كنـت أمـارس هـذا الـدور بـلا وعي منـي، وجل مـا فعلتـه فكـرة (الأولتـراس) بـي أن شـذبت طاقتـي ووجهتهـا

فـي الاتجـاه الصحيـح، فقـد عشـت حياتــي زملكاويـاً مخلصـاً، لكننــي لـم أكـن فعـالاً، وكأي ابـن بـارٌ بوطنـه/ فريقـه/ أهلـه، علمتنــي الأولتـراس أن أكـون فعـالاً مـع الكيـان.. مـع الزمالـك، لأتحـول مـع الوقـت إلــى شـخص جديـد، أحببتـه للغايـة منـذ لحظـة انضمامـي للمجموعـة.

مدينة نصر - الحي السابع:

وككل الأحداث الجسام، كان انضمامي للأولتراس مثيراً

الجمعـــة 10 أغســطس 2007.. تشــير عقــارب الســاعة إلــى السادســة والربــع مســاءً وأنــا أنفــث الدخــان القليــل الـذى ينبعـث مـن شيشـتى التـي قـام القهوجـي بـرص حجرهـا السـادس لتـوه.. نفـس عميـق.. رأسـى لأعلـى.. أنفـث الدخـان، ذلـك هـو قانـون دخـول (قـص البـرج) إلـى رئتـى إذا شـئت الدقـة، لكننــي اليـوم أفعلهـا بعصبيــة زائــدة، بتوتـر شــديد.. أفعلهِـا وقـد اقتربـت جـدا مـن إلقـاء خرطـوم الشيشـة أرضـا ومغــادرة المــكان.. لــولا أننــي لا أســتطيع، فقــد كنــت فــى انتظـار شـخص مهـم للغايـة... ويزيـد مـن توتـرى أن المقهـى جديـد كليـاً علـيَّ، أجلـس وسـط عشـرات الوجـوه التـي لا آلفها، علـى كرسـى بلاسـتيكي أصفـر اللـون، داخـل مقهـى واسـع جيـد التهويـة بالحــى السـابع فــى مدينـة نصـر، بالقـرب مـن مـكان الاجتمـاع الــذى ســألتقى فيـه إخوانــى فــى المجموعــة الأكثـر نظامـا وتدفقـا فــى مدرجـات الزمالـك.. الأولتـراس.

كان الاجتماع تحضيرياً، نلتقى فيه قبل الموسم بأيام قليلة لتوزيع المهام وليعلمنا جميع المسئولين عن المجموعة بمسئولياتنا تجاه الزمالك فى الموسم القادم، وليرفعوا من ثقافتنا الكروية والتشجيعية قليلاً.. اجتماعاً كان بمثابة الحصة الأولى التي سأحضرها فى مدرسة الأولتراس، ولهذا كان يملؤنى التوتر والحماس.. سئمت من الشيشة السيئة التي جعلتني أفتقد "مهدي" ومهارته في (رص) الشيشة كثيراً، فألقيت بخرطومها والذى يدعونه (اللَّى)، وأخرجت سيجارة ملتوية من علبتى التي فقدت آخر سجائرها لتوها.. أزعجنى أزيز هاتفى المحمول، فأرد على "شيماء" قائلاً أنني سأبقى فى مدينة نصر لبضعة ساعات، وأنني لن أقابلها نظرا لانشغالى بموضوع مهم على القهوة وكالعادة ترد:

- دايما حاجة مهمة يا "مصطفى".. دايماً !!! .

أرد ببرود وصرامة لثقتى فى أن برودي لن يغير من موقفها إطلاقاً :

- أيوة، دايماً حاجة مهمة.. وبعدين انتى محموئة ليه كده هو احنا بينا ميعاد النهاردة؟

فردت بصوت باكٍ :

- لا.. مفيش بيننا مواعيد ولا أى حاجة.. سلام يا "مصطفى".

تذكرت موعدي معها في اللحظة التي أغلقت فيها الخط، موعد فاتني بكل تأكيد، وعلها كانت تهاتفني أثناء

انتظارها في "فيلا 55" فقد كان عليَ أن أقابلها قبل ساعة من الآن ثم أصطحب جسدها إلى (الوكر)، لكنني لم آبه لنسياني الموعد وتفويته، ولم أندم على تلك الليلة الحمراء التي أعلم أن "شيماء" تنتظرها منذ أيام حيث لم يتلاقي جسدانا منذ أوائل الأسبوع الماضي، لكنني لم آبه كما قلت حيث إنني لم أعد أطيق تلك الفتاة، ولولا أنني ألوم نفسي في كل يوم على علاقتي بها، ولولا أنها طيبة القلب بحق، لكنت تركتها ولا أبالي، هي جميلة وتحبني، تثق فيَ وتخطب ودي على الدوام، وأنا لا يربطني بها سوى أنه لا أنثى سواها في حياتي - مع استثناء بعض العاهرات- ونشاطها غير العادي في السرير... والاعتياد.

هي داخل السرير كخارجه، تبذل كل ما تستطيع من الجهد لإرضائي وإسعادي، تستجيب لطلباتي أياً كانت درجة شذوذها، حتى إنها استجابت لطلبين متناقضين بذات الأسبوع حين طلبت منها ارتداء الحجاب، وحين مللت صورتها به بعد أيام خمسة أمرتها بخلعه، وقد كان.

وأعلم أن فحولتي ليست سبب تعلقها الشديد بي، أنا رجلها كما تفهم هي كأنثى، كانت واثقة أنها هَزَمت العديد من الفتيات حين فازت بأول لقاء معي، هي تعلم أن لفوران جسدها وملامحها الجميلة الواضحة كل الفضل في لف شباكي حولها، وقد استسلَمت لي بعد

أول دقائـق قضيناهـا سـوياً وقـت أن بـدأت علاقتنـا فـي 2005، ولـم لا وأنـا أعمـق وأقـوى وأذكـى مـن قابلـت مـن الشـباب فـي حياتهـا القصيـرة؟، صحيـح أننـي لسـت الأكثـر ثـراءً، خاصـة أن المعـادي تمتلـئ بمـن يمتلكـون أضعـاف مـا أملـك، لكـن "شـيماء" تتعلـق بــ"مصطفـى" لا بجيـب "مصطفى" وحسـاباته البنكيـة.

وأعلـم يقينـاً أن اسـتمتاعها بـي فـي لحظاتنـا الخاصـة زاد مـن تعلقهـا بـي، اللحظـات التـي كلمـا زادت كلمـا زاد يقينهـا بارتباطنـا الحتمـي، وزاد شـغفي بتركهـا، تحدثنـي هـي دومـاً عن حياتهـا السـاذجة داخـل جامعـة القاهـرة، وانبهارهـا بمـا تـدرس مـن مـواد... بيتنـا وزواجنـا... رغبتهـا فـي تصميـم وتنفيـذ حفـل زفـاف نهـاري مختلـف عـن كل مـا رأت، عـن تـرك المعـادي بحثـاً عـن منـزل منعـزل بالشـروق أو الرحـاب، تحدثنـي عـن رغباتهـا للإلتحـاق بالعمـل فـي إحـدى سـفارات دول أمريـكا اللاتينيـة، إلـى آخـر (كلام النسـوان) الـذي لا أهتـم بـه حقـاً.

- تعرف رقم خدمة عملا فودافون والنبي يا كابتن؟

سـؤال مباغـت مـن الرجـل المسـن الـذي يجلـس علـى المنضـدة المجـاورة لـي فـي المقهـى، انتزعنـي مـن أفـكاري حـول "شـيماء"، ليلقـي بـي فـي دوامـة جديـدة مـن الأفـكار.. أعطيتـه الرقـم، بـل وسـاعدته فيمـا يريـد أن يستفسـر عنـه فـي الهاتـف.. شـاكراً إيـاه فـي أعماقـي حيـث قـذف بعقلـي إلـى

مكان آخر، أقتل بوجودي فيه دقائق الانتظار في المقهى التي طالت حتى ساءت حالتي... أرسلني هو دون أن يقصد إلى فودافون.

كنت أعمل في الشؤون الإدارية بالشركة، اجتمعت رغبتي وطاقتي مع ظروفي وطبيعة شخصيتي وأقداري، ليجعلوا مني موظفاً أكثر من تقليدي، ألتزم بالزي الرسمي، ألتزم بمواعيد العمل، أتعامل مع الجميع بودٍ زائف، وصحيح أنني لا أحتقر المكان أو سكانه من البشر، لكنني وبالأساس لا أكن أية مشاعر تجاههم سلبية كانت أو إيجابية، ولهذا فقد كنت أتعامل معهم بما تقتضيه عليَ الظروف، أنا موجود في فودافون لأتطور وظيفياً وأتقاضى راتبي بانتظام، أنا هنا حتى أجد فرصة أفضل ترفع من راتبي قليلاً... فقط لا غير.

علمني تواجدي في شركة منضبطة لها نظام واضح كفودافون أن أتصرف بشكل عادي، أن أكون هذا الشخص التقليدي، المنضبط، الشهير بين زملائه بأنه الشخص المثقف الذي يعرِف كل شئ، فالكل يطلب رأيي حول كتاب يقرأه، الكل يريد نصيحتي حول حياته الخاصة والوظيفية، الكل يريد مني فتح خزانة عقلي لأجيبه عن سؤال عويص في الكلمات المتقاطعة.. الخ، وهو ما سهل لي كثيراً أن يعرفني الجميع ويلجأ لي الجميع، وسهل

كذلـك أن أرسـم دور غريـب الأطـوار بدقـة، فأصمـت أكثـر مما أتكلـم، وأتهـرب بسـهولة مـن أيـة التزامـات خـارج إطـار العمـل، فـلا أحضـر حفـل عيـد ميـلاد لزميـل أو زميلـة، ولا أرافق أي شـخص علـى الغـداء، ولا حتـى أُجـاور أي شـخص بغرفـة التدخيـن التـي أزورهـا مـرات عديـدة أثنـاء سـاعات العمـل، ولهـذا فقـد اشـتهرت بيـن الجميـع بأننـي الشـخص الـذي يهـرب علـى الـدوام مـن محاولـة أي شـخص التـودد إليـه ولـو حتـى بتحيـة الصبـاح.

لكنني مريض بالنساء

لكنني أزداد مللاً من جسد "شيماء"!!

ولأننـي مـن البيـت للنـادي للاسـتاد للبيـت للعمـل للنـادي وهكـذا، فقـد تقلصـت فـرص لقائـي بـأي صنـف أنثـى كثيـراً كثيـراً.. بـكل تأكيـد لـن أرتبـط بـأي فتـاة مـن عالـم (ميت عقبـة) فأنـا أصـلاً لا أقابـل هنـاك أيـة فتـاة، كمـا أن علاقتـي بنـادي (المعـادي) شـبه مقطوعـة ولا يحافـظ عليهـا إلا زيـارة أو اثنتيـن علـى الأكثـر كل عـام، ولـم يكـن أمامـي إرضـاءً لشـهواتي وهرموناتـي إلا بابـاً واحـداً كنـت شـديد الحـرص علـى عـدم فتحـه، لكننـي فعلـت.... العمـل!!

DON'T SHIT WHERE YOU EAT

مثـل إنجليـزي بليـغ أعيـد تكـراره علـى نفسـي باسـتمرار، لا تُلـقِ بفضلاتـك حيـث تـأكل، لا تلـوث "أكل عيشـك"، لا تقُـم

بـدور زيـر النسـاء فـي مـكان العمـل، سـيطر علـى هرموناتـك.. لكننـي كنـت أفـور، لكننـي مهتـاج ومحتـاج، والمداخـل قليلـة للغايـة، وبعـد أكثـر مـن سـنة مـن علاقتـي بشـيماء ومللـي مـن جسـدها ورائحتهـا، تغاضيـت عـن الحكمـة الانجليزيـة، وتبعـت شـهواتي.

المقطم:

استيقظ "عـلاء" مـن نومـه فـي هـذا الصبـاح الخريفـي الكئيـب، وهـو يشـعر بملـل غيـر طبيعـي، ورغبـة غيـر عاديـة فـي التكاسـل وعـدم الذهـاب للعمـل، كان الوقـت مبكـراً، ومـازال أمامـه بعـض الوقـت، ورغـم إلحـاح كسـله إلا أنـه كان يؤمـن بجسـامة المسـؤوليات الملقـاة علـى عاتقـه، لـذا فقـد قـرر إمضـاء بعـض الوقـت مـع جسـد زوجتـه الدافـئ، علـه يسـتعيد بعضـاً مـن طاقتـه، فبـادر بإيقاظهـا وطلـب منهـا كـوب شـاي فـي "الأنتريـه"، وكعادتهـا استسـلمت لرغبتـه وقامـت من فورهـا.

-متجيبيـش الشـاي إلا بعـد مـا تحطـي شـوية أحمـر وأخضـر... ماشـي؟

قالهـا مبتسـماً بحنـان حقيقـي، وفهمـت هـي مـراده فابتعـدت خارجـة مـن الغرفـة وهـي مسـرعة الخطـى فـي اتجـاه المطبـخ، وبعـد لحظـات سـمعته يدخـل الحمـام، فعادت

إلـى غرفـة النـوم مـرة أخـرى، لتجلـس أمـام المـرآة وتنظـر إلـى ملامحهـا الدقيقـة، وتبـدأ فـي وضـع بعـض مسـاحيق التجميـل الخفيفـة، وتتعطـر بـلا أن تنتابهـا أيـة مشـاعر أو تعتريهـا أيـة رغبـات... كالعـادة.

أطفـأ " عـلاء " سـيجارته فـي المنفضـة القابعـة علـى منضـدة زجاجيـة صغيـرة تتوسـط غرفـة المعيشـة فـي منزلـه الرحـب الأنيـق، نظـر إلى أصابعـه التي تلوثـت ببقايا السـيجارة، وابتسـم حيـن تخيـل أن نفـس تلـك الأصابـع سـتتلوث بعـد قليـل بمـا بيـن فخـذي امرأتـه مـن دلائـل الشـهوة والعشـق... مـد يـده فـي جيبـه ليتنـاول (بخاخـة) صغيـرة ورش بعضـاً منهـا داخـل فمـه، وابتلـع نكهـة النعنـاع الحـادة فـي نهـم، ثـم رفـع صوتـه مناديـاً علـى "حنيـن" زوجتـه.. التـي أتـت وهـي مرتديـة بيجامـة منزليـة ورديـة اللـون، تتماشـى مـع الطقـس البـارد نسـبياً بالخـارج.

أجلسـها بجـواره، وأدخـل يـده اليسـرى ليداعـب ثدييهـا المكتنزيـن، وسـط اسـتياء بـدا علـى ملامحهـا، ولـم يُلـقِ هـو بـالاً لاسـتيائها كعادتـه، كان يعلـم أنهـا تكـره طريقتـه فـي اسـتدعائها للجنـس، حيـث صرحـت لـه مـراراً أنهـا تشـعر علـى الـدوام أنهـا وبطريقتـه تلـك لا تزيـد فـي نظـره عـن عاهـرة، يمتلكهـا بسـطوته وقوتـه ونفـوذه، وذلـك مالـم تكـن تتمنـاه فـي زوجهـا أبـداً... لكنـه كان دومـاً يرغـب فـي الشـعور بأنـه

رب المنـزل، وسـيد الفـراش، هـو (مزاجـه) كمـا يفهـم، وليـس علـى زوجتـه إلا الطاعـة.

بـدأ " عـلاء" فـي خلـع ملابسـها عنهـا، قطعـة تلـو الأخـرى وهـو يـأكل جسـدها بعينيـه، خلـع عنهـا البيجامـة الورديـة وتـرك ملابسـها الداخليـة متعمـداً، ثـم خلـع حزامـه الجلـدي الأنيـق، أدارهـا.. ثـم ربـط يديهـا مـن الخلـف وهـي لا تملـك مـن أمرهـا شـيئاً.

أوقفهـا فـي مواجهـة حائـط المطبـخ، وتركهـا لثـوانٍ عـاد بعدهـا مـن غرفـة النـوم حامـلاً "سـوطاً" شـرس المظهـر كان قـد صنعـه بنفسـه بعـد أيـام مـن الـزواج، ثـم بـدأ فـي جَلدَهـا بقسـوة آمـراً إياهـا ألا تصـدر أي صـوت، وظـل يتابـع بشـرتها الخمريـة الطريـة وهـي تتحـول إلـى اللـون الأحمـر تحـت وطـأة ضربـات سـوطه.

وحيـن شـعر بالرغبـة تشـتعل، خلـع عنهـا مـا ترتديـه مـن بقايـا، وخلـع ملابسـه بسـرعة، قائـلاً أنـه سـيجرب شـيئاً جديـداً عليهمـا.. فحملهـا عاريـة تمامـاً وعلقهـا علـى الحائـط بعـد أن ربطهـا مـن الحـزام فـي عمـود معدنـي يسـتقر علـى بـاب غرفـة المعيشـة يسـتعمله كتدريـب "عُقلـة" فـي بعـض الأحيـان.

أخذ لها صورتين أو ثلاثة بهاتفه المحمول وهي في هذا الوضع المخزي، ولم تُجدِ توسلاتها إليه نفعاً، بل زادته حماسة وإصرار، ثم بدأ في مضاجعتها وهي معلقة كالذبيحة، نصف ساعة تقريباً مرت عليها كنصف قرن، وانتهى بعدها كل شئ.. تركها معلقة في هذا الوضع لدقيقة ارتدى فيها ملابسه، وبدون أية أسباب، انطلق في جَلدَها من جديد... وبمنتهى الوحشية والعنف، حتى سالت من جسدها بعض الدماء، وسط صرخات أمرها ألا تُصدرها في البداية، ولما لم تستجب لأوامره دلف إلى المطبخ وعاد بخرقة بالية تستخدمها "حنين" لمسح منضدة المطبخ ووضعها في فمها ليكتم صرخاتها، ثم عاود جَلدَها من جديد، وفارت شهوته من جديد، فضاجعها من جديد، وانتهى كل شئ بسرعة من جديد، فقرر أن ينزلها، ثم فعل ما استغربته "حنين" للغاية... قَبَلها بحبٍ حقيقي قائلاً:

- أنا متشكر أوي يا "حنة"... واحدة غيرك عمرها ما كانت استحملت الهبل اللي بعمله دة.

لم تعرف "حنين" بماذا تجيبه في تلك اللحظة، كانت الدماء التي تسيل من ظهرها، والألم الشديد الذي يعتري جسدها كله من جراء التعليق والضرب يشغلونها عن الترهات والكلام الفارغ الذي يقوله "علاء".. فآثرت الصمت والاستسلام لقبلاته.. والبكاء.

وبعـد خروجـه مـن المنـزل بثـوانٍ، كانـت "حنيـن" تقـف عاريـة تمامـاً أمـام المـرآة فـي الحمـام، مضمضـت فمهـا لتطـرد طعـم الخرقـة الباليـة منـه، وربمـا لتطـرد طعـم قبلات "عـلاء" كذلـك، تنظـر إلـى جسـدها الـذي أنهكـه تكـرار العنـف، وتحـدق فـي وجههـا ببلاهـة، واعترتهـا رغبـة عارمـة فـي البـكاء، تحسسـت مناطـق الألـم والدمـاء، تأوهـت قليـلاً، وبكـت بحرقـة، تذكـرت رقتـه وعذوبتـه قبـل الخطوبـة والـزواج، تذكـرت خروجهمـا المسـتمر وأطنـان الكلمـات الرومانسـية التي كان يلقيهـا فـي آذانهـا، وندمـت أشـد النـدم علـى تصديقهـا لتلـك الكلمـات حيـن اكتشـفت بعـد أيـام مـن زواجهمـا ميولـه السـادية الواضحـة، فـي البدايـة كان يسُـبَها بأقـذع الألفـاظ فـي الفـراش، يصفعهـا علـى وجههـا صفعـات خفيفـة، وهـي لـم تعتـد علـى ذلـك طيلـة حياتهـا، فأبيهـا الطبيـب وأمهـا الصحفيـة، كانـا مثاليـن فـي التهذيـب والعذوبـة، ولـم تعتقـد أنـه سـيأتي عليهـا اليـوم الـذي ستسـتمع فيـه إلـى هـذا القـدر مـن السـباب، وفـي فـراش الزوجيـة الـذي كانـت تظنـه مخمليـاً ناعمـاً، اكتشـفت أنـه كالأشـواك.

زاد مـن سـوء حالتهـا أن "عـلاء" لـم يكـن شـريراً علـى الإطـلاق، بـل كان دومـاً مـا يعاملهـا بلطـف وحـب وحنـان، يداعبهـا بصـدق، ويحترمهـا وعقلهـا كثيـراً كثيـراً، يستشـيرها فـي كافـة الأمـور التـي تلـم بحياتـه وحياتهمـا.. وفـي لقاءاتهمـا الحميميـة، كانـت تصـل إلـى ذروة نشـوتها دومـاً، ولكـن

أينحصـرُ دورهـا كزوجـة فـي أن تُمتِـع زوجهـا مهمـا كان الألـم المصاحـب لذلـك ؟؟... أسـئلة كثيـرة دارت فـي ذهنهـا طـوال أيام شـهر العسـل الـذي كانـت تقضيـه مـع "عـلاء" فـي ماليزيـا، وحيـن عـادا إلـى القاهـرة، بـدأت الأمـور تسـوء فـي فراشـهما، فظهـرت ميـول زوجهـا السـادية بجـلاء حيـن وجدتـه وقـد صنـع سـوطاً مـن الجلـد والقمـاش المتيـن، يجلدهـا بـه بانتظـام، يسـكب أحيانـاً بعـض أكـواب الشـاي السـاخنة نسـبياً علـى جسـدها، لـم تكـن أبـداً فـي حـرارة الغليـان، كان حريصـاً علـى أن يبردهـا قليـلاً لكنهـا كانـت مـع ذلـك ... مؤلمـة.

كانـت تعلـم أن سـادية زوجهـا نوعـاً مـن الشـذوذ غيـر المقبـول، لكنـه مـن غيـر المقبـول كذلـك، أن تلجـأ لأهلهـا بعـد أسـابيع قليلـة مـن الـزواج وتخبرهـم بمثـل تلـك الأمـور، خصوصـاً وأنـه زوجٌ محـبٌ فعـلاً، لا يبخـل عليهـا بمالـه أو حبـه أو وقتـه قـدر مـا يسـتطيع.. لـذا فقـد آثـرت إخفـاء الأمـر عـن أهلهـا ولـو مؤقتـاً، وحاولـت كثيـراً إثنـاء "عـلاء" عـن تلـك الأفعـال المتوحشـة.. ولكـن بـلا جـدوى.

الألـم كان أكثـر مـا يشـغلها، كانـت تتحـرق شـوقاً إلـى لقـاء جنسـي بـلا ألـم أو مسـبات.. وفهمـت مـع الوقـت والخبـرة والاختبـار أن هـذا لـن يحـدث طالمـا أنهـا مستسـلمة لــ "عـلاء" لهـذه الدرجـة، فحاولـت أن تمنـع عنـه نفسـها، أن تقاومـه، أن تتحـدث معـه، أن تقـدم لـه البراهيـن علـى كراهيتها

للتعذيب.. بلا جدوى، وكان واضحاً أن توسلاتها كانت تأتي بنتيجة عكسية تماماً، فكلما ناقشته أو توسلته أو رفضته، كلما زاد من جرعة الضرب والسباب، وإن لم يخرج هذا خارج حدود الفراش، وظل الاحترام والحب يغلفان باقي مناحي الحياة.

كانت تعلم أن (كرة القدم) هي أحد الأسباب القوية التي لفتت نظر "علاء" فيها، فهي فتاة في أوائل العشرينات، تهتم بأناقتها وجمالها وهندامها، لكنها تمارس كرة القدم ضمن فريق السيدات بالنادي، بل وتجيد اللعبة كذلك على "البلاي ستيشن"، على عكس معظم البنات في العالم، بدأ حب الكرة يجري في دمها منذ الصغر، ومن باب الفضول.. فقد كانت تحب أبيها بجنون ولا تحب أن تفارقه في الساعات القليلة التي يقضيها بالمنزل كل مساء بين عمله الصباحي بالمستشفى والليلي بالعيادة، كان والدها شديد الحرص على إلغاء مواعيد العيادة في أوقات المباريات الهامة، لذا كانت تندهش من قدرة مباريات (الأهلي) على سلب لب أبيها لهذه الدرجة، فصارت تجلس بجواره لتفهم كُنه السحر الصادر من هذا العشب الأخضر الكبير الذي يجري عليه اللاعبون، وتحاول استيعاب ما الذي تفعله المباريات في والدها وتجعله ينسى وجودها ووجود أمها؟!

ولما فهمت، صارت مثله تنتظر مباريات الأهلي كل أسبوع، مباريات المنتخب، مباريات الفرق الكبرى بأوروبا، ثم تطور الأمر إلى درجة الهوس، فانضمت إلى فريق الكرة النسائية، وصارت حريصة على التمرين أكثر من حرصها على أي شئ آخر، كانت تؤمن أن الكرة لن تعطلها عن حياتها إطلاقاً، خاصة بعدما حصلت على مجموع كبير بالثانوية العامة، أهَلَها للالتحاق بكلية الصيدلة التي كانت تحلم بها منذ الصغر، لكنها كرهتها في السنة الأولى وقررت أن تهتم بأشياء أخرى بعيدة عن الكيمياء والمعادلات والتشريح، فركزت مع كرة القدم تماماً، وصارت تتابع كل ما هو متاح من مواد بصرية أو مسموعة أو مقروءة تحت لواء (كرة القدم)... إلى أن التقت "علاء" الذي أدهشها بانجذابه الذي رأته مبالغ فيه، فقصة حب ملتهبة ظل النادي يحكي عنها شهوراً، فخطبة، فزواج... واستمرت الحياة.

نست الصيدلة، واتخذت لنفسها مكاناً في دبلومة خاصة للموارد البشرية (H.R)، ومالت لهذا المجال كثيراً، ووجدت أنه سيمكنها من العمل في أماكن محترمة، برواتب ملائمة، حتى إنها لم تجد صعوبة تُذكر في أن تلتحق بالعمل في فودافون بعد أن أنهت الدبلومة... واستمرت الحياة.

كانت تلعب مع "علاء" كرة القدم دوماً، ودوماً ما كان يُثني على براعتها ومهارتها، ورغم أنه طلب منها التوقف عن ممارسة اللعبة كواحدة من فريق النادي، إلا أنه لم يمنعها أبداً من مشاهدة المباريات أو لعب البلاي ستيشن أو حضور مباريات الأهلي بالاستاد وقتما أمكن، ومن ناحيتها، رأت أن طلبه الكف عن ممارسة اللعبة بالنادي هو طلب له وجاهته، غير أنه طلب ذلك بكل احترام ورقة، فنفذت ما أراد دون جدال أو نقاش، واكتفت بمتابعة زميلاتها في التمرين مرتين أسبوعياً.. وفودافون.. وحياتها الزوجية، وحين وعدته بترك "النجيلة" في النادي، وعدته كذلك أن تُريه صنوفاً لم يعهدها من مهارات كرة القدم، أثناء لعبهما سوياً بالمنزل.. ونفذت وعدها.

ظلت "حنين" متماسكة لشهور، لكنها لم تقو على احتمال طريقة زوجها، كانت تريد أن تشعر بأنها (أنثى) بأنها (امرأة)، كانت تريد أن تكف عن الشعور بأنها (عاهرة)، وفكرت كثيراً في الطريقة التي تُرضي أنوثتها وتَرُد كرامتها، فلم تجد إلا طلب الطلاق، والذي لم يوافق عليه "علاء" بالطبع، فما الذي يمكن أن تفعله ألسنة الناس به إن علموا أن امرأته طلبت الطلاق قبل أن تتم عامها الأول معه؟؟!!

سَعَت هي في كل دروب الطلاق الممكنة، ولم يُجدِ أي منهم نفعاً مع "علاء"، كانت بالطبع مشتاقة إلى فحولته وبشدة، لكنها كانت تمنعه من مجرد لمسها، كانت ترتعد من مجرد تذكرها لحظات الجَلد والتعذيب، وكانت شبه متأكدة أنه مريض بصورة لن يُجدِ معه فيها علاجاً.

ومرت أسابيع تلو أسابيع، وحياتهما كما هي.. احترام شديد أمام الآخرين، وطلب لا ينقطع منها للحصول على الطلاق، ورفض قاطع باتر منه، ورغبات جنسية مكبوتة من كلاهما، ويبدو أن الأمر قد حدث في نفس الأسبوع دون قصدٍ أو ترتيب منهما، كانت هي في زيارة إلى النادي بعد أن أنهت ساعات عملها الطويلة، وقابلت هناك كابتن "محمد" نجم ألعاب القوى الوسيم، والتي تعلم يقيناً أنه يحبها منذ سنوات، وكلمة في حكاية في نكتة في موضوع، وجدت نفسها بعد ساعة تقريباً مستسلمة تماماً لقبلاته في سيارته.

تملصت بسرعة حين تذكرت أنها متزوجة، وأنهت الموقف المخجل المحرج فغادرت سيارته بحثاً عن أول سيارة أجرة تعود بها إلى (المقطم) حيث بيتها الواسع الرحب، اغتسلت بسرعة وهي تعلم في قرارة نفسها أنها ستعود في الغد وفي نفس الموعد إلى النادي لتقابل "محمد" من جديد... مسحت على جسدها بسائل

الاستحمام وهي تعلم أن شلالات الأرض لن تطفئ نار جسدها وأن "محمد" وحده سيفعل، تعلم أنه يذوب فيها، تعلم أنه يتمنى نظرة باسمة من عيونها، تعلم أنه يحترق مثلها تماماً، لذا عقدت عزمها وقررت أن تتذوق رجولته في الغد، ستستغل غياب "علاء" شبه الدائم عن المنزل، وتذيق "محمد" نقطة من بحر أنوثتها.

أما هو ففهم بعد عناء أن الإيذاء البدني مرفوض تماماً من قِبَل زوجته، وإن كانت قبلته في بادئ الأمر، فهو قبول على مضض، وازداد رفضها للعنف الجسدي واللفظي مع الوقت، خصوصاً أنه كان يزيد الجرعة بالتدريج... كان يعلم تماماً أن ما يفعله معها من ضرب وسب وتعذيب أحياناً أمر في منتهى الخطورة على علاقتهما، وأنه مؤلم نفسياً لزوجته قبل جسدياً، لكنه لم يكن يملك من أمر (مزاجه) شيئاً.

كان يحبها حقاً، منذ اللحظة التي رآها فيها تلعب كرة القدم بمهارة شديدة، وسمع الكثير عن سمعتها الجيدة وتفوقها الدراسي وأصلها الطيب، قرر أن يتقرب منها، خاض تقسيمة بين فريق من الشباب وبين فريقها من البنات، تعارفا حينها، وأخبرته عن دراستها للصيدلة، حبها لكرة القدم، عشقها للأهلي، وأخبرها عن عمله كضابط شرطة بالمباحث الجنائية، وعن حبه لكرة القدم، وعشقه للأهلي.

تحابا.. تزوجا.. الأمر كان بهذه البساطة فعلاً.

كان يعرف في قرارة نفسه أنه يميل للعنف، وعزى ذلك إلى طبيعة عمله كضابط شرطة، بيد أنه بدأ يشعر ببعض القلق، لما سمع أول صرخات "حنين" في فراشهما بعد أن صفعها بقوة غير معتادة، ورغم قلقه استمر.. واكتشف أنه يستمتع أكثر كلما أظهرت تألمها.. وبمرور الوقت أصبحت تلك هي الطريقة الوحيدة للحصول على المتعة... واستمرت الحياة.

طلاق؟... لا، لن يفعل... فهو أكثر عنداً من أن تقوده رغبات امرأة، ورغم نقاشاتها وتوسلاتها وغضبها ومنعه من ملامستها إلا أنه لن يرضخ أبداً.. ويوم أن اشتعلت رغبته بصورة كبيرة لم يستطع معها كبح جماح نفسه، التقط هاتفه، طالباً رقماً ما كان يحتفظ به منذ زمن، وبعد ما يقرب من ساعة كانت الفتاة اللعوب "شمس" تضئ سماء غرفته بعريها ورقصها، وتلتهب روحه مع كل ضربة يضربها سوطه لها... ومع تكرار زيارات "شمس" له، أصبح "علاء" أكثر هدوءاً.. وأقل تعطشاً للجنس، ففكر في أن يستمر على هذا الوضع للأبد. "شمس" للمزاج و"حنين" للحياة العادية.

فـي اليـوم التالـي وفـي سـاعات الظهيـرة الحـارة، التي كان مـن المفتـرض أن تجلـس فيهـا علـى مكتبهـا بفودافـون، كانـت تصطحـب كابتـن "محمـد" إلـى منـزل زوجهـا، وعلـى بـاب الشـقة سـمعت صرخـات امـرأة... هـي تعـرف هـذا الإيقـاع فـي الصـراخ، لأنهـا كانـت تمارسـه لشـهور وهـي تخضـع لزوجهـا فـي الفـراش، وجاءتهـا الفرصـة الذهبيـة... طلبـت مـن "محمـد" الرحيـل، وتسـللت إلـى الشـقة، قامـت بتصويـر "عـلاء" ورفيقته لدقيقـة فـي مقابـل الدقائـق الطويلـة التـي يمتلكهـا لهـا علـى هاتفـه، قبـل أن تمـلأ الدنيـا صراخـاً وعويـلاً .. وتنـال الطـلاق.

خائنـة؟؟.. ليـس بعـد، هـي كانـت علـى وشـك خيانتـه يومهـا، لكنهـا لـم تفتـح سـاقيها لـ"محمـد" إلا بعـد أن نالـت الطـلاق بأسـابيع، حاولـت الاحتمـاء فيهـم مـن أعيـن النـاس قليـلاً.. حتـى هـدأت الأمـور.

وبعـد مـرات ومـرات التقيـا فيهـا علـى فـراش واحـد، رفـض "محمـد" أن يتزوجهـا، وتـرك البـلاد مـن الأسـاس دون أن يخبرهـا حرفـاً، دون حتـى أن يودعهـا.. وتركهـا سـقيمة، وحيـدة، تحتقـر نفسـها.. ومتعطشـة لصيـد جديـد.

لـن تنـس لـ"محمـد" ذلـك، ولـن تنـس "محمـد" إلا بشـخص آخـر، يطفـئ لهيـب جسـدها، يَـرُد لهـا كرامتهـا، يحتويهـا، يضاجعهـا، يعاملهـا كأنثـى حقيقيـة، كانـت تريـد

منكبيـن عريضيـن، وفحولـة واضحـة، ورجولـة تغلـف كل شـئ.. كانـت تريـد أن تشـعر بأنهـا سـيدة الفـراش لا جاريتـه، فـكان أن وجـدت مرادهـا يتجسـد بغتـة فـي صاحـب أبهـى طلـة فـي حياتهـا.. "مـووس".

المعادي- مقر فودافون الرئيسي:

أعـرف أننـي هـدف مناسـب وصيـد ثميـن لكثيـر مـن الفتيـات والسـيدات فـي حياتـي، لكـن تجربتـي مـع "حنيـن" علمتنـي الكثيـر، كانـت هـي مطلقـة صغيـرة السـن، ظهـرت فـي حياتـي بغتـة ولأول مـرة فـي أكتوبـر 2006، وقـت أن كنـت أتحـرق شـوقاً لمشـاهدة أي امـرأة أخـرى عاريـة، ليقينـي بـأن جسـد "شـيماء" الأبيـض - ومهمـا بلـغ مـن جمـال وتناسـق- ليـس الجسـد الوحيـد المتـاح بالعالـم، و "حنيـن" كانـت هدفـاً مثاليـاً كجسـد عـارٍ مختلـف.

كانـت تعمـل بالمـوارد البشـرية، وفـي أول لقاءاتـي بهـا قـرأت علـى جبهتهـا بخـط واضـح "أنـا امـرأة مثيـرة.. أنـا أسـتحق رجـلاً قويـاً".. وفـي نظـرة سـريعة لكنهـا متفحصـة، وجـدت أن الملابـس الضيقـة التـي ترتديهـا تخفـي الكثيـر مـن البهـاء، الكثيـر مـن المتعـة، فقـررت أن أضاجـع هـذه الفتـاة وفـي أسـرع وقـت ممكـن.

كنـت قـد دُعيـت فـي هـذا اليـوم إلـى اجتمـاعٍ روتينـي بالقسـم المذكـور برفقـة مجموعـة مـن زملائـي بفريـق العمـل، الغرفـة واسـعة منيـرة، تسـمح للجميـع بـأن يـرى الآخـر بوضوح، وبعـد التعـارف السـريع بيـن الجميـع، وأثنـاء توجهـي إلـى بـراد المـاء المجـاور لهـا، وبـدون مقدمـات حقيقيـة نظـرت إلـي بتعمـق، وخُيـل إلـي أنهـا نظـرت إلـى بيـن فخـذيَ- ثـم حركـت كرسـيها الأحمـر ذو العجـلات فـي اتجاهـي ودار بيننـا حـوار مقتضـب كان بمثابـة بـاب الجنـة بالنسـبة لـي، البـاب الـذي فُتـح بصـورة مدهشـة لـم أكـن أحلـم بهـا.

- انت بقى "مصطفى" المثقف؟؟!!
- همـا بتـوع الـ(HR) كلهـم شـاطرين ومذاكريـن زيـك كـده؟

التقينـا بعـد ذلـك بسـاعة عـن طريـق الصدفـة (المدبـرة منـي) داخـل منطقـة التدخيـن بعـد أن تابعتهـا بعيونـي فوجدتهـا هنـاك، فتـاة متوحشـة الملامـح، عدسـات لاصقـة خضـراء، بشـرة خمريـة تقتـرب مـن الأسـمر، يتـم الاعتنـاء بهـا بدقـة، جسـد ممتلـئ إلـى حـد مـا فـي أسـفله، وصحيـح أن هـذا الامتـلاء ليـس مـن الأمـور الملفتـة، وقـد يكـون مـن الأمـور المنفـرة، إلا أن باقـي الجسـد البليـغ النافـر يَعِـد أمثالـي مـن الذئـاب الشـبقة بالكثيـر إن عرفـت خريطتـه، وأنـا كنـت أنتـوي أن أتعـرف علـى أدق تفاصيـل جغرافيـا هـذا الجسـد الليلـة، وليـس غـداً.

مـن مدينـة نصـر، تحـب السوشـي، مارسـت كـرة القـدم لسـنوات - وياله مـن خبـر مفـرح-، عضـو عامـل هـي وعائلتها بالنـادي الأهلـي.. عرفـت تلـك المعلومـات مـع نهايـة السـيجارة، وكمـا تفهـم، فهـي معلومـات غزيـرة، أكثـر ممـا يطلبهـا أي - ذئـب- فـي الدقائـق الأولـى مـن التعـارف، تبادلنـا أرقـام التليفونـات علـى وعـد بفنجـان قهـوة صباحيـة فـي مقهـى "جريكـو" الشـهير فـي شـارع 9 لكـي تفهـم بنفسـها لمـاذا يكـره أهـل المعـادي الخـروج منهـا خاصـة إلـى المناطـق الشـبيهة بمدينـة نصـر.

- تفقد الاتجاهات بالمعادي.. هكذا قالت
- سـأجعلها تفقـد الاتجاهـات فـي أي مـكان بعـد ليلـة سـاخنة.. هكـذا فكـرت
- مطلقـة بعـد علاقـة اسـتمرت عاميـن مـن لحظـة التعـارف وحتـى الطـلاق
- لا تفتقد الجنس
- كلهـن يـرددن ذلـك بـلا انقطـاع لكـن مـن تجربـه منهـن يتشـوقن إليـه علـى الـدوام كمـا نعـرف نحـن الرجـال.
- كان اسـمه "عـلاء"... وكان ضابـط شـرطة، لـم تتحمـل طبيعـة عملـه وتغيبـه الزائـد عـن الحـد، فتركتـه والتحقـت بعـد ذلـك للعمـل فـي فودافـون.
- اسـمي "مصطفـى".. وأنـا أكثـر رجـال العالـم تفهمـاً وحنانـاً

- لا تحب الكوارع
- أنا أحب الكوارع.. بل أعشقها

شبِقة هي إلى حد غير معقول، تلتهمني قبلاتها التهاماً، منذ لقائنا الأول تُحطم بلا قصد أسطورة كفاءة "شيماء" في الفراش، فمع مقارنة بسيطة بينهما وجدت أن "حنين" من نوع مختلف تماماً، تأوهاتها مختلفة، رائحتها مميزة، عُريها مثير للغاية، ويبدو أن خبرتها السابقة في الزواج لم تكن مُوَفقة في الفراش فكان أن تَوَحَشَت معي بهذا الشكل لتمتع نفسها وتمتعني.

المعادي - دجلة:

بعد أيام قليلة، وفي منتصف شهر نوفمبر، كنا نلتقي للمرة الثالثة على سرير "هشام" في منزله، كنت أقارن رغماً عني بين ما تفعله هي معي وبين ما تفعله "شيماء"، وأثناء نشوتي واندماجي، نطقت بلسانها "بحبك".. فوجئت بجرأتها، وأزعجني أنها لا تفهم مرادي، فأنا وبسبب علاقتي الغريبة بـ "شيماء" - التي لم تعرف عنها "حنين" أي شئ- كان جُل ما أطلبه من "حنين" أو غيرها هو الجنس فقط، كنت أشتهي علاقة عنوانها "جسدي مقابل جسدك" وليس بها أي ذكر للحب أو الارتباط!!.

"حنيـن" لـم تكـن بائعـة هـوى أو فتـاة ليـل، كانـت إنسـانة تعشـق الجنـس، وتتخـذه جسـراً للـزواج، ورغـم أن تلـك لـم تكـن طريقـة تفكيـري، دعـك مـن أننـي لـن أتـزوج بمطلقـة قطعـاً، إلا أننـي أتفهمهـا تمامـاً.. عرفـت منهـا بعـد لقائنـا الأول أنهـا اسـتمتعت للغايـة، وأنهـا تـود تكـرار اللقـاء، كمـا عرفـت نـذراً يسـيراً مـن علاقتهـا بطليقهـا، وفـي لقائنـا الثالـث، لـم تقـل "بحبـك" فقـط... وإنمـا أخبرتنـي بأنهـا تسـتطيع تقديـم جسـدها لـي علـى الـدوام حتـى تسـتقر ظروفـي وأتمكـن مـن خـوض معركـة زواجـي بهـا مـع أهلـي!!.

جسدها كان هدفي

ظهرهـا الناعـم المفـرود، ثدياهـا المكتنزيـن المغرييـن، بطنهـا المشـدود، سـاقيها شـديدتي القـوة بسـبب تاريخهـا مـع (كـرة القـدم)، يالـه مـن جسـد، ويالهـا مـن امـرأة!!.

تغاضيـت عـن كلمـة "بحبـك" تلـك بابتسـامة مرتبكـة، وابتلعتهـا بقبلـة سـاخنة، فلـم أكـن مسـتعداً لها ولا أعـرف ردها المناسـب، ويبـدو أن قبلتـي تلـك قـد أرسـلت الرسـالة الخاطئـة، ففعلـت معـي منـذ تلـك اللحظـة كل مـا قـد يتمنـاه الرجـل من رفيقـة فراشـه، غيـر أنـي أيقنـت أن الهـروب مـن تلـك الفتـاة أصبـح حتميـاً لكننـي ذئـب متعطـش طمـاع، وهـي فرسـة بريـة جميلـة، فأخطـأت مـن جديـد حيـن قـررت أن أسـتمر فـي تلـك العلاقـة لبعـض الوقـت ثـم ألفظهـا، وكان الخطـأ جسـيماً.

كنا نحرص تماماً على مظهرنا وسرِية علاقتنا في مكانِ العمل، فلم يكن من المقبول بالنسبة إليَ على الأقل أن ينتشر خبر ارتباطي العاطفي/ الجسدي بأي زميلة في العمل، كما أنه ليس من المقبول بالنسبة إليها أن يظهر ارتباطها بشاب مثلي بعد لقاءات متقطعة سريعة بالعمل، لكننا كنا ننسى هذا الحرص تماماً في غيره من الأماكن، قبَلتها وداعبت جسدها في كل مكان متاح، من المصعد وحتى السيارة مروراً بمنزلي، وفناء شاليه أسرتها بالعين السخنة، ومنزل طليقها الذي تركه لها أو بالأحرى (لنا)، حتى إنني لا أعلم كم من المرات التقينا.

.

المقطم:

مرت شهور على هذا الحال، جنس مستمر بلا انقطاع، وخدرني جسدها تماماً فصرت أتبع أوامرها وطلباتها الشاذة أحياناً، واكتشفت أنني حين أُنفذ لها ما تطلب تنتابني قشعريرة مميزة لم أشعر بها أبداً إلا في حضرتها، وفي تلك الليلة الكئيبة كان الجو شديد البرودة، وكنا نحتضن بعضنا البعض على أريكة مريحة بمنزل طليقها، أتلمس بعض الدفء من حضنها الجليل، وأمص ثدييها الممتلئين باستمتاع وشبق، وأمتع نظري وكفاي بجسدها العاري الممتلئ، وإذا بها تباغتني بسؤالين إجابتهما غاية في الصعوبة:

- أخبار"شيماء" إيه يا "مووس"؟

- ....

صدمتني معرفتها بـ"شيماء" فانخرست، ولما لم تتلق مني جواباً سوى الصمت والاندهاش، ألقمتني السؤال الثاني الذي كان مركباً وأكثر صعوبة :

- طبعاً انت هتتجوزني أنا مش هي، مش كده؟ -وده غصب عنك على فكرة- يا إما بشرف أمي لأفضحك فضيحة مش متخيلها، هتكون ريحتها أوسخ من إنها تخرج من جلدك... وقبل ما ترد يا "موس" أحب أفكَرك إني معنديش حاجة أخسرها.

استجمعت قواي، لملمت أشلاء خبرتي بالفلسفة والمنطق، ارتكزت على كافة مناحي خبرتي بخدمة العملاء و"بَلف" الزبون، بلا جدوى، كانت تستمع إلى كلماتي الكثيرة بسخرية بادية على ملامحها، بثقة لا أعلم من أين اكتسبتها.. أحاول الاعتذار لها، فتزداد ابتسامتها اتساعاً، أحاول تهديدها بيد أنها كانت غاية في الثبات والثقة، ويبدو فعلاً أن مطلقة مثلها لن تعبأ بالفضيحة طالما ستنال في النهاية ما تصبو إليه، وأثناء اندماجي في الحديث، وقفت أمامي وهي عارية، دفنت رأسي بين فخذيها بقوة وهي تداعب خصلات شعري، وقالت أغرب ما يمكنك سماعه على الإطلاق في هذا الموقف:

- انت هتتجوزني ورجلك فوق رقبتك، انت هتتفضل بتاعي غصب عن اللي خلفوك.. انبسط يا حبيبي انبسط.

كنت دائماً ما أستمتع حين أضع شفتاي في هذا المكان، لكنني في هذه المرة كنت أشعر بالدهشة، كم كنت متقززاً، كم كنت أشتاق لبيتي وأهلي، وحين قذفت بها لتقع على الأرض، لم أكن أفكر إلا في شئ واحد، أنني سأنتصر على تلك اللعوب نهائياً الآن، ولن أراها من جديد.

ضربتها بغل وقسوة، كما لم أفعل مع امرأة من قبل، أدميت وجهها، وبعض مناطق جسدها، وتوعدتها وأنا أستعد للخروج بالمزيد من الضرب في كل مرة أقابلها فيها حتى وإن كان في العمل، أمام الزملاء.

- عايزة تتجوزي يا وسخة؟.. يبقى تتجوزيني على عيبي، وأنا عيبي كيفي، وكيفي ضرب الـ (....) اللي زيك.

نظرت إلي بما تخيلت أنه "هلع".. وبكت وهي تودعني بعيناها.

فكرت أثناء عودتي إلى منزلي في تلك الليلة أن أتغيب عن العمل لفترة بحجة أجازة سنوية مثلاً، لكنني كنت أخشى عدم تواجدي بالشركة أكثر من خشيتي تواجدي بها، فمن يعلم ماذا ستفعل تلك البلهاء المجنونة؟!!

المعادي- مقر فودافون

ذهبـت إلـى عملـي كالمعتـاد صبـاح اليـوم التالـي، فوجدتهـا جالسـة علـى مكتـب قريـب مـن مكتبـي، وجههـا متـورم مـن آثـار "علقـة" الأمـس، يسـألها بعـض الزمـلاء عـن الأسـباب، ووجـدت نفسـي مضطـراً للمشـاركة فـي التجمهـر البسـيط حولهـا، فأجابـت بثبـات وهـي تنظـر فـي عينـي:

- كنـت بفـول عربيتـي امبـارح فـي بنزينـة علـى طريـق السـاحل، واتنيـن مـن العمـال اتلمـوا عليـا حاولـوا يغتصبونـي، سـتر ربنـا إن كان فـي راجـل شـهم ومراتـه داخليـن البنزينـة بالصدفـة خلصونـي مـن إيدهـم.

حجـة واهيـة وكذبـة مـن الواضـح أنهـا ملفقـة، لكنهـا كانـت كافيـة لإسـكات الألسـنة، مـرت أسـابيع وأسـابيع دون أن يجـد جديـد، لا فضائـح كمـا هـددت هـي، ولا ضـرب وتعذيـب كمـا هـددت أنـا، مـرت حتـى بـدون محاولـة تحـرش واحـدة منهـا، فنسـيت الموضـوع، حتـى اختفـت تمامـاً وعرفـت بعـد ذلـك أنهـا طلبـت نقلهـا إلـى فـرع آخـر للشـركة بالقريـة الذكيـة، ثـم عرفـت خـلال جلسـة نميمـة لبعـض الزمـلاء أنهـا عـادت إلـى زوجهـا السـابق، بعـد أن أقنعهـا بالعـودة إليـه حيـن تغيـرت ظـروف عملـه نسـبياً، وقـد كان.

وتعلمـت منـذ ذلـك الحيـن أن أُطبـق القاعـدة الانجليزيـة شــديدة البلاغــة والوضــوح "Don't shit where you eat" وظللـت أكررهـا لنفسـي كل صبـاح، قانعـاً بأجسـاد بعـض فتيـات الليـل أحيانـاً، وبـ"شـيماء" مضطـراً، مجبِـراً نفسـي علـى البقـاء بيـن أحضانهـا إلـى أن يجـد جديـد خـارج إطـار العمـل، فلـو أسـعدني الحـظ لأجـد فتـاة أحلامـي، فلتكـن مـن خـارج هـذا العالـم.

- تشرب حاجة تانية ياكابتن؟

سـؤال أتـى خـارج السـياق، رمـاه فـي أذنـي الشـاب القهوجـي السـخيف، وإجابتـه كانـت أننـي أحتـاج لبيبسـي جديـد.. حـرارة الجـو داخـل المقهـى تزيـد مـن توتـرى.. يـكاد دمـي يغلـي وأنـا أنظـر فـى سـاعة الموبايـل بسـرعة لأجدهـا قاربـت علـى السـابعة والرُبـع ولـم يـأت "ناصـر" بعـد.. لمـاذا تأخـر هـذا الحلـوف؟.. لمـاذا؟!!.

نادي الزمالك- السودان- العتبة- والاستاد المعادي- إيطاليا- كرواتيا- البرازيل- والكورفا سود

"ناصـر".. هـذا الشـاب السـودانى الـذى أتـى مـن جنـوب غـرب بـلاده فـاراً، هاربـا مـن واقـع أليـم هنـاك، واختـار أن يعيـش معنـا واقعنـا المريـر هنـا.. والحقيقـة أننـي أعشـق هـذا الشـاب فعـلاً، طويـل القامـة فقـد يتخطـى طولـه المتريـن ولـون بشـرته

يذكرك بلون رغيف خبز تركته فى الموقد لأيام فاحترق ليصبح لون طين الأرض، لكنني أجزم أن لون قلبه يغاير لون بشرته تماما، فهو طيب القلب إلى حد بعيد، لا يعبأ بكلماته أحياناً وهو ما يوقعه فى العديد من المشاكل، إلا أن طيبة قلبه تعفيه من أية عقوبات قد تلحق به، يحيا هو ظروفاً قاسية بحق، فقد عرفت أنه يعمل هنا كبائع لصنوف متنوعة من العطارة يأتي بها من مكان مجهول.. ويجلس على الرصيف الذى يصل بين مسرحي الطليعة والقومي بالعتبة، ماداً قدميه للأمام جالساً بلا حراك منتظرا رزقه الذى غالباً ما يأتي فى صورة امرأة مصابة بالسكرى أو رجل يعانى مشاكل زوجية فى فراشه.. وكل منهم يسعى إلى علاج عشبى فعال.

خمنت فيما بعد أن ما يبيعه "ناصر" أعشاب بالفعل، لكنها لا تعالج أى شىء فى الواقع، لذا أجده دوماً سعيداً مبتسما، فهو يبيع لاشىء.. يجلس طيلة النهار على الأرض صامتاً، متأملاً البشر يجوبون الأرض من حوله، حارقاً أقل القليل من سعراته الحرارية.. ليبيع للغلابة هذا اللاشىء معتصراً جيوبهم أكثر فأكثر، ثم يلملم أشياءه والتي هي عبارة عن ملاءة قذرة تحوى بعض الأكياس خفيفة الوزن عديمة المفعول ويضعها كأمانة يومية عند أحد الأكشاك المجاورة مقابل (أرضية) أو مبلغ مالى يومى يدفعه (للبلطجي/ القبضاي) المسؤول عنه وعن زملائه من الباعة الجائلين مقابل الحماية.

ثـم يسـير خطـوات قليلـة حتـى يصـل إلـى محطـة متـرو . العتبـة، يقـوم بتبديـل الخـط فـى تلـك المحطـة المحوريـة (أنـور السـادات/ التحريـر) ثـم يتجـه إلـى رصيـف حلـوان ليشـق بـه المتـرو هـذا الطريـق الممـل إلـى حدائـق المعـادي.. ينـزل ويسـير عشـرات الأمتـار حتـى يصـل إلـى شـقته الضيقـة الخانقـة فـى شـارع (حسـنين دسـوقى) والتـي يعيـش بهـا مـع تسـعة آخريـن مـن بلدياتـه الذيـن يحـرص هـو علـى عـدم الاختـلاط بهـم كثيـراً لأسـباب قويـة بالفعـل لـم أعرفهـا إلا بعـد حيـن.. لـه فـي هـذه الشـقة ركـن صغيـر، علـى الأرض طبعـا.. ينحشـر.. لينـام مرتـاح الضميـر، رائـق البـال.

أرى "ناصـر" أفاقـاً خفيـف الظـل، يعيـش مرتديـاً عبـاءة أخلاقيـات باليـة، لا تلائمـه إطلاقـا، تشـبه كثيـراً عبـاءة أرسـين لوبيـن، فهـو لـص يسـرق القليـل مـن عـرق النـاس، لكنـه شـريف فـى ذات الوقـت، يسـرق ليعيـش، يسـرق ليظـل حيـا، ولـم يسـرقهم رغمـاً عنهـم، هـو فقـط لـم يقـل كل الحقيقـة.. ويـراه السـواد الأعظـم مـن النـاس غلبـان آخـر، قذفـت بـه الأقـدار إلـى هنـا، ورغـم وجـود (العتبـة) فـى الكثيـر مـن دول العالـم، إلا أن (العتبـة) فـى بـلاده لا تتسـع لـه ولأمثالـه .

الغريـب فـى أمـر "ناصـر" أن أخلاقياتـه اكتسـبت اللـون المصـري بشـدة فـإذا اسـتمعت معـى الـى مفرداتـه لتخيلـت أنـه شـاب آخـر قـادم مـن أسـوان يتحـدث اللهجـة القاهريـة

ببلاغـة، كمـا أن أخلاقـه تقطـر بالفهلـوة المصريـة وذلـك رغـم أنـه يعيـش هنـا منـذ فتـرة لا تتجـاوز السـنوات الثـلاث.. صـار مدمنـا لشـوارعنا فهـو يعشـق التجـول فـى شـوارع وسـط القاهـرة، ويـذوب عشـقا فـى شـارع 9 الأنيـق بالمعادي، يعشـق مقاهينـا، والحميميـة التـي جـزم لـى أنـه لـن يجدهـا فـى أى مقهـى آخـر فـى العالـم، يعشـق مشـروباتنا الفقيـرة فيحتسـى الشـاي (علـى ميـه بيضـا) صيفـاً مثـل أى مصـري محتـرف، ويطلـب حلبـة بالحليـب فـى الشـتاء.. والقرفـة بالزنجبيـل بالحليـب فـى حالـة الإصابـة بـدور بـرد.. يتابـع أيضـا أفلامنـا السـينمائية بشـغف شـديد، ويشـاهد معظمهـا عبـر الاختـراع المصـري الأصيـل (وصلـة الـدش).. كذلـك هـو مسـتمع جيـد لعمـرو ديـاب وشـيرين عبـد الوهـاب، مثلـه فـى ذلـك مثـل معظـم المصرييـن مـن سـنه فهـو يقتـرب مـن الثلاثيـن.. "ناصـر" كذلـك يعشـق الارتيـاح النفسـي الـذى يستشـعره المـرء داخـل مسـجد السـيدة زينـب.. ولا يفضـل زحـام مسـجد سـيدنا الحسـين... هـو مصـري طبيعـى جـدا عـن حـق.

كل مـا سـبق يمكـن فهمـه واستسـاغته وقبولـه فالرجـل يعيـش معنـا منـذ شـهور طويلـة وقـد يكتسـب اللـون المصـري بسـهولة، فنحـن يمكننـا التأثيـر بسـهولة علـى الأعـراق والجنسـيات المختلفـة.. إنمـا مـا كان صعبـاً علـى إدراكـى أنـه كـف عـن تشـجيع إلمريـخ السـودانى واتجـه لتشـجيع الزمالك.. ولمـا سـألته لـم اختـرت الزمالـك يـا ناصـر؟ قـال إن الزمالـك

أسـد مريـض.. وحـش عمـلاق يقـاوم الأغـلال حـول أطرافـه.

- مش فاهم قصدك يا ناصر!!!

رد بنظرة شاخصة :

- الزمالك بيفكرني ببلدي، بيفكرني بنفسي !.

وكأى مشـجع زملـكاوي أصيـل بـات يتـرك عملـه فـى العتبـة ليمـر بجـوار النـادي، يتعـرف عليـه، يتـوق إلـى النظـر للاعبيـه أثنـاء دخولهـم وخروجهـم مـن البوابـة، يجمـع تاريخـه مـن المقـالات والكتـب، عَرَفتَـهُ أنـا علـى جمهوريـة (ميـت عقبـة) فزارهـا معـي عشـرات المـرات وكـوَن هنـاك علاقـات واسـعة للغايـة، يتابـع مـا تيسـر لـه مـن أخبـار حـول النـادي وفريـق كـرة القـدم، يحـرص علـى اقتنـاء أعـداد مجلـة الزمالـك، يتحـدث بحمـاس عـن النـادي ويدافـع عـن كل قـرارات مجلـس الإدارة، يحـدوه الأمـل فـى الغـد كأى زملـكاوي آخـر -وهـي ميـزة كبيـرة يفتقدهـا الكثيـرون- مؤمنـاً مثلنـا جميعـا بـأن الزمالـك يمـرض ولا يمـوت، وأن المشـجعين كالأوتـاد المتينـة التـي ترفـع هـذا الصـرح بتكاتفهـا شـيئاً فشـيئاً.

أدمـن "ناصـر" اسـتاد القاهـرة والأجـواء الجماهيريـة الحميميـة الملتهبـة، أدمـن بعـده الذهـاب لاسـتاد الكليـة الحربيـة، بـات مرتبطـا بشـدة- كحالنـا جميعـا- بالمـارد الأبيض وتحـول إلـى قطـرة مـن القطـرات التـي تـروى أرض الفريـق وكيانـه.

أحـب "ناصـر" الجهـود التـي تبذلهـا روابـط التشـجيع التـي بـدأت فـي الانتشـار مـع رابطـة Z L U أو Zamalek Lovers United، رابطـة محبـي الزمالـك، فانضـم إليهـم حتـى تفرقـت بعـد حيـن.. وأيضـا أحـب مجموعـة الأولتـراس المعروفـة باسـم (وايـت نايتـس) (White Knights) حبـاً شـديدا.. أحـب دخلاتهـم (جمـع كلمـة دَخلـة وهـي تعنـي العمـل الفنـى الـذى يقـوم بعرضـه أفـراد المجموعـة فـي المدرجـات قبـل بدايـة المباريـات) وتعجـب لمجهوداتهـم الكبيـرة التـي يبذلونهـا مـن أجـل إسـعاد النـاس لثوانٍ معـدودة، يسـتعرضون فيهـا فنونهـم التـي تعبـر عـن حـبهم للنـادي وتثير إعجـاب الجميـع، مـا عـدا مخـرج المباريـات الأهـلاوي الـذى يُصـر علـى بتـر جـزء مـن اللوحـة، جـزء مـن الكلمـة، جـزء مـن الدخلـة ليعطيـك انطباعـا مسـتمرا بـأن هنـاك شـيئاً مـا ينقـص مشـجعى الزمالـك وهـو مـا لا يحـدث علـى أرض الواقـع إطلاقـاً.. ويكفيـك زيـارة واحـدة منـك لأى اسـتاد داخـل حـدود الوطـن أثنـاء أى مبـاراة للزمالـك، وأنـا أعنـى بالفعـل كلمـة (أى مبـاراة)، سـوف تؤكـد لـك تلـك الزيـارة أن مخرجـى المباريـات مثلهـم مثـل اتحـاد الكـرة وكبـار رجـال البيزنـس الأهـلاوي يتربصـون بالزمالـك كفريـق وجماهيـر.

تعرفـت أنـا علـى "ناصـر" فـي مشـاجرة بالمعـادي قبـل شـهور طويلـة، كنـت أسـير فـي شـارع 9 بالقـرب مـن محطـة متـرو ثكنـات المعـادي، سـمعت بعـض الضجـة، ولاحظـت

تجمهـر بعـض الأشـخاص حـول شـئ مـا، وعنـد اقترابـي اكتشـفت أن هنـاك وحشـاً أسـمر اللـون، يجتمـع حولـه حوالـي سـبعة شـباب مـن العامليـن بالمحـلات القريبـة ومـن سـائقي التاكسـي، يضربونـه بحمـاس، وهـو يبادلهـم الضربـات بعنـف، وبخبرتـي فهمـت أنـه لـم يكـن متمرسـاً فـي العـراك، لكنـه كان قويـاً، واثقـاً فـي نفسـه، سـمعت منـه الكثيـر مـن المسـبات لكننـي لـم أسـمع منـه أيـة صرخـة.. اقتربـت مـن المشـهد وبـدأت فـي تخليصـه مـن أياديهـم، ورغـم اسـتيعابه لمحاولتـي إنقـاذه إلا أنـه صـرخ بعنـف وأبعدنـي بكلتـا يديـه، مصـراً علـى ضربهـم جميعـاً.

استجدعته، فدافعـت عنـه بضـراوة، وصرخـت فـي الجميـع أن ابتعـدوا عنـه، ونجحـت بعـد دقائـق فـي إنهـاء المعركـة بصوتـي الجهـوري، وتدخلـي البدنـي الـذي أتـى فـي صالـح "ناصـر" بعـد أن شـعرت حيالـه بالشـفقة والاحتـرام، وحيـن انتهـت المعركـة، أخذتـه فـي سـيارتي التـي كانـت بانتظارنـا فـي شـارع جانبـي قريـب، حدثنـي بلهجـة سـودانية قائـلاً أنـه يسـكن بالمعـادي منـذ أسـابيع وكل مـا يريـده هـو أن يتعـرف علـى الحـي، وأن (ولاد الهـرام) دومـاً يضايقونـه بسـبب لـون بشـرته، وأن أحدهـم تجـرأ اليـوم وضربـه علـى قفـاه، فـكان مـا كان.

جفف عرقه ودماءه التي تسيل من أنفه ورأسه، وأصريت على دعوته على شاي في مكان قريب، وبعد أن غسل وجهه، جلسنا لأطيب خاطره قليلاً، عرفته على نفسي وأثنيت على رجولته وشجاعته في مواجهة هذا العدد من الرجال مرة واحدة، وفي هذه الجلسة وبسبب أننا لا نعرف بعضنا على الإطلاق، وبسبب الضغط النفسي الذي كان يشعر هو به، انطلق في الحديث عن حياته، خارج نطاق الخجل النابع من أعباء العلاقات الإنسانية، بلا كذب أو وجل، ولم لا؟؟ وقد كان يحتاج إلى إخراج ما في جوفه من حكايا ويبدو أن استحالة لقائنا من جديد قد طمأنته إلى أنه يرمي بأسراره وحكاياته في غرفة مغلقة لن يفتحها أبداً.

استرجلته، هذا هو التعبير الأدق، وعلمت منه ما لم أكن أتخيله، ونظرت له بإجلال بعد ما سمعت من حكايات، فهذا الذي أسمعه لا يمكن أن يكون ملفقاً، ولا يمكن أن يصدر إلا من (رجل) بكل ما تحمله الكلمة من معنى... ولهذا بدأت صداقة عميقة بيننا، لا أعتقد أنها ستنتهي.

أحب "ناصر" الجلوس بالقرب من الأولتراس ليردد الهتافات المبتكرة معهم.. ثم تمنى أن ينضم إليهم.. تمسح فيهم كثيراً ليحقق ما تمنى.. أصبح يقترب منهم

فـى المدرجـات بقـدر المسـتطاع.. يتحـدث مـع أى فـرد منهـم حـول المبـاراة.. يستفسـر مـن أحدهـم عـن النـداء الـذى يرددونـه.. حتـى تجـرأ فـى مـرة وذهـب إلـى شـاب مـن الأولتـراس الواقفيـن قبـل بدايـة إحـدى المباريـات بسـاعات سـائلا إيـاه عـن كيفيـة الانضمـام للمجموعـة؟.. عـرف أنـه لا شـروط محـددة إنمـا هـي مجموعـة مـن التعليمـات التـي يجـب تنفيذهـا قـدر المسـتطاع.. وقـد كان.

- (WHITE KNIGHTS) هي الأكثر عدداً .
- (WHITE KNIGHTS) هي الأكثر تأثيراً .
- (WHITE KNIGHTS) هي الأزهي فى المدرجات.
- (WHITE KNIGHTS) هـي الأولتـراس كمـا يجـب أن تكـون، ثقافـة وطبيعـة حيـاة.. لا مجـرد مجموعـة تشـجع فريقهـا.

وأنـا أعتقـد أن (ULTRAS WHITE KNIGHTS) هـي الكيـان الوحيـد الـذى يسـتطيع الجمـع بيـن كل هـذا العـدد من البشـر علـى اختـلاف انتماءاتهـم وثقافاتهـم ودياناتهـم وألـوان بشـرتهم، وطبقاتهـم الاجتماعيـة، ومسـتواهم المـادى تحـت رايـة واحـدة.. مهندسـين، أطبـاء، عمـال، صيادلـة، أسـاتذة فـى الجامعـات، طلبـة فـى مختلـف المراحـل التعليميـة، محاميـن، ضبـاط، مسـلمين وأقبـاط، شـباباً وأطفـالاً وكبـار سـن، أعتقـد أنـك لـن تـرى ذلـك متجسـدا إلا فـى مجموعـة أولتـراس قويـة كمـا الحـال فـى (الوايـت نايتـس)، أو فـىَ حالـة حـرب تخوضهـا

البلاد.. وقد لا نجنح عن الحق إذا قلنا إن مجموعة أولتراس (وايت نايتس) بكل بهائها وقدرتها على التوغل والسيطرة، كانت سبباً رئيسياً فى تفكك باقى مجموعات التشجيع الزملكاوية وذوبان الجميع داخل إناء الفكر الجديد.. فكر الأولتراس .

روحى أولترا.... حياتي أولترا... عقلي أولترا.. هذا كان مبدأهم.. وهكذا كانوا ينطقون مبادئهم، فهم ينطقونها أولترا كما تنطق باللغة الإيطالية، وذلك لأن إيطاليا هي البلد التي كونت قاعدة ينتشر من خلالها فكر الأولتراس فى العالم كله فى ستينيات القرن الماضى، وهذا رغم أنها لم تكن البلد الأولى التي بدأت فيها الفكرة.

بداية ظهور مجموعات التشجيع لفرق كرة القدم المختلفة والذى مهد لظهور فكر الأولتراس كان فى بداية الأربعينيات فى أمريكا الجنوبية.. تحديدا فى البرازيل، فقد ظهرت وقتها مجموعة تسمى باسم (تورسيدا) على اسم نوع من أنواع التشجيع الكرنفالية فى هذه الدولة العاشقة للكرة، حتى كُتب لهم الظهور والانفتاح على العالم بعد سنوات حين استضافت البرازيل كأس العالم عام 1950.

تابـع الجميـع بانبهـار تلـك الكرنفـالات التـي تصنعهـا مجموعــة التورســيدا فــى المدرجــات، وانتقــل الفكــر بعــد ذلـك إلـى جماهيـر أوروبـا، فظهـرت أول مجموعـة فـى أوروبـا باسـمTORCIDA SPLIT والتـي ظهـرت فـى كرواتيـا فـى أكتوبـر 1950، ومنـذ هـذا التاريـخ بـدأت تظهـر العديـد مـن مجموعـات التشـجيع فـى العديـد مـن الـدول، حتـى جـاءت حقبـة السـتينيات، وحتـى اقتنـع الطليـان بالفكـر الجديـد.

كان الطليـان أول مـن أطلـق لفـظ أولتـراس (ULTRAS) علـى هـذا النـوع مـن التشـجيع، وقـد ترجـع التسـمية إلـى أن كلمـة أولتـراس تعنـى حرفيـاً الزائـد للغايـة عـن الحـد، ويبـدو أنهـم كانـوا يريـدون إثبـات أنهـم سـيصنعون شـيئاً فائقـاً فـى المدرجـات، فقـد أرسـوا لهـذا الفكـر الجديـد مجموعـة مـن المبـادىء والقوانيـن المحـددة والتـي يلتزمـون بهـا جميعـا تحـت أى مسـمى، وزادت المجموعـات الخاصـة بالفـرق وتكاثـرت، ومـن إيطاليـا انطلـق الفكـر الجديـد لجميـع دول أوروبـا، ومـن بعدهـم فـى كل أنحـاء العالـم، واتخـذوا جميعـا مـن مدرجـات الدرجـة الثالثـة مكانـا لهـم، فهـي عيـن الملعـب، وفيهـا أرخـص التذاكـر والتـي يمكـن للجميـع الحصـول عليهـا.

مؤمــن أنــا بفكــر الأولتــراس، وكذلــك زملائــى فــى المجموعـة، هـذا مـا نعيـش لأجلـه.. هـذا مـا أتـرك فودافـون و "شـيماء" وأهلـي بسـببه... وهـذا مـا يتـرك "ناصـر" الخليـط

البشـري فـى العتبـة لأجلـه ويذهـب بكامـل إرادتـه إلـى الكثافة البشـرية البيضـاء بالاسـتاد.."ناصر" آمـن قبلـي بأسـابيع قليلـة.. "ناصـر" كان إيجابيـاً قبلي.."ناصـر" صَـدق قبلـي.. وجـد قبلـي.. أصبـح فارسـاً مـن الفرسـان قبلي..."ناصـر" كان سـبباً رئيسـياً فـي إطـلاق سـراح هـذا الوحـش الزملـكاوي الأبيـض الرابـض بداخلـى.. ولـن أنسـى لـه هـذا أبـداً .

جرأتـى، كانـت هـي كل مـا يفصلنـى عـن الانضمـام للمجموعـة وقتهـا، تفصلنـى عـن التعبيـر عـن زملكاويتـى الحقـة.. عـن التعبيـر عـن ذاتـى.. تفصلنـى عـن التواجـد فـى المدرجـات كلاعـب أخيـر، كليبـرو الفريـق، هـذا اللاعـب الـذى يقـف فـى آخـر الملعـب مدافعـا عـن فريقـه ضـد الهجمـات المتواليـة، وحتـى صافـرة النهايـة يحـاول الفـوز ويشـجع زمـلاءه ويحفزهـم حتـى الرمـق الأخيـر.. فقـط جرأتـى تفصلنـى عـن اجتماعـات الـ White Knights التـي يعقدونهـا بشـكل دورى.. تفصلنـى عـن الوقـوف فـى الـ(كورفـا سـود) وهـي كذلـك كلمـة إيطاليـة يكتبونهـا Curva Sud وتعنـى حرفيـاً "المنحنـى الجنوبـي" أو المـدرج الجنوبـي.. والمـدرج الجنوبـي عندنـا فـى مصـر هـو المـدرج الـذى يحتـل الجانـب الأيمـن مـن المقصـورة الرئيسـية للاسـتاد، الجانـب المخصـص مـن قبـل الأمـن للجماهيـر البيضـاء.. ولهـذا قـد تسـمع أحيانـاً مـن خـلال التلفـاز أو مـن داخـل الملعـب هـذا النـداء الشـهير الخـاص بنـا:

في الكورفا سود / جمهور أسود
ورا الزمالك في كل استاد موجود
روحنا فداه / دايما معاه /
بننادي باسمه في كل بلاد الله.

ونعم جلست في (الكورفا سود) كثيراً جداً.. لكنني كنت أجلس وقتها كمشجع زملكاوي عادي.. ومن اليوم سأقف فيها كفرد أولترا حقيقي.. فقط هناك مشكلة، وهي أن "ناصر" لم يأت بعد هو و"محمد سمير" الشهير بالمشاكس، أحد أعضاء مجموعة (وايت نايتس)، والذى سيصحبنا لأول اجتماع للأولتراس في حياتي.

تسألني ولماذا ذلك الإصرار على أن أصبح فرد أولترا؟! لماذا اعترتني هذه الرغبة بهذا التدفق وفي هذا الوقت تحديدا؟!! وإجابتي عليك تتلخص في.. وصية أمي.

أمي، هذا الفصل الطويل من كتاب عمرى والذى لن توفيه حقه كلمات الدنيا إن جمعتها.. حصلت هي على ليسانس الآداب في جامعة القاهرة، درست هي الفلسفة وظلت تدرسها لطلبة المدارس لأجيال وأجيال، واستطاعت أن تنمي داخلي حب الفلسفة عبر السنين.. كانت (بنت الجيران) بالنسبة لأبي، أَحَبَها وبادلته الحب، طلب منها الزواج فوافقت، واختارا الاستمرار في المعادي، ومع ميلاد "وليد" تغير وجه الدنيا للأفضل، فترك أبي عمله في شركة

البترول الحكومية وانتقل للعمل فى شركة خاصة ضخمة بمرتب كبير، وتركت أمي المدرسة التي كانت تعمل بها، وبدأت التدريس في مدرسة تجاور بيتنا.. ولما أتم "وليد" عامه الثاني سافر أبي للمملكة العربية السعودية ليعمل فى فرع الشركة التي يعمل بها هناك، وسافرت أمي و "وليد" معه، وبعد عامين آخرين تقريباً عادت أمي لتلدني، وتبدأ رحلة تربية كلانا، "وليد" وأنا.. وبين مدرستها وبيتنا، قضت أمي عددا لا بأس به من السنين، حتى عاد أبي ليعمل في فرع القاهرة من جديد ليبقى بجوارنا.. ويساعدها، لنصبح مع الشهور والسنوات ما نحن عليه الآن.

أمي تركتنا عمداً فى وقت حاسم للغاية.. فقد تركت أبي ينهي سنين عمله الطويلة لاقترابه من سن الستين.. تركت أخي فى مقتبل حياته العملية بوزارة الداخلية كضابط مازالت فرحته بالدبورة الثالثة التي نالها لتوه لم تنته بعد.. وتركتنى غارقا فى دوامة، بين مطرقة عمل لا أحبه وفتاة تعشقنى ويقطّعنى ضميرى إربا بسبب أنني لا أبادلها الحب، وسندان أب قلما يتواجد لينصح ويرشد، وأخ يتسلط ويتعالى بلا سبب معلوم... تركتنى أمي فى نوبة اكتئاب شديدة الوطأة، تركتنى قبل أن تعلم كم أحبها، قبل أن أرتمى فى أحضانها لأودعها .

يـكاد يكـون الجمعـة الثامـن عشـر مـن مايـو عـام 2007 هـو التاريـخ الوحيـد الـذى أتذكـره بعيـداً عـن كـرة القـدم.. يـوم اصطـدم أتوبيـس تابـع لهيئـة النقـل العـام بأمـي التـي كانـت تعبـر الطريـق فـى هـذه اللحظـة لتصاب إصابـات بالغـة فـى أنحـاء متفرقـة مـن جسـدها، وتنتهـي حياتهـا بعـد دقائـق معـدودة... ماتـت أمـي بعـد اصطـدام مـروع بيـن وحـش حديـدى يجـوب شـوارع المعـادي بسـرعة خرافيـة وبيـن جسـدها الضعيـف... اصطـدام طـار بأمـي لعـدة أمتـار ودفعهـا لتطيـر علـى الحديقـة الكبيـرة التـي تحتـل مسـاحة لا بـأس بهـا مـن ميـدان الجزائـر، وينتهـي كل شـىء.

تركتنـى أمـي وحيـداً، سـقيماً، شـاعراً بمـرارة لا حـد لهـا، تركتنـى وهـي تشـفق علـيّ وعلـى حالـى وابتعـادى عـن كل المقربيـن منـى.. كانـت أكثـر مـن يلمـس مشـاعري ويتفهمهـا، كانـت الوحيـدة التـي تـدرك أننـي لا أتخـذ ركنـا قصيـاً لأننـي أهـوى ذلـك، بـل كانـت تعلـم يقينـاً أننـي خائـف، تملؤنـى الفوبيـا الاجتماعيـة التـي تمنعنـي مـن التقـارب والتـودد الـى النـاس.. كانـت الوحيـدة التـي تعلـم أن حـل معضلتـي لا يملكـه سـواى.. لـذا فقـد كانـت تريدنـى أن أعبّـر عـن ذاتـى.. وأن أفسـر مـا بداخلـى مـن مشـاعر، وأذكـر أنهـا قبـل وفاتهـا بيوميـن قالـت:

- حالك مش عاجبنى يا "مصطفى".

وكعادتى رديت بدون تركيز :

- ولا عاجبنى يا ماما.

قالت:

- انت بتحب الزمالك أد إيه؟.

قلت مازحاً "أكتر ما بحب أمي".. كانت تعلم أنني أعشق الزمالك، وتعلم أنه خط أحمر، وأن الاتهام الأكبر بالنسبة لى هو أن يطعننى أحدهم فى زملكاويتى.

- ساعات بحس انك ما بتحبش الزمالك بجد.. لأنك مش بتعبر له عن حبك، ما تتكسفش ..لما تحب حد قوله أو وريله إنك بتحبه.

كالعادة لم أفهم.. ظننت أنها "تتفلسف" علىَ بكلماتها العميقة كدأبها، كالعادة تركتها في مكانها تنظر إليَّ في انتظار رد يعلم كلانا أنه لن يأتي وسرحت بأفكاري فى اتجاهات أخرى، سرحت في الزمالك وحبي له وتاريخي العريض مع التشجيع وتركتها، كالعادة لم أكن معها إلا بنصفي أو أقل، لو كنت أعلم ما يخبئه القدر لارتميت تحت أقدامها صارخاً ومعبراً عن حبي لها.

لكنني لم أنس أبداً تلك اللحظة التي نصحتنى فيها بالتعبير عن حبي.. ولقد استوعبت الدرس جيداً، فبعد وفاتها بأسابيع قضيتها فى الانغلاق والانعزال فى المنزل، عازفاً عن كل شيء، كارهاً كل شىء، العمل، والموسيقى، والأحلام.. راجعت كلماتها بدقة وقررت أن أعيش ما تبقى

من عمرى معبراً لكل من أحب عن حبي، اعتبرت كلماتها وصية واجبة التنفيذ.

لهذا جمعتني جلسات ودية متعددة بأبي، محاولاً تقريب المسافات بيننا، وإخراجه من حالة الاكتئاب البشعة التي كان يحياها، جلسات ساهمت بشكل كبير فى تقليل حجم الفجوة بيننا.. سألته لم كان يعاملنى بجفاء؟ لماذا كان يتجنبنى؟ هل لأنني فشلت فى دخولي كلية الاقتصاد والعلوم السياسية كما كان يتمنى؟!.. أم لأنني رفضت تقديم أوراقى إلى كلية الشرطة مثل "وليد"؟.. هل لأنني زملكاوي وهو ما أثار له بعض المشاكل من جراء المشاحنات المتكررة بينى وبين بعض جيرانى وأقاربي وجيراني؟.. وأذهلتنى ردود أبي واكتشفت أن له مبررات منطقية فيما كان يفعل طيلة السنوات الماضية وأن ما يدور فى رأسى لا أساس له، والأهم أنني تأكدت من أنه يحبنى بحق.

عرفت أنه قرر أن يتركنى لحالى، هو يثق فى تربية زوجته لى ويعلم أنني مستقيم الأخلاق، فقرر ومنذ زمن أن يتركنى وشأنى، كان يعاملنى بجفاء لأنني شخص أعامل كل من حولى بجفاء مماثل ففكر أن يذيقنى من نفس الكأس.. سألته لماذا يتجنبنى؟ فأفحمنى قائلا أنني لا أتواجد فى المنزل تقريباً.. قال إن عدم دخولي كلية

الاقتصاد والعلوم السياسية هو نصيب لا أكثر وأن عدم التحاقى بكلية الشرطة هو قرارى لا قرار أحد.. قال إن عصبيتى للزمالك وتركيزي معه أنسياني وجود بعض البشر في حياتي.

تركيزى مع الزمالك.. صدق أبي!!

فأنا فعلا أعيش حياتي منذ سنوات طويلة كالمجذوب.. لقد ندهتنى النداهة البيضاء الجميلة وانتهي أمري.. أحب الزمالك وهذا قدري.. أحب موسيقى الترانسات وهذا قدري.. أحب القراءة وهذا قدري.. وأنعزل عن بقية تفاصيل حياتي وهذا قدري وقدر كل من يعرفنى.

انتهي أمر علاقتى بأبي على خير.. صرنا أكثر ارتباطاً ببعضنا البعض.. حتى إنني اصطحبته معى إلى الاستاد أكثر من مرة، جلسنا طبعا فى مدرجات الدرجة الأولى، حيث الناس الأكثر هدوءاً، ففيها لن تحدث مشاكل إذا انكشف أمر انتماء أبي للأهلى.. صرنا نتحدث فى كل الأمور تقريباً.. صار يشجعنى.. صرت أستمع إليه ويستمع إلى، والأغرب أنه لم يعترض على الكثير من تفاصيل حياتي كما كنت أتوقع بل على العكس كان متفهماً للغاية فى كثير من الأمور، ناصحاً لى فى مواضع عدة.. اعترض هو على علاقتى بـ"شيماء".. اعترض على إغراقي فى الزملكاوية.. بيد أنه تفهم موقفى من العمل، تفهم عدم وجود أصدقاء حقيقيين فى حياتي، تفهم أزماتى

مـع "وليـد"، بـل إنـه وعدنـي بمحاولـة تلطيـف الأجـواء بيننـا بجديـة أكبـر.. تسـتطيع القـول بأننـا صرنـا أبـاً وابنـه فـى أقـرب الصـور إلـى المثاليـة.

وجمعتنـي جلسـات شـبيهة وإن كانـت أقـل عـدداً وتأثيـراً بـ"وليـد".. لكنـه وكالعـادة كان بـارداً أكثـر مـن الـلازم فـى كل مـرة.. سـخيفاً أكثـر مـن الـلازم فـى أكثـر مـن مـرة.. كان أبـي ملتزمـاً بوعـده وحـاول بالفعـل تلطيـف الأجـواء بيـن ولديـه، ولكـن يبـدو أن "وليـد" لـم يكـن علـى اسـتعداد لتذويـب جبال الجليـد التـي تقـف بينـه وبينـى بهـذه السـرعة.. ويبـدو أيضـا أن وفـاة أمنـا المباغتـة قـد حولـه إلـى كائـن أقـل إنسـانية، أكثـر شراسـة وعصبيـة.

كان "وليـد" وقـت الحـادث قـد تلقـى ترقيـة إلـى رتبـة (نقيـب) كمـا انتقـل لتـوه للعمـل كضابـط بمباحـث قسـم الوايلـي الـذى يقـع بحـي (العباسـية)، يعمـل طـوال الليـل والنهـار، كان يبـدو كمـن يهـرب مـن واقعـه المؤلـم، أعتقـد أنـه كان يحـاول تناسـى وفـاة أمنـا بإغـراق نفسـه فـى العمـل، يحـاول أن ينسـى وجهها بيـن وجـوه المجرميـن، أعلـم أن راتبـه الضئيـل يزيـد مـن أعبائـه النفسـية، وأعلـم أيضـا أنـه يوقـن بأنـه لـن يسـتطيع الارتبـاط بـأى فتـاة بمرتـب كهـذا، صحيـح أن أبـي لـن يتركـه، لكننـي أعـرف مـا يكفـى عـن "وليـد" واعتـزازه بنفسـه، أعـرف أنـه لـن يعيـش مـع زوجتـه مـن جيـب أبيـه.

فعلت ما فعلته مع أبي ومع "وليد" ومع فودافون ومع الموسيقى، غير أنني لم أستطع أن أفعله مع "شيماء".. أحببت كافة تفاصيل حياتي باستثنائها.. تساوت "شيماء" عندى بالسوشي، أكلة مزعجة شكلا، غريبة عنا تأتينا من أقصى العالم، السوشى كـ "شيماء" كلاهما شيء نيء بارد لا أكرهه لكنني كذلك لا أستطيع أن أحبه، الفرق هو أنني أمتلك قراري بمقاطعة السوشي، أما هي فتفرض وجودها على حياتي فرضاً.

هذا المقهى جيد التهوية، الواسع، يضغط على أعصابي... أعتقد أنني سأقوم الآن ... وملعون أبو "ناصر"

سمها نذالة.. سمها حيوانية.. سمها ما شئت.. ولكنني أثق بأنني الوحيد الذى أعلم الحقيقة.. ولأنني أعيش لحظة كتابتى لتلك السطور موقفاً تطهيرياً صعباً فلزاماً عليَّ أن أكون واضحاً معك للغاية وأن أتقاسم معك تلك الحقيقة، فـ"شيماء" فتاة مثل أى فتاة أخرى، ترى كل من حولها من البنات يعشن علاقات مستقرة إلى حد كبير مع شبابهن، وهي تفتقد الحب لأسباب تتعلق بشخصيتها الضعيفة إلى حد الاهتراء، واستعدادها الكامل لفقد كرامتها على أرصفة أى شاب يريد خطف قبلة، يريد اعتصار جزء بارز من جسدها بداعى الحب، "شيماء" تعتقد أن هذا برهان الحب الذى تقدمه لحبيبها، ونحن جميعا نعلم أن الشاب

المصري رغم هوسه الشديد بجسد المرأة إلا أنه لن يكمل علاقة سوية بمنطق "شيماء" أبداً.

تقابلنا مصادفة فى النادي فى صيف عام 2005 أثناء متابعتي لبطولة غطس كانت هي مشتركة بها.. أخذني جمال وجهها وجسدها للغاية، ومن هنا بدأت علاقتنا، خروج مستمر فى العطلات.. تطور لخروج فى الأيام العادية.. كلام معسول مستمر منى حتى صدقتني الفتاة أسرع مما توقعت.. كنت قد أنهيت لتوي دراستي الجامعية، وأنتظر موقفي من التجنيد، لذا فقد كنت شبه متفرغ لها، ورغم تكرار لقاءاتنا فقد كانت بالنسبة لى علاقة عابرة بفتاة أعلم يقيناً أنني لن أرتبط بها ارتباطاً رسمياً تحت أي ضغط فأنا لم أحبها منذ البداية - ناهيك عن سهولتها الشديدة- فقط أبهرني جمالها الأخاذ، أبهرتني طريقة ارتدائها لملابسها القصيرة والضيقة، والساخنة أحياناً.. والتي قد تتسبب فى أن يحسدني أى رجل فى العالم وهو ما أريده كنوع من الزهو والفخر بأنني شاب محظوظ له فتاة جميلة تعشقه بجنون.

تستطيع القول أنني كنت أحتاج لاستكمال الوجاهة الاجتماعية.. شاب ميسور الحال، يمتلك سيارة حديثة الطراز، كما أكسبتنى دراستى للفلسفة لساناً حلواً ومنطقاً دقيقاً إلى حد يذيب عقول الفتيات الصغيرات.. فقط

تنقصنـى فتـاة.. وجـاءت "شـيماء" فتـاة الثانـوي فـى هـذا الوقـت لتكمـل الجـزء الناقـص فـى حياتـي وتصبـح صديقتـي.. ذلـك رغـم أنهـا لـم تكـن أبـداً تقابـل تطلعاتـي فـي فتـاة أحلامـي، كانـت بـلا شـخصية تقريبـاً، كمـا أننـي اختبرتهـا مـرات ومـرات وفشـلت هـي فـى كل الاختبـارات.

فبعـد يوميـن فقـط مـن علاقتنـا جربـت أن أمسـك يدهـا الناعمـة، وقـد كان، حتـى إنهـا بـادرت وضغطـت علـى كفـي برقـة وعذوبـة صاحبتهـا ابتسـامة سـاحرة تحـاول أن تصطنـع الخجـل، وهـو مـا يعنـى بالنسـبة لـى أنهـا رسـبت بدرجـة ضعيـف جـداً فـى أولـى اختباراتـى لهـا، وبعـد شـهر واحـد فقـط مـن علاقتنـا ظهـرت نتيجـة الثانويـة العامـة.. نجحـت هـي بمجمـوع جيـد بالنسـبة لشـعبة الأدبـي.. واحتفـالاً بهـذه المناسـبة قـررت أن أحتضنهـا فـى سـيارتى وقـد كان، لـم يبـد عليهـا الاعتـراض إطلاقـاً.. احتضنتهـا بيمنـاى.. ضممـت جسـدها إلـى جسـدي.. حاولـت هـي التملـص للحظـة ثـم استسـلمت لتوجيهـات ذراعـى.. وتحركـت يسـراى لتكمـل دائـرة الاحتضان.. وارتعـش جسـمي للحظـات، ارتعشـت خوفـاً فـى البدايـة، ثـم تحـول الخـوف إلـى قلـق، ثـم تحولـت كل المشـاعر إلـى هـذا الشـىء الـذى نعرفـه جميعـاً.... (الشـهوة).

قبلتها بشراهة.. وعرفت من أدائها فى هذه القبلات أننى لم أكن الأول وقررت حينها ألا أكون آخر من يأكل من طبق "شيماء" الشهي.. وبعدها تكررت اللقاءات، ومع دوران عجلة الزمن لتطحن معها الأيام والأسابيع والشهور فعلت مع جسدها الممتع كل ما يمكن فعله داخل سيارتى.. داخل المصعد.. فى مكان منعزل بالنادي.. فى أى مساحة جغرافية/ زمنية تسمح لى بخطف قبلة أو لمس جزء غير مسموح من جسدها أو أى شىء آخر.. كل هذا وسط استسلام كامل منها تحت شعار الحب.

حتى جاءت اللحظة الحاسمة، لحظة الامتحان الأخير الذى رسبت فيه كالعادة، يوم أن فازت بمسابقة فى الغطس.. وقررت أن أحتفل معها بطريقة خاصة، وأدعوها لسهرة بسيطة بعدها بيومين فى منزل "هشام" صديق عمري وسط مجموعة من الأصحاب والمقربين - المزعومين بالقطع- وافقت هي بدون مجهود، واحتضنت يدها برفق أثناء دخولنا لمصعد البناية التي يسكنها "هشام"، وضغطت زراً يشير إلى الدور الرابع.. ومع أول سنتيمتر يقطعه المصعد لأعلى.. كانت شفتاى تجريان حواراً غاية فى الأهمية مع شفتيها، وكانت يدي اليسرى تعتصر بعض المناطق البارزة فى جسدها كمقدمة منطقية للغزو الذى كنت أخطط له بعد قليل.

- ألف مبروك يا حبيبتى.. عقبال بطولة الجمهورية.
- ميرسى يا حبيبى .
- ميرسى ليكى انتى انك وافقتى تيجى.. كنت خايف تكسفينى وما تجيش .
- وأرفض ليه..حبيبى وعازمنى على سهرة.. حبيبى ومهتم بيا.. تفتكر دى حاجة ترفض؟؟!!

وليتها رفضت!!.

ثـالث رُبع ساعة

« راحة سلبية »

الوكر- المعادي

فتح "هشام" الباب لأجده قد جهز كل شيء كما طلبت منه تماما، شموع حمراء في كل مكان... باقة كبيرة من الزهور البنفسجية التي أعلم مدى حبها لها.. إضاءة خافتة تحيط بنا لتضفي انطباعاً رومانسياً مثيراً.. مجموعة من زجاجات الـ ID بنكهات مختلفة تتوارى بجوار المنضدة القصيرة التي تشبه الطبلية المودرن وتتراص عليها أنواع مختلفة من الطعام الصيني الذي تحبه "شيماء" بجنون.. ويتوسط المنضدة صندوق خشبى أنيق محفور عليه اسمها بشكل جذاب.. سلمت على "هشام" غامزاً له بسعادة فقد خططت ورسمت السيناريو ونَفَذَهُ هو بدقة.

الأب والأم فى (مارينا).. وهو يستعد للحاق بهما.. شقة خالية لنا وحدنا - جسدها وأنا - لمدة قد تصل إلى الشهر.. مفتاح الشقة معى.. وحارس البناية صديق (عزيز جداً) يمكنه أن يتحول لأعمى مقابل علبة سجائر ميريت أصفر وعشرين جنيها.. فليكن.

فتحت لها الصندوق الخشبى متوسط الحجم.. ليزيد من انبهارها.. جلسنا على الأرض، احتضنتها فى اللحظة التي تسلل فيها "هشام" خارجا من المنزل.. انقسمت ساعة

الحائـط فـى هـذه اللحظـة لنصفيـن معلنـة عـن السادسـة مسـاء.. وبعـد ثـوان قليلـة كانـت "شـيماء" تخـرج أول قطعـة مـن صندوقهـا والتـي كانـت عبـارة عـن سلسـلة رقيقـة مـن الذهـب الأبيـض تحمـل الحـرف الأول مـن اسـمها واسـمى.. ثـم علبـة كاملـة مـن الشـيكولاتة الفاخـرة التـي تحبهـا.. ثـم مايـوه بكينـى وردى اللـون شـفاف فـى معظمـه هـو أقـرب للملابـس الداخليـة قلـت لهـا إنـه مخصـص لليلتنـا الأولـى بعـد الـزواج.. ثـم زجاجـة عطـر قديـم لكنـه رائـع (بيبـي دول مـن إيـف سـان لـوران) طلبـت منهـا تعتيقهـا لنفـس الليلـة والتـي وعدتهـا- كاذبـا طبعـا- أنهـا لـن تبعـد كثيـراً... وانتهـي الصنـدوق بدعابـة خفيفـة وهـي علـم صغيـر للزمالـك والـذى طلبـت منهـا أن تحافـظ عليـه كأول قطعـة أثـاث مـن بيتنـا المزعـوم.. أكلنـا حتـى امتلأنـا.. شـربت هـي زجاجتيـن ID بنكهـة البطيـخ، وشـربت أنـا ضعـف الكميـة، وعندمـا اقتربـت السـاعة مـن السـابعة كانـت تجلـس بيـن أحضانـى مرتديـة البكينـى الـوردى السـاخن لتعلـن عـن بدايـة ليلتنـا الأولـى والتـي لـن أنسـى مذاقهـا أبـداً.. فصحيـح أنهـا لـم تكـن أولـى فتياتـي فـى الحياة.. لكنهـا كانـت أولاهـن فـى الفـراش.. حملتهـا برفـق وهـدوء مقبـلاً إياهـا حتـى أرحـت جسـدها الأبيـض المثيـر علـى سـرير "هشـام" الكبيـر فـى غرفتـه.. غرقنـا فـى نوبـة طويلـة مـن القبـلات، كنـت حريصـا علـى ألا أتعجـل وكانـت هـي تفتقـد للحـرص، وبالطبـع لـم تقاومنـى.. لـم تقـو علـى ذلـك خاصـة بعـد تأثيـر محتويـات الصنـدوق وزجاجتـي الـID.

خلعـت عنهـا مـا ترتديـه مـن قمـاش، قذفتـه بـلا عنايـة لتلتهـم عينـاى جسـدها.. قلبتهـا بيـن يـدي حتـى رقـدت علـى بطنهـا، قبلتهـا بجنـون.. قبلـت كل ملليمتـر فـى جسـدها بـلا مبالغـة.. حتـى التقينـا.

نجحت قواتنا المسلحة في اختراق الحصون المنيعة ودك
دفاعات العدو

وقـت طويـل مـر علـيَ كثـوانٍ بيـن تأوههـا وآهاتـى.. صراخهـا ولمسـاتي.. استمتاعها ورغباتـي.. حتـى انتهينـا.. وقتهـا كانـت السـاعة تجـرى بسـرعة نحـو الثامنـة.. أمامـي سـاعتان لا أكثـر حتـى يحيـن موعـد عودتهـا للمنـزل.. إذن فلنفعلهـا ثانيـة.. فلنكررهـا للمـرة الثالثـة.

جسـد أبيـض ممتلـئ فـى مناطـق الإثـارة.. يليـق بغطاسـة محترفـة مثلهـا، متناسـق فـى مجملـه.. تحيطـه ملامـح تصـرخ بجمـال أخاذ..جسـد سـريع الإيقـاع.. جسـد يغريـك بالمغامـرة مـن أجلـه وأنـا عاشـق لهـا.. جسـد يطلبـك ويشـتهيك كمـا تشتهيه..جسـد يرغـب بـك كمـا ترغـب بـه.. جسـد يحتويـك وتغـرق فـى بحـره، تنسـى معـه الوقـت والمسـئوليات.... وتسـتريح .

وتكـررت لقاءاتنـا ولياليـنـا السـعيدة فـى منـزل "هشـام" وعندمـا قلقنـا مـن احتمـال حملهـا ذهبـت هـي لطبيـب نسـاء شـهير بالدقـى - حرصاً منـا علـى أن نتـوارى بعيـداً عـن أعيـن أهـل المعـادي التـي ألفتنـا وقـد تفضحنـا - أعلـن الطبيـب أن لديهـا اضطرابـاً هرمونيـاً مـا، وأنهـا لـن تسـتطيع أن تكـون أمـاً قبـل أن تجـرى عمليـة بسـيطة فـى الرحـم.. وكان هـذا كالضـوء الأخضـر الـذى فتـح طريقـاً ممهـدا لنـا كـى نفعـل مـا نريـد دون ضوابـط، دون رادع، فـى انتظـار الـزواج والعمليـة الجراحيـة البسـيطة حتـى نأتـى بنيرميـن ابنتنـا المزعومـة.

وهكـذا كانـت أيامـي مـع شـيماء، سـهرات حمـراء وجـولات فـى الشـوارع، المزيـد والمزيـد مـن الكافيهـات، والكثيـر جـدا مـن الجنـس، أتركهـا مضطـراً للذهـاب الـى عملـى فـى كل صبـاح، وأتركهـا بنفـس يملؤهـا الرضـا لأذهـب إلـى النـادي فالمقهـى أو التدريـب أو مبـاراة مـن المباريـات.. لكننـي وكعادتـي بـدأت أشـعر بملـل شـديد منهـا بعـد فتـرة، ملـل نابـع فـى الأسـاس مـن كونهـا راكـدة ثابتـة، فأفكارهـا لـم تتغيـر، ظلـت هـي كمـا هـي، تريدنـى دائمـا إلـى جوارهـا لنخـرج ونسـعد بأيامنـا وحبنـا، وتحلـم آلاف المـرات فـى اليـوم الواحـد بتفاصيـل الفـرح والـزواج وشـهر العسـل و"نيرميـن" وغيرهـا مـن الأشـياء التـي لا تهمنـى إطلاقـا، وأضطـر أنـا لمجاراتهـا خوفـاً مـن اختفائهـا وبالتالـى اختفـاء الجنـس مـن حياتـي. فانـا لا أنكـر أن سـطوة الجنـس لا مثيـل لهـا، خاصـة مع

فتـاة فـى جمالهـا وسـهولتها، وصحيـح أننـي أرغـب فـى الـزواج، نعـم أريـد حفـل زفـاف فخـم، نعـم أريـد قضـاء شـهر العسـل فـى مـكان متميـز خـارج الحـدود، نعـم أريـد نيرميـن، لكننـي لا أرغـب بـــ"شـيماء" كطـرف فـى أى مـن هـذه الأحـلام .

راتبـى فـى فودافـون يمكنـك اعتبـاره راتبـاً متميـزاً، قـد يُمَكننـى مـن تحقيـق أحلامـي.. أحصـل عليـه شـهريا مـع تأميـن صحـى محتـرم وجـزء مـن أربـاح الشـركة يتـم تقسـيمه علـى الموظفيـن بشـكل دوري، وعـلاوات ومنـح فـى بعـض الأحيـان تكفـى أى شـاب مثلـى ليعيـش هانئـاً سـعيداً، لكننـي لـم أكـن أبـداً هانئـاً ولا سـعيداً ولا رائـق البـال، رغـم قدرتـى علـى تحقيـق مـا أحلـم بـه، وشـراء كل مـا أريـد، وذلـك لأسـباب تتعلـق بضميـري الـذى يسـتقبلني كل صبـاح بمعركـة يذكرنـى فيهـا بأننـي (خسـيس) أفعـل مـا يحلـو لـى بجسـد الفتـاة، كمـا يذكرنـى بأننـي أفعـل مـا يحلـو لـى بحياتـي ككل، أعيشـها طـولاً وعرضـاً غيـر عابـئ بشـىء أو بأحـد، فرغـم كل شـئ، لـم يبتلـع ضميـري أبـداً ممارسـة الجنـس/ الزنـا مـع "شـيماء" مهمـا كانـت المتعـة الناتجـة عنـه، تتكـرر المعركـة معـه يوميـاً، وأقـرر يوميـاً أن أتناسـاه وأؤجـل المعركـة لوقـت لاحـق، وغالبـاً مـا يأتـي هـذا الوقـت سـريعا فـى صبـاح اليـوم التالـى لتتكـرر المعركـة بـكل فصولهـا وبحذافيرهـا .

كشـاب مصـري طبيعـى يعـرف جيـداً (البيـر وغطـاه) فقـد أختلـق المبـرر تلـو الآخـر لـكل مـن يرتكـب جرمـا أو خطيئـة لأننـي وبمنتهـي البسـاطة والوضـوح أزاملهـم علـى دكة الاحتيـاط فـى هـذا البلـد وأعلـم الحـال ومـا يحويـه.. فقـد أجـد مبـرراً للسـارق، للنصـاب، للبلطجـى، حتـى إننـي قـد أجـد مبررًا للقاتـل تحـت وطـأة الظـروف والأهـوال، أمـا الزنـا (شـيماء فـي حالتـي) فـلا مبـرر لهـا علـى الإطـلاق.. حاولـت كثيـراً أن أجـد لنفسـي مبـررا للزنـا لكننـي فشـلت، حاولـت منـع نفسـي مـن الرذيلـة الشـيمائية لكننـي عجـزت... هـي طبيعتـي.

طلبـت الرفقـة مـن أخـوة الـدم، زملائـي الأولتـراس، فلـم أجـد سـوى الصخـب والضجيـج والحماس الـذى يلهب مشـاعري ويضطرنـي إلـى قضـاء اسـتراحة محـارب بيـن أحضانهـا، طلبـت السـلوى مـن الروايـات والقصائـد ونظريـات الفلسـفة وبحـور التاريـخ، لكنهـا جعلـت منـى شـخصاً حساسـاً رقيقـاً يستشـعر القبـح فـى كل مـا ومـن حولـه ويحتـاج إلـى جرعـة جمـال... وباللـه عليـك أن تخبرنـى وتشـير إلـى مـن هـي أجمـل مـن تلـك الــ "شـيماء" اللعـوب.

لا يوجـد مبـرر اجتماعـى يسـمح لـى بممارسـة الرذيلـة كمـا لا يوجـد غطـاء دينـى مناسـب قـد يكفـل لـى الدفـاع عـن نفسـي وعـن (هرموناتـي) ولا توجـد بعـد وسـيلة لكـى أمنـع نفسـي وأكبـح شـهواتي ولا يوجـد مـكان مريـح فـى العالـم

بعد (الكورفا سود) سوى صدرها البارز والطري، ولا طريقة من طرق التعالي والغطرسة والصد و(الغتاتة) تجدى معها نفعا، ولا أم تعوضنى حنانها، ولا أب متواجد لينصح، ولا أخ يهتم بالسؤال، ولا المعادي تمنعنى من القبلات الحارة فى دهاليزها المظلمة، ولا الزمالك يكسب البطولات فيمنحني بعضاً من الثقة بالذات التي أشعر بها بعد اعتلاء جسدها المثير، إنني أحيا مذاقًا مختلفًا من المآسى يا سيدى، بل قل إنني فى قلب بيت جحا ولا أستطيع الخروج منه.

مدينة نصر- المعادي- الكورفا سود

إنها السابعة والنصف وخمس دقائق ولم يعرني أحد اهتمامه سوى القهوجي والذى يقف أمامي منحنياً ليضع الحجر الحادي عشر فوق شيشتى.. بدأ صدرى يضيق من كثرة الدخان الردىء.. بدأت أسمع لحناً مزعجاً لأنفاسى العادية وهي تدخل وتخرج من رئتي.. كما بدأت أعاني من الصداع.. زادت حدة توترى للضعف تقريباً.. ولم يأت "ناصر" أو المشاكس بعد، المشكلة الأكبر هي أن "ناصر" أفقر كثيراً من أن يملك هاتفاً محمولاً لذا فالوصول إليه مستحيل، كما أنني لا أعرف المشاكس بعد وبالتالي لا أعرف له رقم هاتف، بمعنى أوضح فأنا مضطر للجلوس على هذا الكرسى حارقاً المزيد من المعسل، شارباً المزيد من المياه الغازية فى انتظار الفرج.

سأمشي حالاً من هذا المكان الرحب، جيد التهوية، وليكن مايكون

إننـي الآن فـى انتظـار صافـرة البدايـة لمبـاراة قـد تكـون الأهـم فـى حياتـي.. مبـاراة تاريخيـة سـأتذكرها طويـلاً.. مبـاراة سـتبدأ بعـد قليـل، فقـط لـو أتـى هـذا الشـيء المدعـو "ناصـر"، وفـى الدقائـق الطويلـة التـي انتظرتـه فيهـا تذكـرت عـدد المـرات التـي تأخـر فيهـا علـىَّ، ووجدتهـا كثيـرة للغايـة، لأتأكـد أنـه سـيكوباتي آخـر يهـوى التأخـر علـى النـاس فقـط ليشـعر بأهميتـه.. أسـمع كثيـراً عـن أشـخاص يتصرفـون بإيجابيـة شـديدة فـى مثـل تلـك المواقـف، ويتركـون المـكان فـوراً بعـد تأخـر الطـرف الآخـر عليهـم لرُبـع السـاعة.. لكننـي لسـت إيجابيـاً لهـذه الدرجـة فيمـا يخـص الزمالـك.. بـل يمكنـك القـول أننـي كنـت أكثـر مخلوقـات اللـه سـلبية مـع هـذا الكيان تحديـدا.

وأخيـراً وبعـد نصـف سـاعة أخـرى.. وبعـد زجاجـة ميـاه غازيـة جديـدة.. وحجريـن آخريـن، ومكالمـة جديـدة مـن شـيماء اعتـذرت لهـا فيهـا عـن نسـياني للموعـد، واعـداً إياهـا بليلـة دافئـة قريبـة، ظهـر "ناصـر" متأبطـاً ذراع المشـاكس.. جـالا ببصريهمـا فـى أرجـاء المـكان.. ومـا إن وجدانـى حتـى بدأ "ناصـر" فـى تمثيـل مسـرحية تـدور أحداثهـا فـى المواصـلات المزدحمـة والتـي كانـت سـبباً رئيسـياً فـى تأخـر "المشـاكس" عليـه، وبالتالـي تأخـر "ناصـر" علـيَ.. قطعـاً لـم أصـدق حرفـا لكننـي كنـت فـى انتظـار الأهـم.

سألت "المشاكس" بسرعة عن الاجتماع فقال إنه فاتنا بكل تأكيد، فزاد معدل ضربات قلبي وتوترت جداً، وكدت أقذفهما بما تطوله يداى من أشياء لولا أنني تماسكت فى اللحظة الأخيرة.. ها قد أضاعا عليَ هذان الوغدان أول اجتماع أولتراس فى حياتي.. ثم تلا علىَّ المشاكس المبادئ الأساسية للمجموعة :

1 - الأولتراس لا يتوقف عن الغناء أو التشجيع خلال المباراة، ومهما كانت النتيجة .
2 - الأولتراس لا يجلس أثناء المباراة .
3 - الأولتراس يحضر أكبر عدد ممكن من المباريات (ذهاباً وإياباً)، بغض النظر عن التكاليف أو المسافة.
4 - الأولتراس يظل ولاؤه قائما للمجموعة المكونة (أى أنه لا ينضم لأى مجموعة تشجيع أخرى) .
5 - والأهم من ذلك أن جميع أفراد الأولتراس.. إخوة في الدم.

كنت على استعداد لاستيعاب هذه المبادئ وتنفيذها دون مناقشة.. لأنني زملكاوي منذ زمن بعيد، وأمارس زملكاويتى علناً أمام الجميع ولا أخشى في الزمالك لومة لائم، لكنني وبانضمامي إلى (أولتراس وايت نايتس) أنفذ وصية أمي وأعبر للزمالك عن حبي.

تركـت الجلسـة مسـرورا سـعيداً، وتمنيـت أن تجـرى الدقائـق والسـاعات ليبـدأ الـدورى، وأبـدأ فـى متابعـة المباريـات مـن (الكورفـا سـود) كواحـد مـن الأولتـراس، ومـع صافـرة الحكـم التـي أعلنـت بدايـة مبـاراة افتتـاح الـدورى فـى هـذا العـام، بـدأت فـى ممارسـة حياتـي كفـرد أولتـرا.. منفـذاً للتعليمـات.. مطيعـاً للأوامـر.. مؤديـاً دورى علـى أكمـل وجـه كواحـد مـن مجموعـة تمثـل الليبـرو فـى فريقنـا العظيـم.. تدافـع عنـه بحمـاس.. تواصـل عطاءهـا مهمـا كلفهـا الأمـر.. تشـاركه الأفـراح، تسـانده فـى الأتـراح.. تكتـب المقـالات، تـزأر فـى مدرجـات الملاعـب، تـزور النـادي لتعبـر عـن وجهـة نظرهـا، تحضـر مباريـات اللعبـات الأخـرى لتسـاند الكيـان، تمـلأ الدنيـا صخبـا وضجيجـا، هكـذا يجـب أن يكـون فـرد الأولتـرا.. المحـب العاشـق.. هـذا مـا يجـب أن أكـون... وهـذا مـا حققتـه.

الاثنيـن 13 أغسـطس 2007.. وقـد مـرت يومهـا ثلاثـة أشـهر تقريبـاً علـى وفـاة أمـي.. غـاب الجـرح الغائـر وإن لـم يـزل أثـره بعـد، ولأول مـرة بعـد حـادث الوفـاة، أسـتيقظ مـن نومـى شـاعرا بالحمـاس والفخـر، كان يـوم افتتـاح الـدورى العـام، وكنـت أشـعر بالحمـاس لأننـي سـأجلس اليـوم مـع الأولتـراس فـى المدرجـات بشـكل رسـمى، شـاعرا بالفخـر لأننـي سـأفعلها لأول مـرة، ولأننـي أيضـا أنفـذ حرفيـا وصيـة والدتـى رحمهـا اللـه، أعتقـد أنهـا اليـوم سـترقد هانئـة فـى قبرهـا بعـد أن اسـتمع آخـر عنقودهـا لوصيتهـا، بعـد قـراره بتنفيـذ وصيتهـا

بحـب العالـم... العالـم الـذى يبـدأ وينتهـي عنـد الزمالـك بالقطـع.. قمـت مـن سـريرى فـى العاشـرة والنصـف صباحـا لأسـتحم بشـكل دقيـق للغايـة، حلقـت ذقنـى، أفرغـت علـى جسـدي نصـف عبـوة مـن الــ BODY SPRAY الـذى أهدتنـى إيـاه "شـيماء".. هاتفـت "هشـام" وطلبـت منـه المجـىء إلـى منزلـى بعـد سـاعة، أبـي كان خـارج المنـزل لأسـباب مجهولـة.. أمـا "وليـد" فـكان مـن الصعـب تواجـده فـى مثـل هـذه السـاعة المبكـرة مـن اليـوم بسـبب ظـروف عملـه، لـذا فقـد كان الظـرف مثاليـاً كـي يزورنـى "هشـام" ونجهـز سـوياً لرحلتـى إلـى الاسـتاد.

هاتفـت "شـيماء" لأوقظهـا مـن النـوم طالبـاً منهـا أن تلاقينـى فـى إحـدى غـرف الشـات، كانـت قـد مـرت يومهـا فتـرة طويلـة جـداً لـم أعبـث بجسـدها المثيـر، وشـعرت يومهـا بالرغبـة تشـتعل فـى جسـدي.. كتبـت لهـا علـى أزرار الكمبيوتر أن تفتـح الكاميـرا ففعلـت، اسـتمر حديثنـا علـى الانترنـت لنصـف سـاعة أو مـا يزيـد قامـت فيهـا "شـيماء" باسـتعراض جـزء كبيـر جـدا مـن جسـدها عاريـاً أمامـي لتشـعل فـى الرغبـة أكثـر فأكثـر.

جـاء "هشـام" ومعـه مـا طلبـت.. كان يحمـل بيـن يديـه هـذا الـدف الصغيـر والـذى سأسـتخدمه بكفـاءة فـى تشـجيع الزمالـك بعـد سـاعات قليلـة، سـأرقص وأغنـى معـه، سـأداعبه،

سيلين بين يدى ويزأر معى فى حب النادي.. ثم جلس معى نتجاذب أطراف الحديث، حدثته كثيراً عن اليوم الحماسى الملحمى الذى ينتظرنى، وكالعادة سخر منى "هشام" كما يفعل الجميع، فلم يكن هناك من يستطيع تقدير حبي لفريقى، لم يكن هناك من يتفهم أنني فرد أولترا منذ الميلاد وأن ما سيحدث اليوم هو مجرد إشهار وتوثيق لهويتى الحقيقية.

أحب هشام حقاً.. لكنني لا أتحمل أهلويته العفنة

حتى دنت عقارب الساعة من الثالثة فقمت كالملسوع لأرتدى تيشرت الزمالك على جسدي، مع بنطلون جينز أخصصه لبهدلة الاستادات غير أنني كنت قد غسلته بعناية يومها.. وضعت عراقة بيضاء لها خطان أحمران فى يدى اليسرى... ثم علم الزمالك والذى يبلغ حجمه حوالى مترا ونصف المتر المرُبع والذى دفعت يوما 20جنيها لأحد الخطاطين كى يكتب بين خطيه الأحمرين MOOOS 14.. كعلامة على اسمى مع رقمى المفضل كما ذكرت لك من قبل.

أيضاً ارتديت حذاءً رياضياً خفيفاً أسود اللون حرصت أشد الحرص على أن يكون نظيفاً.. كنت حريصاً على أن أبدو براقا بشكل عام... تأملت لثوان قليلة علم الزمالك متذكراً لحظاتى مع الكيان الأعظم فى حياتي..

متذكـراً النجاحـات والإخفاقـات.. العــرق والدمــوع والصــراخ والدمـاء والأتربـة.. متذكـراً سيرة حياتـي البيضـاء ذات الخطيـن الأحمريــن.. شــريط ســينمائي لامــع لــم أنــدم عليــه يومــاً.. لا أرغـب فــى تحقيـق أى مجـد شـخصى مـن خلالـه.. حجـر فرعونـى صلـب سـأخربش عليـه اليـوم بدايـة فصـل جديـد عنـد جلوسـى فـى (الكورفـا سـود) لأول مـرة كفـرد أولتـرا.. كتـرس صغيـر فـى ماكينـة العاشـقين العملاقـة التـي تـدور وتـدور لتلهـب المزيـد مـن الأعصـاب.. لتسـعد المزيـد مـن البشـر.

ثـم غرقـت تمامـا حيـن تأملـت صورتـى مـع أمـي والتـي تقـف شـامخة علـى "الكومودينـو" المجـاور لسـريرى.. صـورة فوتوغرافيـة بـدأت فـى التحـول للـون الأصفـر تحملنـى فيهـا أمـي مبتسـمة راضيـة أمـام بيـت الفيـل بحديقـة الحيوانـات.. تأملــت وجههــا الصبــوح، ابتســامتها، تفاصيــل يدهــا التــي تحتضننــى فــى حنـان واضـح.. تأملــت نظرتــى نحــو اللاشــىء الــذى ننظـر لــه جميعـا عنــد خضوعنــا لســحر الفوتوغرافيــا.. تمتمـت بالفاتحـة فــى سـرى وغرقــت تمامـا، حتــى انتزعنــى "هشـام" مـن سـباتي بهتافـه وتذكيـره إيـاى بموعـد المبـاراة.

جرينـا سـويا علـى سـلالم منزلـى.. ركبـت السـيارة التـي قادهـا "هشـام" ومشـينا سـويا فـى شـوارع المعـادي حتـى وصلنـا إلـى قلـب ميـدان العـرب الشـهير أمـام مقهـى كبيـر يحتـل ناصيـة واضحـة.. هـذا المقهـى الـذى كان المحطـة التـي

سنلتقط منها "ناصر"، الذى ركب مسرعاً معنفا إياى بشدة لتأخرى.. اعتذرت له.. وأقنعته بأن "هشام" يوازى بطلا من أبطال رالى الفراعنة وأننا سنحتضن إستاد القاهرة بعد أقل من 20 دقيقة، مال "ناصر" برأسه للأمام ليقرأ الرموز التي تظهرها الساعة ليجدها تقول " إنها الثالثة والرُبع ياسادة.. لقد تأخرتم كثيراً ".

بين الشوطين
« الجمهور يُغني »

الزمالك زى مصر

الزمالك زى مصر
يعنى بعد النكسة والهزيمة بتيجى من تانى العزيمة
وتجيب معاها ألف نصر
الزمالك زى مصر ... يشبهها تمام
عشر خطاوى للأمام.. وخمسميت خطوة لورا
نفس الدسائس والنميمة والنفوس اللئيمة
واللصوص اللى ناهبين الشوارع .... وماشيين واحدة واحدة بالغنيمة
ورغم ده
فى كل مرة بينهض نادينا ... اللى هو زى مصر
بنلاقيه أو بنلاقيها ... تنفض هدومها
وتتولد تانى عظيمة

....

الزمالك زى مصر .... ناقصه يادوب حبة رتوش
الزمالك هو مصر
وأى نادي غير الزمالك.. أنا ما اعرفوش

رسام الكاريكاتير الزملكاوي

عمرو سليم

الشـــوط الثاني

أول رُبع ساعة
« الديربى »

ستاد القاهرة- الإسماعيلية- دارفور - والمعادي

أرجع "ناصر" رأسه للخلف.. ثم مسح حبيبات عرق قليلة ظهرت على جبينه بتيشرت الزمالك الذى يرتديه وهو يخرج زفيرا حارا وطويلا:

- أوووووف.... أوووف عليك يا "مووس" وعلى مواعيدك

تأملته بهذه النظرة المتعالية والتي يسمونها (من فوق لتحت) ماطاً شفتاي فى محاولة لتذكيره بأنني لست الوحيد الذى يتأخر.. فهم هو الرسالة بدون أن أتكلم.. فآثر السكوت لباقى الطريق الذى طال كثيراً رغم أن سيارتنا يقودها "هشام شوماخر"، لكنه يوم الاثنين يا سادة ودعنى أذكركم بالحكمة الخالدة التي نسمعها كثيراً من سائقى التاكسى المتجولين فى شوارع العاصمة، (الأكل بالدين ولا زحمة يوم الاتنين)، قابلنا زحام خانق بالمعادي حتى خرجنا على الكورنيش الذى لم يكن أفضل حالا.

فقررنا الدوران والرجوع فى اتجاه حلوان على الكورنيش لكيلومترين أو ثلاثة وهي المسافة التي تفصل بيننا وبين (كوبرى طرة) الذى يفصل ما بين طريقى الكورنيش والأوتوستراد الذى سيكون أكثر رأفة بنا بكل تأكيد، ومع كل متر تقطعه عجلات السيارة على الأسفلت

المتعـرج الملـىء بالحفـر والمطبـات، نقتـرب أكثـر مـن الحلـم.. مـن الهـدف.. مـن بيـت القصيـد.. مـن استاد القاهـرة الدولـى، وجريـت بعينـي علـى المعالـم الرئيسـية القليلـة علـى الأوتوسـتراد، مسـاكن نيركـو الجديـدة علـى اليسـار حيـث تقبـع شـقتان فخمتـان اسـتطاع أبـي أن يشـتريهما لنـا أنـا و"وليـد" كمسـكن زوجيـة لـكل منـا، و صحـراء جـرداء يمينـاً ويسـاراً، والتـي شـهدت أراضيهـا الرمليـة الواسـعة عـددا غيـر قليـل مـن معاركـى مـع كل مـن تسـمح لـه رجولتـه بـأن يتحدانـى سـواء علـى المسـتوى الزملـكاوي أو المسـتوى الشـخصى لأى سـبب، كانـت تلـك البقعـة مـن المعـادي مكانـا مناسـبا للغايـة لفعـل مـا نشـاء- نحـن معشـر المتعاركيـن- فـى بعضنـا البعـض، لأنهـا بعيـدة كل البعـد عـن أعيـن الشـرطة والمتطفليـن وتمتـاز بالهـدوء- لاحـظ أننـا نتكلـم عـن عـام 2007 ومـا قبلهـا- بعدهـا تظهـر واحـدة مـن أهـم المناطـق المحـورية بالمعـادي (صقر قريـش)، والتـي تختلـف يمناهـا عـن يسـراها كثيـراً، ففـى إحداهـا صـخب مـوقف أوتوبيسـات النقـل العـام ومـوقف الميكروباصـات المتجهـة إلـى المعـادي أو إلـى منطقـة فايـدة كامـل المتاخمـة لحـى البسـاتين، مصحوبـا بصخـب آخـر تتسـبب فيـه قلـة مـن المحـلات التجاريـة المتنوعـة وبعـض باعـة الخضـروات والفاكهـة ومـا إلـى ذلـك، وعلـى الجانـب الآخـر تقـف شـامخة عمـارات صقـر قريـش التـي كانـت لا تـزال تحـت الإنشـاء رغـم الشـروع فـى بنائهـا منـذ الثمانينيـات، وهو مـا سـمح لـى بالطبـع باصطحـاب "شـيماء" إلـى هنـاك لنجـرب

معـا شـعور الرجـل البدائـى وزوجتـه حيـن كانـا يختبـران قـدرات بعضهمـا البعـض الجنسـية فـى العـراء.. فـوق الرمـال.. وتحـت السـماء .

ويسـتمر الطريـق فـى اسـتعراض ملامحـه، كوبـرى الأباجيـة، كوبـرى التونسـى وسـوق الجمعـة.. السـوق الـذى يبيـع كل شـىء ماعـدا مسـتلزمات السـفر للفضـاء والجـوارى، مقابـر الغفيـر تقـف متربصـة بنـا جميعـا على يميـن الطريق، قـلعة صلاح الـدين الأيـوبى على اليسـار، مدخل المقطم على اليميـن، منشيـة ناصـر، منطقـة المقاولـون العـرب وملعبهـا الشـهير علـى يميننـا.. إذن مـا هـي إلا عشـرات الأمتـار حتـى يتوقـف "هشـام" علـى جانـب الطريـق بعـد المنصـة بخطـوات ليقـوم بتفريـغ حمولـة السـيارة منـى أنـا و"ناصـر" لنعبـر الطريـق ونقابـل شـباب الأولتـراس أمـام مدرسـة الموهوبيـن رياضيـا بجـوار النصـب التـذكاري للجنـدي المجهـول، سـيجلس "هشـام" مـع زميـل دراسـة لـه يسـكن بشـارع الطيـران القريب مـن الاسـتاد مـع وعـد منـه بالعـودة والتقاطنـا مـرة أخـرى بعـد المبـاراة بنصـف سـاعة أو يزيـد قليـلا.

فاضل ساعتين ع الماتش

كنـت فـى واقـع الأمـر أفكـر فـى المبـاراة بعمـق كعادتـى قبـل أى مبـاراة يخوضهـا الزمالـك، هـي عادتـي التـي لـن أتخلـص منهـا ماحييـت علـى مـا أعتقـد، كنـت قـد علمـت

مـن مواقـع الانترنـت بالتشـكيل المتوقـع للمبـاراة المصريـة، جزمـت أننـا فـى حاجـة لمدافعيـن أشـداء، جزمـت أن خـط وسـط الملعـب يحتـاج إلـى ترميـم، لكننـي ورغـم كل شـىء كنـت متفائـلا للغايـة، وأذكـر جيـداً أن أفـكاري دارت دورة كاملـة لتسـتقر علـى انضمامـي للأولتـراس.. فـى هـذا اليـوم كان القـوام الفعلـى لمجموعـة أولتـراس (وايـت نايتـس) لا يزيـد بـأى حـال مـن الأحـوال عـن بضعـة مئـات مـن الأشـخاص، هـذا غيـر أن (عقليـة فـرد الأولتـرا) لـم تكـن قـد تمكنـت بعـد مـن معظمنـا، وصحيـح أن عددنـا يزيـد فـى مبـاراة تلـو الأخـرى.. صحيـح أننـا ككيـان نكبـر يومـا عـن يـوم لكننـي ومـع حداثـة انضمامـي للمجموعـة كنـت أفكـر فـى الكيفيـة التـي أجـذب بهـا أكبـر عـدد ممكـن مـن البشـر !!.. كيـف أقنعهـم بمـلء الفراغـات فـى كيـان الأولتـراس.. كيـف ؟!.

أخرجنـى "ناصـر" مـن أفـكاري حيـن بـدأ يعرفنـى علـى بعـض أصدقائـه مـن المجموعـة.. قابلونـى بفرحـة، كنـت فخـورا، سـعيداً، متحمسـاً، لـذا فقـد طلبـت بحمـاس أن يكـون لـى دور حقيقـى فـى يومـى الأول.. فـكان أن قابلـت (الكابُـو)، وهـو لقـب يطلـق علـى الشـخص الـذى يقـود هتافـات المجموعـة فـى المدرجـات وهـو بالمناسـبة ليـس مديـر أو قائـد فـلا يوجـد قائـد للمجموعـة، إنمـا هـو فقـط يتميـز بشـخصية قويـة وصـوت عـال يسـتطيع بـه لفـت أنظـار الجميـع فـى (الكورفـا سـود) وإشـعال حماسـتهم بالشـعارات والأغانـى

المختلفـة، قابلنـى (الكابُـو) بحمـاس وترحـاب شـديدين، وطلب منـى أن أشـارك فيمـا يشـبه (الكورتيـج)، وكلمـة "كورتيـج" لهـا معـان عديـدة فـي اللغـة بشـكل عـام ولكنهـا تعني فـي قاموس مجموعـات الأولترا...الاسـتعراض الـذى تقـوم بـه أى مجموعـة أولتـرا فـى العالـم حيـث يمشـون جميعـا منشـدين الأناشـيد والأغانـى، مشـعلين الشـماريخ، ملوحيـن بالأعـلام، خلـف البانـر (الشـعار) الخـاص بالمجموعـة والبانـر هـو لوحـة مسـتطيلة مـن القمـاش تحمـل شـعار المجموعـة، وهـذا الكورتيـج يعـد مـن التفاصيـل الرئيسـية فـى حيـاة الأولتـرا ويجـب الالتـزام بـه خاصـة فـى مباريـات الديربـى أو مباريـات الترحـال التـي تسـافر فيهـا المجموعـة خـارج مدينتهـم، وذلـك لإثبـات قـوة المجموعـة فـى أى مـكان.. ورغـم أن مـا حـدث يـوم تلـك المبـاراة لـم يكـن (كورتيـج) بالمعنـى الحرفـى للكلمـة، إلا أننـي كنـت فخـوراً منتشـياً سـعيداً.

وفـى الواقـع أن هنـاك العديـد مـن الإعلامييـن الذيـن تناولـوا موضـوع (الكورتيـج) هـذا ووصفـوه بأنـه أعمـال شـغب، وأنـه يدعـو لنشـر ثقافـة العنـف بيـن مشـجعى الفـرق المختلفـة، ولكننـي لا أراه كذلـك علـى الإطـلاق، أو بالأحـرى، إن فكـر الأولتـرا لا يعتبـره كذلـك، فهـو ليـس معركـة بيـن طرفيـن ومـن المفتـرض ألا يتحـول إلـى معركـة علـى الإطـلاق، فهـو فقـط كموكـب ضخـم لاسـتعراض القـوة والتفاخـر بالمجموعـة، ورغـم أن الكورتيـج يُغضـب الأمـن منـا أحيانـاً، إلا أنـه مهـم

للغاية لدينا ولا أعتقد أن الأولتراس سيكفون عن الاعتقاد به أو التخلى عنه فى أى وقت.. والحقيقة أنني وقتها – وقت تلك المباراة الافتتاحية للدورى عام 2007 - كنت فخوراً وسعيداً لأنني سأتشرف بلمس البانر فى أول أيامي كفرد أولترا... وهو شرف لو تعلمون عظيم.

كانت حرارة الجو تلهب الحماس أكثر وأكثر، الرغبة فى استباق الأحداث تلتهمنا التهاما، نعرف أن فريقنا استعد للموسم الجديد بمعسكر ناجح، كنا متفائلين تماما رغم أننا سنواجه المدرسة المتميزة فى فنون كرة القدم (مدرسة الإسماعيلي)، وصحيح أن (الحكومة) غيرت مكاننا فى هذا اليوم من (الكورفا سود) إلى (الكورفا نورد) وهي مدرجات الدرجة الثالثة يسار المقصورة الخاصة بجماهير الأهلي وهو ما يعنى أن علينا تغيير خريطة الدخلة تماما لاختلاف المقاييس بين المدرجين، أضف على ذلك أنها – أى الحكومة - كادت تمنع الدخلات أيضا، إلا أن بعض قيادات المجموعة حاولوا أن يقنعوا قيادات الأمن المتواجدة فى الاستاد بدخول الجلاد والشرائط التي سنستخدمها فى الدخلة، ووافقت تلك القيادات بعد جهد جهيد، ورغم الوقت الذى ضاع بسبب النقاشات الأمنية وبسبب تغيير المقاسات فى المدرجات إلا أننا كنا قد عقدنا العزم على تنفيذ دخلتنا، والتشجيع طوال 90 دقيقة بلا توقف لمساعدة فريقنا على حصد أول ثلاث نقاط له فى الموسم

وتوجيـه إنـذار شـديد اللهجـة لجميـع فـرق الـدوري العـام بـلا استثناء وعلـى رأسـهم بالقطـع الغريـم اللـدود، النـادي الأهلـي.

وبيـن حماسـى أثنـاء تشـجيع الزمالـك وبيـن فخـرى واعتـزازى بفريقـى وبيـن حالـة السـخط التـي انتابتنـى بعـد هزيمتنـا فـى المبـاراة.. مـر يومـى كمـا مـرت آلاف الأيـام مـن قبـل.. لكننـي لـم أذكـر لـك تلـك المبـاراة عبثـاً.. فكونهـا مباراتـى الأولـى كأولتـراس، هـذا يعنـى أنهـا كانـت المبـاراة الأخيـرة التـي سأعيشـها كمصطفـى أحمـد سـعد الديـن ذلـك الزملـكاوي المتحمـس.. "مصطفـى" الـذى يعيـش كمرضـى الجـرب بعيـداً متواريـا منكسـرا فـى معظـم أيامـه.. "مصطفـى" الـذى لـم تكـن لـه علاقـة قويـة بأحـد مـن قبـل خوفـاً مـن أن ينشـىء علاقـة بشـخص - أى شـخص - ليكتشـف أنـه أهـلاوى مثـلاً.. فيتوقـع طبعـا أن هـذا الشـخص سـيهزأ بـه يومـا حتمـا حيـن يخسـر الزمالـك مـن الأهلـي وهـو مـا لـن أتحملـه قطعـا، وهـو أيضـا مـا أكسـبنى عـددا لا بـأس بـه مـن الخصـوم، وهـو مـا يرعبنـى مـن البشـر.. "مصطفـى" الـذى يحيـا مـن أجـل الفكـرة، الإيمـان، العشـق الـذى كان يؤمـن بعـدم وجـوده إلا بيـن أحضـان الزمالـك.

كانـت مبـاراة مـع الأشـقاء فـى الإسـماعيلية، وفـى الحقيقـة إن علاقـة التوأمـة غيـر المعلنـة بيننـا وبيـن الدراويـش- رغـم توترهـا مؤخـرا- لهـا جـذور تاريخيـة تضـرب فـى أرض الزمـن

لما يقرب من خمسة عقود، وقت أن كانت المدينة الهادئة الخلابة تتحمل وطأة الضربات المعادية لمصر إبان الحرب فى نهاية الستينيات، وقتها تم تجميد نشاط كرة القدم فى مصر لفترة قصيرة ثم عاد من جديد، لذا فقد توجب على الإسماعيلي كأحد أهم فرق الدورى أن يمارس نشاطه بشكل عادى، ولأن الإسماعيلية كانت لا تصلح لممارسة أى نشاط رياضى وقتها، كان لزاما على فريقها أن يتدرب ويلعب خارج حدود المدينة الهادئة، وكان أن رفض نادي القيم (الأهلى) استضافة الدراويش- وهو اللقب الذى يطلق على فريق الإسماعيلي- فى ملعبه بالجزيرة للتدريب، ورحب الزمالك بشدة، وفتح أبواب الملعب للدراويش، ومن يومها قويت العلاقة وتشعبت، ازدادت الأُخُوة بين الأبيض والأصفر، واشتعلت نيران الكراهية بين الأصفر والأحمر، ولو لم تكن كرويا متابعا، دقيقاً، حريصاً على فهم بواطن الأمور لما تعاطفت للحظة مع جماهير الإسماعيلية، لكنك لو كنت هذا الشخص، أو على الأقل لو كنت تعرف فرداً إسماعيلاوياً واحداً لفهمت، لوعيت، لمَ توهجت النيران وتزداد تأججا يوما بعد يوم ؟!، فالمواطن الذى يحمل الجنسية الإسماعيلاوية كرويا يولد متعلقا بأحلام صفراء حول الدراويش ومهارتهم، ويعلم يقيناً أن فريقه هو (برازيل مصر).. فالإسماعيلية بالفعل أفرزت ومازالت العشرات من المهارات والمواهب الكروية الفذة غالباً ما تستطيع الأموال الحمراء أن تستقطبها فى اتجاه الجزيرة وهو ما يزيد نار الفتنة تأججا واشتعالا.

كانـت مبـاراة مـع الأشـقاء فـى الإسـماعيلية، خسـارتها مثـل الفـوز بهـا، كلاهمـا يحمـل العديـد مـن المعانـى، خاصـة وأنهـا المبـاراة الأولـى فـى الـدورى، وهـي أيضًـا مبـاراة صعبـة علـى الفريقيـن، خاصـة وأننـا يملؤنـا الأمـل، وأننـي علـى المسـتوى الشـخصى أشـتاق لفرحـة هـذا الفـوز كمـا يشـتاق الظمـآن لشـربة مـاء.

كانـت مباراة مع الأشـقاء فـى الإسـماعيلية، نلعبهـا علـى أرضنـا، وحـدث أن خسـرناها بهـدف، كان كلطمـة حطمـت عظـام وجهـي، كان كخنجـر حـاد اختـرق كبـدى، أحسسـت وقتهـا أننـي سـيئ الحـظ وأننـي (نذيـر شـؤم) علـى الزمالـك وعلـى الأولتـراس، لكننـي سـرعان مـا تخلصـت مـن هـذه الأفـكار بسـبب تكاتـف أخوتـي فـى مجموعـة (الوايـت نايتـس) حولـي، أو بمعنـى أدق التفافنـا حـول بعضنـا، حـول المجموعـة، حـول الفكـرة.

قطعـاً لـم أكـن الوحيـد الـذى تُقطِّعـه مشـاعر الهزيمـة إربـاً وسـط هـذا الجمـع الغفيـر، خرجـت مـن الاسـتاد سـائرا بجـوار "ناصـر"، تبادلنـا بالـكاد كلمـات قليلـة أخبرتـه فيهـا بأننـي سـأتصل بــ"هشـام" ليأتـي إلينـا أمـام المنصـة فـى ذات الموقـع الـذى أنزلنـا فيـه قبـل المبـاراة، لـك أن تتوقـع قطعـاً مشـاعر الوجـوم والذهـول التـي تحيـط بنـا مـن كل جانـب، البعـض يهتـف بالأخطـاء الفنيـة فـى المبـاراة، البعـض يتمنـى

عـودة الزمـن للـوراء سـاعة واحـدة لكـى يفطـن المديـر الفنـى إلـى تغييـر كان لزامـا عليـه أن يقـوم بـه، البعـض تترقـرق فـى عينيـه الدمـوع، البعـض يمشـى صامتـا كرمـال الصحـراء، وبعـض المتفائليـن يمشـي مؤكـداً أن أول مباريـات الموسـم لا تعنـى الكثيـر وأن القـادم أفضـل بـكل تأكيـد، وأنـا كمـا ذكـرت كان يملؤنـى الإحسـاس بأننـي (نحـس)، أصابنـى هـذا الاحسـاس تجـاه الأولتـراس والزمالـك وتملـك منـى تمامـا فصـرت صامتـا متجهمـا حائـرا.

هاتفـت "هشـام" وانتظرنـاه لدقائـق قليلـة حتـى وصـل إلينـا، قابلنـا بابتسـامة عريضـة تحمـل الكثيـر مـن معانـى الشـماتة والفرحـة بسـبب هزيمتنـا مـن الإسـماعيلي، تمنيـت كثيـراً ألا ينطـق لكنـه لـم يكـف عـن الـكلام والسـخرية منـذ بدايـة الرحلـة وحتـى اقتربنـا كثيـراً مـن المعـادي، أغلقـت هاتفـى منعـاً لاسـتقبال أى مكالمـات هازئـة مازحـة سـمجة، "هشـام" يسـخر ويسـخر وأنـا أصمـت أحيانـاً وأحـاول أن أرد عليـه أحيانـاً أخـرى.

مـا كان يزعجنـى حقـا الحالـة التـي كان عليهـا "ناصـر" وقتهـا فقـد كان غائبـا عـن الوعـى تقريبـاً، ينظـر إلـى علـم الزمالـك بيـن يديـه يـكاد يبكـى مـن فـرط الذهـول وهـول الصدمـة التـي يبـدو أنـه لـم يكـن مسـتعدا لهـا وأنـه كان يعـد العـدة لاحتفـال مـن نـوع خـاص بعـد الفـوز الـذى كان

يعتبره بديهيا، احترمت صمته واحتملته كثيراً لكنني وعند عبور سيارتنا لموقف صقر قريش واستعدادها عبور مدخل المعادي لم أعد أحتمل وقررت مباغتته، درت بجسمي نصف دورة وقلت :

- إيه يا عم "ناصر"... مالك؟.

رد بنظرة تكاد الدموع تخفيها :

- مالك ؟!.. مليش يا موس.، أنا خلاص يا "مصطفى"، انتهيت.

استفزتنى جملته، فسألته :

- إيه.. كنت مراهن ع الماتش بخمسميت جنيه؟ .

رد شاخصا:

- كنت مراهن عليه بحياتي..أنا اتنيلت ضعت يا "مصطفى"، روحت فى داهية .

- مالك بس يا "ناصر" ؟؟.. صلى ع النبى وروق كده .

اعتدلت فى جلستى ثم وجهت كلامي لكليهما :

- تيجوا نقعد ع القهوة

لم ينطق "ناصر" فاعتبرته موافقاً، كنا فى تلك اللحظة ننتهي من شارع النصر، متجهين يساراً حيث المنطقة الأكثر عشوائية وفقراً.. (العرب) حيث الاختيارات بين المقاهي كثيرة ومتنوعة، اختار "هشام" أن يقف عند مقهى (أفريكانو) الواقع على سور الجمعية التعاونية المواجهة للقرية الأوليمبية، تلك الجمعية التي أصبحت جزءاً من التاريخ الآن بعد احتراقها بأكملها وتهدمها،

وبالتالـى اختفـت (أفريكانـو) ومـا كان يجاورهـا مـن مقـاه وعربـات كبـدة ومصـادر لقمـة عيـش للعشـرات، لأسـباب مجهولـة أو غيـر معلنـة، وهـي أسـباب ظـل أهالـى المعـادي يجتهـدون فـى خلقها ويتساءلون عنها لأسابيع إلـى أن (مـات الـكلام) كمـا يحـدث فـى مصـر دومـاً .

بيبسـى وحجـر قـص كالعـادة، وطلبـت ليمونـاً بـارداً لناصـر، واعتـذر "هشـام" وأخبرنـا أنـه مضطـر لتركنـا لارتباطـه بسـفر إلـى السـاحل بعـد سـاعات قليلـة وأنـه لـم يحـزم حقائبه بعـد، سـلم علينـا وأدار ظهـره لنـا وخـرج مـن المقهـى.

ومـع غلـق "هشـام" لبـاب السـيارة كنـت أديـر الكرسـى لأواجـه "ناصـر" الـذى كان يعتـدل فـى جلسـته بعـد أن جلـس علـى علـم الزمالـك الـذى كان يحملـه وكأنـه يخفـى عـارا مـا، أدار الكرسـى مثلمـا فعلـت وطأطـأ برأسـه لأسـفل، فسـألته :

- أطلب لك شيشة؟ .
- لا.. مش عايز .
- مالك يا عم.. هي يعنى أول مرة تشوف الزمالك مغلوب؟

وكأننـي بذلـك السـؤال كمـن أمسـك بسـكين صـدئ محـاولا ذبحـه، فانفجـر "ناصـر" فـى وجهـي وارتفـع صوتـه كثيـراً حتـى تأكـدت أن أبـي النائـم وقتهـا بـكل تأكيـد، قـد اسـتيقظ فزعـا بسـبب صرختـه وحديثـه، ومـع انفجـاره هـذا كـرر مـا سـمعته منـه فـي لقائنـا الأول، وكأننـي نسـيته!!

دارفور من جديد

أضاف "ناصر" الكثير من التفاصيل، وعرفت ما أتمنى الآن أن أمحوه من ذاكرتى اللعينة، التي تتميز بأنها لا تنسى مثل تلك الأشياء أبداً.. انفجر ليخبرنى أنه ظل طوال سنين عمره التي تجري بسرعة نحو الثلاثين يؤمن بالعديد من الأشياء والأفكار، لكنه فى هذا اليوم فقط اكتشف أنه كان الأغبى بين كل من يعرفهم من البشر لأنه ببساطة - وكما قال- خسر جميع رهاناته على كل ما آمن به وكل ما أحب.

طفلا لم يتجاوز عمره التاسعة كان "ناصر" عندما بدأ وعيه يتفتح فى هذا المكان النائى البعيد الواقع جنوب غرب بلاده الشاسعة (السودان).. المكان الذى سمعنا عنه الكثير فى نشرات الأخبار والمسمى بـ(دارفور) ورغم أن أخباره تأتينا كثيراً فى نشرات الأخبار إلا أنني اكتشفت أننا بالكاد نعرف عنه شيئاً.. ورغم كل ما عرفته من الجرائد والأخبار المتواترة عن هذا الإقليم إلا أنني وبعد جلستي تلك مع "ناصر" عرفت أن حجمي يتضاءل ليصبح مقاربا لحجم حبة الرمل لفرط الجهل الذى أعانى منه تجاه هذه البقعة (الشقيقة) من الأرض .

- معظمنا عرب .

هكـذا قـال "ناصـر" بـادءاً حديثـه عـن سـكان الإقليـم والـذى قـال إن عددهـم يقـارب الـ 6 مليـون نسـمة، يتحـدث معظمهـم لغـات محليـة بجانـب العربيـة، وهـم موزعـون علـى القبائـل المختلفـة، قبائـل يرتحـل بعضهـا ويسـتقر علـى الأرض البعـض الآخـر، عرفـت أن العصبيـة القبليـة هـي أهـم أسـباب الشـقاق الـذى نسـمع عنـه دومـاً فـى هـذا الإقليـم الملـىء بالخيـرات والنعـم، عرفـت أن معظـم القبائـل غيـر المسـتقرة- والتـي ينتمـى "ناصـر" لإحداهـا وهـي قبيلـة المحاميـد- تعانـى ومنـذ سـنوات مـن وطـأة العبوديـة اللعينـة.. وهـو أمـر فهمـت أنـه معتـاد ويتـم التعايـش معـه هنـاك، فكونـك جنوبـى الميـلاد والنشـأة فـي (السـودان) هـو أمـر يمنعـك مـن الكثيـر مـن حقوقـك كبشـرى، يحولـك إلـى أداة لا قيمـة لهـا فى أيـدى السـادة الشـماليين، وبمـرور الزمـن يعتـاد الجنوبـي علـى كونـه رقـم 2 دومـاً، ويعتـاد الشـمالى علـى أنـه السـيد والقائـد والفاتـح، إذن هـي ثنائيـات (الزمالـك/ الأهلـي)، (برشـلونة/ ريال مدريـد)، (الوحـدات/ الفيصلـي) تصـرخ فـي وجـه المقهوريـن فـي هـذا العالـم مـن جديـد، وكأنـه لـن يسـتقيم إلا لـو أن ثنائيـة السـيد والعبـد ظلـت قائمـة!!.

وبمـرور المزيـد مـن الوقـت كان طبيعيـاً أن يسـود قانـون الـرق، أن تقبـل أنـت ببقائـك عبـداً لإنسـان مـن بنـي بلـدك لا يفرقـه عنـك أى شـىء سـوى بضعـة كيلومتـرات فـى مـكان الميلاد.

ابنــاً لراعــى غنــم كان "ناصــر". كان يوماً يهوى المســاحات الخضـراء الممتـدة ومشـهد شـروق الشـمس فوقهـا. كان يشـكر ربــه كثيــراً لأنــه وُلــد فــى قبيلــة مرتحلــة لا تســتقر إلا علــى أرض خضـراء وتجـدد موطنهـا باسـتمرار؛ لأن الترحـال مكنـه من استكشـاف أراض جديـدة، ووجـوه جديـدة، وثقافـات جديـدة، شــب "ناصــر" علــى حــب شــيئين لا ثالــث لهمــا، كــرة القــدم ورعــى الأغنــام. كان يهــوى الرعــى ويعشــقه، يخــرج مــع أول خيـوط الشـمس، قائـداً لقطيـع مـن تلـك الحيوانـات الأليفـة، حامـلاً فـى جرابـه كـرة قـدم ومجموعـة مـن قصاصـات الجرائـد ووجبــة طعــام، ولا يعــود إلا بعــد أن ينمــى قدراتــه الكرويــة قليــلاً مــع رفاقــه وأبنــاء قبيلتــه، ويقــرأ القصاصــات كاملــة، ويســد جوعــه وجــوع الغنــم.

ثم أتت الحرب.

فــرت قبيلتــه، حاولــوا جميعــا التملــص مــن ويلاتهــا، حاولـوا التماسـك كقبيلـة واحـدة، لكنهـم جميعـاً فطنـوا إلـى أن فــى تفرقهــم الحــل.. رصاصــة طائشــة أودت بحيــاة أبيــه أمـام أعيـن أبنائـه، سـمع وقتهـا الكثيـر والكثيـر مـن الصرخـات، صرخـات حـادة أخرسـتها رصاصـات أكثـر حـدة ظلـت تنهمـر عليهـم مـن كل حـدب وصـوب لتـودى بحيـاة عـدد كبيـر مـن أهــل قبيلتــه... رصاصــات كانــت تنتقــى الرجــال والشــيوخ، ولا تقـرب النسـاء والأطفـال والصبيـة، قـال إنـه يذكـر جيـداً مشـهد الخيــول وهــي تجــرى خلــف الجميــع فــى محاولــة اختطــاف

أكبـر قـدر منهـم، ليتحولـوا بعـد ذلـك إلـى عبيـد.. تـرك "ناصر" كل شـىء وركـض، تـاركاً أغنامـه، وأقاربـه، وجرابـه الـذى يحـوى كرتـه وقصاصاتـه.. ظـل مـع أخـت وأخ فاريـن هاربيـن مـن محـاولات تحويلهـم لرقيـق.

وقعـت أختـه الكبـرى بيـن يـد أحـد رجـال الجنجاويـد- والجنجاويـد كلمـة تعنـى حرفيـا رجـل يمتطـى الخيـل ويحمـل مدفعـا رشاشـاً- وهـم مجموعـات مسـلحة تحـارب مـن فـوق الخيـول وتحتـرف النهـب منـذ سـنوات طويلـة داخـل إقليـم دارفـور، ينهبـون للحصـول علـى قوتهـم ولخدمـة الجيـش السـودانى- كمـا يُشـاع- هـذا بجانـب أنهـم يهـوون بنـات القبائـل المرتحلـة اللاتـى ينكسـرن كعيـدان الحطـب أمـام سـطوة الجنجاويـد فـى البـلاد، وفـى الأغلـب تسـتخدم تلكـم الفتيـات كمدافـئ فـى أسِـرَة الجنـود ذوى القـوة والسـطوة والنفـوذ، قـال "ناصـر" إن هـذه الأخـت حلمـت يومـا أن تتـزوج وتسـتقر، وراهـن هـو عليهـا فـى أن تحقـق حلمهـا الصغيـر الضئيـل والمشـروع فـى آن واحـد، بـأن تنشـئ كوخـاً صغيـرا كمدرسـة لأطفـال القبيلـة يتعلمـون فيهـا أساسـيات القـراءة والكتابـة والحسـاب، لينتهـي بهـا الحـال- قالهـا وهـو مطأطـئ الـرأس- كمدفـأة فـراش لرجـل تنـازل عـن نخوتـه طواعيـة ليحتفـظ بالمزيـد مـن النسـاء اللاتـى كـن بنـات عـذارى قبلـه، يجمعهـن حولـه ليـزدن مـن إحساسـه بفحولتـه.

بـدأ "ناصـر" فـى البـكاء مـع تذكـره هـذه الحكايـة، وبـدأت نظـرات زبائـن المقهـى تلتهمنـا التهامـا، فأخذتـه بعيـداً عـن المقهـى، واتجهنـا إلـى منطقـة (الجولـف) القريبـة والتـي تمتـاز بهدوئهـا لنتحـدث فيهـا باسـتفاضة، وهنـاك وعلـى أضـواء خافتـة تنبـع مـن عمـود إنـارة.

أكمـل "ناصـر" حكايتـه ليؤكـد فـى كل حـرف ينطـق بـه أنـه مخلـوق عانـى ومـازال يعانـى مـن وطـأة الإحسـاس بالقهـر والمهانـة والـذل طـوال عقديـن مـن الزمـان علـى الأقـل، خاسـراً بذلـك رهانـه علـى أن يكـون بشـرى المضمـون كمـا هـو بشـرى الشـكل، قـال إنـه حـاول إنقـاذ أختـه، أقسـم لـى علـى أنـه حـاول أن يفديهـا بحفنـة دولارات قليلـة كان يدخرهـا مـع إخوتـه فقوبـل بالاسـتهزاء والرفـض، حـاول أن يفديهـا بنفسـه فرفـض هـذا الجنجاويـد المتعنـت، حـاول أن يختطفهـا فتعـرض للجلـد وكاد يقتـل.. وعلـق "ناصـر" علـى ذلـك قائـلا إنـه شـعر وهـو يزحـف علـى الأرض بعـد أن إنتهـي الجـلاد مـن عملـه، بأنـه لـم يقتلـه ليتركـه- أى "ناصـر"- وعـاره يتصارعـان طيلـة الحيـاة.

ولـك أن تتخيـل وتتعاطـف وتصـدق أنـه فـر مـن إخوتـه خوفـاً مـن رؤيتهـم فـى موقـف مماثـل، فقـد اتفقـوا ضمنيـا على التفـرق ونسـيان بعضهـم البعـض وكان "ناصـر" أول مـن نفـذ الاتفـاق، خاسـراً بذلـك رهانـه على الربـاط الوثيـق الـذى يربطـه بهـم، ربـاط الـدم، وكمـا تناسـى "ناصـر" أختـه ومـا حـدث لهـا،

تناسـى كذلـك مـا حـدث لأخيـه الأصغـر، كان يعلـم يقينـاً أن هـذا الأخ سـيعمل أجيـرا فـى إحـدى المـزارع فـى الشـمال إذا لم يحالفـه الحـظ ويهـرب، كان يعـرف طبيعـة المصيـر الأسـود الذى ينتظـر هـذا الأخ، لكنـه لـم يحـاول مجـرد محاولـة أن يدافـع عنـه أو أن يقـوم حتـى بتوجيهـه لمصيـر أفضـل.

حـاول الابتعـاد عـن الإقليـم والاتجاه شـمالاً إلـى الخرطوم، عاصمـة الأمـل، كمـا كان يحسـبها، لكنـه وكالعـادة خسـر رهانـه، فقـد فشـل بيـن أحضـان الخرطـوم فـى أن يجـد نفسـه كمواطـن سـودانى وعومـل بجفـاء وبـرود وصلـف كونـه جنوبيـاً متخلفـاً، لا تحميـه قبيلـة ولا تسـتر عوراتـه الإنسـانية أمـوال أو ثقافـة، فتركهـا وهـرب، وظـل يهيـم علـى وجهـه مجـددا ليحـاول الحصـول علـى تأشـيرة لدخـول الشـقيقة الكبـرى (مصـر) خاصـة وأن شـريان الحيـاة الرئيسـى الـذى قدسـته مصـر والسـودان قديمـا (النيـل) مـازال قائمـا ولـن يـزول علـى الأقـل حتـى يمـوت ناصـر، وهـو مـاكان يعتقـد "ناصـر" أنـه سـيكون كالحبـل القـوى الـذى سـيجذبه إلـى مصـر بـكل تأكيـد.

- هو احنا ناقصينك يا عم؟!!

كانـت تلـك الحـروف التـي قالهـا موظـف السـفارة المصريـة تخـرج مـن فمـه الـذى يحتضـن سـيجارة مـن نـوع سـودانى فاخـر حـاد النكهـة غيـر عابـئ بـأن تلـك الحـروف تُحمـل هـذا المواطـن السـودانى العليـل المهمـوم الممـزق

المزيد والمزيد من الضغوط وأنها تزيد من إحكام الحبال حول رقبته الضعيفة لتسد أمامه أبواب الأمل تماما، فيخرج "ناصر" من الباب بعد أن يشرد في علم مصر الذى يعانق علم بلاده وترتسم على شفتيه ابتسامة ساخرة تحمل العديد من المعانى ويخرج من جيب بنطاله المهترئ قطعة قماش ممزقة يمسح بها ما تراكم من غبار حول قاعدة العلمين القابعين على مكتب الموظف.. ويخرج خاسراً بذلك رهانه على الأخت الكبرى.

لكنه لم ييأس، التقى فى تلك الفترة ومجموعة من أبناء وطنه الذين يمتلكون ذات الطموح، طموح دخول مصر، وتجادلوا كثيراً جدا، صحيح أن منهم من كان يأخذ مصر كمحطة يقترب فيها من حلم السفر لأمريكا أو أستراليا أو كندا أو حتى إسرائيل، صحيح أن منهم من كان يثق تماماً فى أن (ما أسخم من سيدى إلا ستى) وأنهم سيلاقون فى مصر أيضا معاملة غير آدمية، لكنهم كانوا سيذهبون إليها مرغمين، فعلى الأقل لن يتم فى مصر تحويلهم إلى عبيد، لم يكن هو يرغب فى اللجوء لأوروبا أو أمريكا أو أى قارة أخرى، فهو كعربى سودانى- وهذه قناعاته- لن يجد السلوى والدفء إلا بين أحضانها... أحضان مصر.

ويبـدو أن تكـرار المحـاولات أقنـع مسـئولى السـفارة المصريـة بإعطـاء هـؤلاء السـودانيين الملحَّيـن تأشـيرات بمواعيـد إقامـة محـددة، مواعيـد يعلـم جميـع أطـراف اللعبـة أنهـا لـن تكفـى، وأن البقـاء بصـورة غيـر شـرعية فـى البلـد سـيكون هـو الحـل الأقـرب والأمثـل والأسـهل .

اقتـات "ناصـر" فيمـا تـلا هـذا اليـوم مـن أسـابيع علـى الفتـات الـذى يلقيـه إليـه إنسـان عطـوف مـن أهـل بلـده.. ظـل يمشـى ويمشـى فـى اتجـاه الشـمال، نجـح تحـت عبـاءة ليلـة تفتقـد قمرهـا فـى عبـور الحـدود، كان يمشـى كفـرد مـن مجموعـة كبيـرة أفقـر مـن أن تمتلـك ثمـن حافلـة أو حتـى ناقـة تسـاعدهم علـى اسـتكمال الرحلـة، قـال إنهـم فقـدوا طفـلا وامـرأة عجـوز فـى الطريـق، قـال إنـه بكـى بحرقـة عندما صلـوا علـى الطفـل صـلاة الجنـازة ودفنـوه فـى ملابسـه، قـال إنـه لـم يـر أقسـى مـن مشـهد صـراخ الأم الشـابة علـى فـراق طفلهـا، قـال إنـه لـن ينسـى ذلـك أبـداً.. سـاروا سـاروا، تفتـك بهـم الهمـوم، يذرفـون دمـاً علـى بقايـا وطـن لـم يتـرك لهـم سـوى سـواد فـى البشـرة سـيلتصق بهـم حتـى الممـات كوصمـة عـار لـن يمحوهـا شـىء.

أشـبع هـو نظـره ببحيـرة ناصـر الهـادرة التـي يحمـل اسـمها، والتـي كان يعلـم أنهـا تخفـى أمامهـا سـرها الأعظـم، (السـد العالـى) الـذى شـارك فـى بنائـه أحـد أقربائه منـذ عقود،

قـال لـى "ناصـر" إن هـذا السـبب وحـده كان كافيـا ليراهـن علـى مصـر فكـم مـن البشـر والممالـك والأفـكار والأقليـات راهنـوا علـى فشـلها واسـتكانتها، ورغـم ضعفهـا الـذى اعتقـده الكثيـرون علـى مـر التاريـخ إلا أنهـا دومـاً مـا كانـت تفاجـئ الجميـع بانتفاضـات تلـو الأخـرى، وتقـف كالعـروس الجميلـة لتضيـف لمسـة هنـا أو هنـاك علـى صفحـة وجههـا الرائـق، وكـم مـن الألـوان والأعـراق والمذاهـب ذابـت فيهـا تماما ولـم يشـعر أى منهـم بأنـه عضـو غريـب علـى جسـمها.

لـم يشـعر أحـد بذلـك أبـداً، لكـن "ناصـر" شـعر بهـذا، شـعر بـه حيـن لـم يجـد مسـاحة ولـو ضيقـة لـه ليحيـا بهـدوء داخـل أسـوان.. فرغـم طيبـة أهلهـا الحقيقيـة إلا أن المدينـة الهادئـة رفضتـه ولفظتـه بـكل بسـاطة لأنـه لا يصلـح لعمـل أى شـيء علـى أرضهـا كمـا قيل لـه، ليخسـر رهانـاً جديـداً، وهكذا.. ومتسـولاً ثمـن تذكـرة القطـار المتهالـك. سـافر إلـى القاهـرة- عاصمـة المجـد كمـا كان يتصورهـا- فهنـاك قـد يمكنـه الذوبان، هنـاك قـد يستطيع العمـل، هنـاك قـد يسـتطيع الحيـاة، هنـاك قـد يسـتطيع النسـيان، سـاقه بعـض رفـاق الرحلـة الشـاقة إلـى المعـادي، فإلـى شـقة شـارع (حسـنين دسـوقي) الخانقـة، فإلـى العتبـة، وأنـت تعـرف الباقـى... ويمكنـك أن تتعاطـف وتصـدق مـن جديـد أنـه رفـض الـزواج رغـم حاجتـه النفسـية والجسـدية إليـه خوفـاً مـن إنجـاب أطفـال محكـوم عليهم مسـبقاً بالتعاسـة والبـؤس والفقـر.

- وبكـده أبقـى والحمـد للـه خسـرت كل رهاناتـي.. وكملـت بماتـش النهـارده.

هكـذا قـال بنبـرة هادئـة بعـد أن أفـرغ شـحنة كبيـرة فـى حكايتـه، كان يبـدو كناسـك حقيقـى فـى حـب الزمالـك، وأن هـذا الفريـق الـذى يلعـب الكـرة فـى بلـد غيـر بلـده، كان كبارقـة أمـل فـى نهايـة النفـق.. لكنهـا انطفـأت فـى تلـك المبـاراة.

سألته غير مستوعب:

- واشمعنى يعنى ماتش النهارده؟

قـال إنـه لـم يختـر تشـجيع الزمالـك عبثـاً.. فالزمالـك بالفعـل يذكـره بنفسـه كمـا ذكـر لـى مـن قبـل، يعشـق "ناصـر" كـرة القـدم منـذ الصغـر، ويتابـع أخبـار اللعبـة فـى كافـة أنحـاء العالـم بقـدر المسـتطاع، ولـم يسـتطع كبـح جمـاح هـذا الحـب رغـم كل مـا مـر بـه مـن ظـروف قاسـية، ولمـا أقـام بمصـر، سـمع الكثيـر مـن أهلهـا يتغنـون بأمجـاد الأهلـي.. وسـمع الكثيـر عـن أشـخاص يتنصلـون مـن زملكاويتهـم، أو يخفونهـا علـى أقـل تقديـر خوفـاً مـن السـخرية والعـار، وبمـرور الوقـت عـرف "ناصـر" أن الزمالـك كان أسـداً جسـوراً ذات يـوم، عـرف أنـه كان مرعبـا بقـدر الأهلـى، عـرف أنـه تسـيد إفريقيـا لمـرات ومـرات، تأكـد "ناصـر" أن للزمالـك بريقـاً يقبـع سـاكناً تحـت أطنـان مـن غبـار الكسـل والتربـص وقلـة الحـظ.

قـال إنـه يشـترك مـع الزمالـك فـى ذلـك، فهـو أيضـاً كان يمتلـك بريقـا فـى يـوم مـن الأيـام، كان يتسـيد شـباب قبيلتـه ويسـيطر عليهـم، ورغـم الأوضـاع غيـر المسـتقرة التـي تعيشـها القبيلـة بسـبب كثـرة الترحـال والظـروف السياسـية الطاحنـة فـى البـلاد إلا أنـه كان مرشـحا لأن يكـون شـيخ القبيلـة يومـاً مـا، وهـو شـرف كان "ناصـر" يسـتحقه، كان يتمنـاه.. لكنـه كالعـادة كان حلمـاً وضـاع، كان وهمـا وتبخـر، فبعـد أن هـرب مـن إخوتـه تحـت وطـأة الظـروف حُكـم عليـه ألا يعـود للأبـد.. فكيـف يعـود وقـد فقـد السـيطرة علـى نفسـه؟.. كيـف يعـود وقـد عجـز عـن مجابهـة مشـاكله ومشـاكل عشـيرته.. كيـف؟

وصحيـح أنـه لـن يسـتطيع العـودة لمكانـه ومكانتـه، لكن الزمالـك كان يقـدر، هـذا مـا كان يؤمـن بـه "ناصـر"، وكان يعلـم يقينـاً أن تكاتـف الجماهيـر حـول الزمالـك قـد يسـاهم بقوة فى اسـتعادة الهيبـة المفقـودة مـرة أخـرى، لـم يجـد "ناصـر" مـن يناصـره فـى السـودان، لكنـه يسـتطيع التكاتـف مـع الزمالـك فـى مصـر.. وظـل "ناصـر" يراهـن علـى الزمالـك، وفـى كثيـر مـن الأحيـان كان الزمالـك يخذلـه ويخذلنـا جميعـا، حـاول كثيـراً ألا يفقـد الأمـل، حتـى جـاءت تلـك المبـاراة لتحطـم آمالـه علـى صخـرة الواقـع، لييـأس "ناصـر" كليـا، ويفقـد إيمانـه.

بـدا لـى إيمانـه بالزمالـك كوطـن بديـل منطقيـا للغايـة وقتهـا.. ويبـدو أن جـزءا مـن شـحنته قـد طالنـى فـازداد

تعاطفـى معـه، التهبـت مشـاعري تجاهـه فوجدتنـى مدفوعـا لأربـت علـى كتفـه ثـم احتضانـه، رويـت لـه نكتـة علـى لـون بشـرته فقهقـه لهـا بصـوت عـال، ثـم أوصلتـه لمنزلـه، وعـدت أدراجـى للبيـت عازمـاً علـى مسـاعدته فـى اسـتعادة ثقتـه بالزمالـك مـن جديـد، ولـم أسـتطع منـع نفسـي قطعـاً مـن التفكيـر فـى أن "ناصـر" أسـد المدرجـات هـو فـى الأصـل إوزة لا مخالـب لهـا ولا أنيـاب.. حتـى إنهـا فقـدت صوتهـا بمـرور الزمـن وصـارت أقليـة منبـوذة بيـن الإوز، تحيـا فقـط لتحـاول امتـلاك حـق الصيـاح .

كنـت قـد نسـيت موعـدى مـع "شـيماء" بالقطـع، حتـى إننـي نسـيت فتـح هاتفـي، ولمـا فتحتـه وصلنـى منهـا عـدد لا بـأس بـه مـن الرسـائل المتدرجـة فـى الحـدة، أرسـلت لهـا أننـي عـدت لتـوى مـن الاسـتاد وأن هاتفـى فقـد طاقتـه فجـأة ولـم أسـتطع إعـادة شـحنه.. نمـت عكـر المـزاج بسـبب حكايـة "ناصـر" المؤلمـة وبالطبـع بسـبب الهزيمـة المـرة للزمالـك فـى مبـاراة اليـوم .

وكفـرد أولتـرا حقيقـى، تركـزت اهتماماتـى حـول الفريـق والمجموعـة أكثـر فأكثـر، كانـت المهمـة الأسـمى لنـا جميعـاً فـى هـذا الوقـت هـي جـذب أكبـر عـدد ممكـن مـن النـاس، وكان طبيعيـاً أن أبـدأ بــ"ناصـر" لأعيـد لـه إيمانـه بالفريـق مـرة أخـرى، ليشـعر أنـه إنسـان لـه دور مـن جديـد، ومـع

الوقت وازدياد المعارف وأخوة الدم، مع تواتر الحكايات وسرد القصص، مع زياراتنا المتكررة لبعضنا بالبيوت والتداخل الشديد بيننا في المجموعة، اكتشفت أن حالة "ناصر" هذه ليست الحالة الوحيدة، فهناك بالفعل من هو مثلى ومثله ممن أصبحوا لا يشعرون بقيمتهم وتفردهم، بل حتى لا يشعرون بأنهم داخل حدود الوطن إلا أثناء تواجدهم بـ(الكورفا سود) مستبدلين الانتماء لمصر الواسعة بالانتماء لهذا الكيان المسمى نادي الزمالك، وبدأ معظمهم في الانفصام تدريجياً عن الواقع، لنؤمن بأن وظيفتنا داخل جمهورية النادي هي الدفاع والحماية.

وبعد أن انقسمنا فعلياً في مصر إلى جيل الزمن الجميل، وجيل تامر حسني.. أهل بحري الفلاحين وأهل قبلي الصعايدة، عمال وفئات، مسلمين وأقباط، مثقفين وبوابين... كان طبيعياً أن يأتي اليوم الذى شعرنا فيه باللاجدوى، بالدونية، فننقسم إلى أهلوية وزملكاوية، وطبيعياً أيضا أن يأتي اليوم الذى ننتمى فيه للزمالك والأهلي أكثر من انتمائنا للوطن!!!.

استطعت أن ألفت نظر عدد من المشجعين العاديين لما نفعله ولفكرنا ولعقليتنا بسبب النشاطات التي أمارسها، صرت أحضر الاجتماعات بشكل مستمر، أشارك في مباريات الترحال قدر المستطاع، فأتصل بشركات نقل لتجهيز

أوتوبيسات كبيرة لنقل أكبر عدد منا للسفر..، ثم تحديد موعد ومكان التجمع وإعلام الجميع به عن طريق تبادل التليفونات أو الرسائل، أو فى مرحلة تالية، الإعلان عن تلك المواعيد من خلال صفحتنا على الفيسبوك، نجهز للكورتيج الذى سنقوم به خارج حدود القاهرة.. وأشارك بقوة فى المدرجات، وخارجها... فالمجهود المبذول من فرد الأولترا الحقيقي خارج الملاعب يفوق كثيراً مجهوده داخلها، فبداية من الاجتماع لوضع فكرة الدخلة الجديدة، وهو اجتماع يحضره عدد قليل للغاية من الأشخاص، أفخر بأنني صرت واحداً منهم وذلك لنشاطي الملحوظ مع المجموعة وإحساس الجميع برغبتى الحقيقية فى التعاون وتقديم يد العون، ثم تأتي مرحلة الاستقرار على فكرة الدخلة وتنفيذها، ويجب أن تعلم أن اختيار مكان تنفيذ الدخلة أهم كثيراً من تنفيذها وذلك حفاظاً على سريتها وخصوصيتها وتفردها، فلو أن مجموعة أولتراس الفريق المنافس علمت بفكرة الدخلة لاستطاعت أن تبنى فكرتها على دخلتنا لتسخر منها أو تحطمها تحطيما، وهناك تفاصيل عديدة أخرى فى تنفيذ الدخلة تتعلق بمقاييسها وأبعادها والمجهود المبذول فيها، فطبقا لفكر الأولتراس الذى نؤمن به إيمانا عميقا، ينبغى على أفراد المجموعة أن ينفذوها بأيديهم من الألف إلى الياء فمثلا نحن لا نستخدم فنون الجرافيك والطباعة فى الدخلات المرسومة على القماش والتي نطلق عليها الـ (تيفو)، بل نرسمها بأيدينا ونحدد أبعادها بأنفسنا ونلونها بأنفسنا.

كان بحق مجهوداً ضخماً للغاية ذلك الذى يُبذل فى تنفيذ الدخلات، حتى إنني فى بعض الأحيان كنت أظل ساهراً ليومين أو ثلاثة، مواصلاً العمل فى فودافون والعمل مع الأولتراس.. وكلا العملين يحتاج منى الكثير من التركيز، أركز فى عملى الصباحى لأن عدم تركيزى قد يعنى خسارته، وأُركز بالقطع مع الأولتراس كفكرة راسخة لأنني للأسف اقتربت من الكفر بغيرها من الأفكار وأصبحت لا أؤمن بسواها.

والأهم من كل ما سبق يجب علينا كمجموعة فاعلة ومؤثرة فى (الأولتراس) أن نبدع ونخلق العديد من الأفكار التي تحتاج قطعاً للخيال الذى يحتاج بدوره للإثراء وبالتالى قراءة المزيد والمزيد من الكتب والروايات والقصص ومشاهدة المزيد والمزيد من الأفلام فهي أشياء تشحذ الخيال حقا وتزيد من حجم حقيبة خيال مخى بكل تأكيد.. أما عن التمويل، فدعنى أقل لك إن الاشتراكات الشهرية التي يدفعها كل فرد من أفراد المجموعة كافية بكل تأكيد لتمويل الدخلات المختلفة وأنشطة المجموعة المتعددة، كما أننا لا نأخذ مليماً من رجال الأعمال أو مجلس الإدارة أو اللاعبين، وهذا لكى يظل صوتنا من رؤوسنا ولنعبر عن رأينا بحرية.

نحـن لا نبالـي بـأن يتهمنـا أحـد بالتفاهـة، لا نبالـي أن يكرهنـا اللاعبـون ومجلـس الإدارة، فنحـن نعمـل مـن أجـل الزمالـك، ونؤمـن كذلـك بـأن الجمهور أهـم مـن اللاعـب وعضو النـادي وعضـو مجلـس الإدارة... فنحـن نصنـع اللافتـات، ننشـد الأغنيـات، نصنـع الأمجـاد، ولا ننتظـر مقابـلاً لذلك، نحـن لا نريد سـوى شـكل متماسـك للفريـق وبضـع كـؤوس ودروع لنضعهـا فـى دولاب البطـولات وسـجل الانجـازات، نحـن بوقوفنـا فـى المدرجـات كنـا ومازلنـا نبنـى تاريخـا جديـدا للزمالـك بـدأ فـى مـارس مـن عـام 2007 عندمـا وُلـدت مجموعـة أولتـراس (وايـت نايتـس).. أولتـراس الفرسـان البيضـاء، وأتمنـى أن يسـتمر للأبـد.

ويسـتمر تـرس حياتـي فـى الـدوران.. هدنـة قصيـرة فـى كل صيـف أتابـع فيهـا فقـط حـرب الصفقـات التـي تـدور رحاهـا بيـن الزمالـك والأنديـة الأخـرى، خاصـة الأهلـى... ومـع حلـول شـهر أغسـطس يبـدأ الـدورى العـام، تلـك الاحتفاليـة الطويلـة التـي تلهـب مشـاعري أكثـر فأكثـر، لأسـترد طاقتـى مـرة أخـرى.. لأهاجـم بضـراوة كل الأهلاويـة الذيـن يملكـون إصـرارا عجيبـا علـى أن يظلـوا مكروهيـن منـا.. وهـو أمـر لا أفهمـه إطلاقـا.. هـم يروَجـون أنهـم الأكثـر عـددا، هـم يزعمـون أنهـم الفريـق الأقـوى، أنهـم نـادي القـرن، وهـو لقـب أخـذوه بطريقـة مشـكوك فيهـا وعـن طريـق إحصائيـات مغلوطـة، هـم يزعمـون أنهـم الأحسـن، وأنـا أرى هـذه المزاعـم جوفـاء لا أصل لهـا، وحتـى إن صحـت، فلـمَ- وهـم الأقـوى والأكثـر والأحسـن-

يشـغلون بالهـم بنـا نحـن الأضعـف والأقـل والأسـوأ؟ لمـاذا يركضـون خلـف صفقاتنـا لخطفهـا؟ لمـاذا يسـتفز جمهورهـم جمهورنـا دومـاً.. لمـاذا؟

دار تـرس حياتـي ليقلـب أيامـا وشـهورا جديـدة أقضيهـا بيـن فودافـون ولقـاءات عابـرة بأبـي وبـ"وليـد" نهـاراً، الكثيـر مـن جسـد "شـيماء" الـذى مللتـه حقـا مسـاءً.. والزمالـك ثـم الزمالـك ثـم الزمالـك.. حتـى جـاءت مبـاراة الديربـى الثانيـة فـى موسـم 2009 / 2010 التـي غيـرت مجـرى حياتـي وكانـت فيهـا كثنيـة قنـا التـي حولـت مجـرى النيـل.. للأبـد .

كوكب الأرض، وكتاب التاريخ.

منـذ بـدء الخليقـة و العقـل البشـرى لـم يكـف لحظـة عـن العمـل والتفكيـر، البشـر فـى كل بقعـة مـن بقـاع الأرض يبتكـرون ويجـددون فـى كافـة الأوجـه العلميـة والثقافيـة والاجتماعيـة والحياتيـة، ملاييـن الابتـكارات والاختراعـات، بلاييـن الأفـكار المفيـدة وغيـر المفيـدة، آلاف الحـروب دارت رحاهـا منـذ فجـر التاريـخ، ودومـاً مـا يتصـارع البشـر مـن أجـل الأرض، مـن أجـل الهيبـة، مـن أجـل الشـرف، مـن أجـل الفكـرة، وأحيانـاً مـن أجـل إخـراج الطاقـة أو الشـعور بالملـل لا أكثـر، نعـرف جميعـا أن البشـر قـد ابتكـروا الكثيـر والكثيـر مـن الأفـكار، لكـن القليـل منهـا

فقط هو ما أثر فعليا فى كل أبناء الأرض، هو ما ترك بصمة واضحة، وأجزم أن ممارسة الرياضة كانت واحدة من أهم الابتكارات فى التاريخ البشرى، تعلم البشر أن الرياضة تقوى العضلات وتزيد من القوة، فاتجهوا لها بحماس بحثا عن تلك القوة الكامنة فى داخلهم، وسعيا وراء الشكل الخارجى المتماسك المتناسق، عرفوا أن الرياضة تخرج شحنة لا بأس بها من الطاقة الداخلية لهم فمارسوها بمختلف أنواعها كبديل صحي عن العراك والتناحر، ومع مرور الوقت اكتشف الجميع أن الحصول على بطولة فى رياضة ما، هو مدعاة فخر وفرحة، فالتهب الحماس واشتعل فى نفس كل رياضى، الكل يصنع مجده الخاص، الكل يسعى لملء سجله، وجاء أقارب الرياضى لتشجيعه وتحفيزه على الفوز لكى يستمدوا شرفا ومجدا عن طريق شرفه ومجده، ثم تكاتف معه أهل قبيلته وعشيرته، فزاد معجبوه ومريدوه، ويزيد معهم عدد ممارسى الرياضة وبالتالى عدد المشجعين والأنصار، ويصبح للرياضى كفرد أو كواحد من فريق مشجعون فى كافة أرجاء بلده، ويمر الوقت أكثر فتوضع القوانين والأعراف الرياضية فى كل لعبة، لتزيدها إثارة وتشويقا، لتنتزع الآهات مع كل فرصة تضيع، وتنتزع الصرخات التي تشق السماء مع كل فرصة تتحقق، وإذا كان لا رياضة بلا رياضى، فإن بكل تأكيد رياضة بلا أنصار هي شيء لا وزن ولا قيمة له.. الأنصار يزيدون من الحماس ويشعلون الأرض حول البطل، الأنصار يعلون من شأن الرياضة، الأنصار يزيدون من قيمة الفعل.

تشـترك الرياضـة فـى ذلـك مـع الفنـون، وكمـا فـى المسـارح ودور العـرض السـينمائى يُمنـي كل مشـاهد نفسـه بـأن يكـون فـى مـكان البطـل، فـى نفـس شـجاعته وإقدامـه ووسـامته وثرائـه، يُمنـي أنصـار الرياضـة أيضـا أنفسـهم ذات الأمانـي، ويحلمـون نفـس الحلـم، يتوحـدون مـع بطلهـم، يحفزونـه لأنهـم يتمنـون الفـوز لأنفسـهم، لقبيلتهـم، لجلدتهـم، لبلدهـم... وعلـى عكـس الفنـون لا تمتلـك الرياضـة دومـاً نهايـات سـعيدة، فكـم مـن الأنصـار يخرجـون مهزوميـن، محطميـن، باكيـن، صارخيـن ؟.. وهـذا بالضبـط مـا يجعـل للرياضـة سـحراً خاصـاً ولا يماثلهـا فـى هـذا شـئ، ففيهـا الكثيـر مـن المخاطـرة والمقامـرة، سـواء مارسـتها أو شـجعتها، وهـو مـا يرفـع مـن أسـهمها دومـا، هـو مـا يزيـد مـن مسـاحات الجـدل والنقـاش حولهـا باسـتمرار، هـو مـا يجعلهـا الابتـكار الأهـم لبنى آدم مجتمعيـن.. وأجـزم أن عالمًـا بـلا رياضـة سـيكون بالتأكيـد عالمـاً كئيبـاً، مريضـاً، كمـا أن عالمـاً بـلا أنصـار ومشـجعين هـو عالـم كئيـب، صامـت.

ولكـرة القـدم شـأن خـاص فـى التاريـخ البشـرى، فهـي رياضـة ليسـت كأى رياضـة، أراهـا (العقيـدة) الأبـرز فـي تاريـخ البشـرية، التـي اسـتطاعت جمـع كل ذلـك العـدد مـن المريديـن والأتبـاع، اتـرك الأوراق التـي بيـن يديـك الآن وانـزل إلـى الشـارع، سـتقابل حتمـا عـددا مـن الشـباب يرتـدون قمصانـاً رياضيـة ملونـة بألـوان الأعـلام والفـرق، يحمـل ظهـر

كل منها رقما واسما للاعب يفضله هذا الشاب، امش في أي شارع جانبي لتجد بعضا من الشباب هنا أو هناك يمارسون كرة القدم بمنتهي الحماس، اتركهم فورا وانظر بدقة للسيارات التي تقف أو تمشي بجوارك، ستجد شارات البرازيل وإيطاليا ومانشستر يونايتد والزمالك والأهلي وبرشلونة وغيرها مدلاة من المرايا، أو ملصقة على أبدان تلك السيارات، ادخل أي مركز تجاري لتجد العديد من الملصقات والأيقونات والأعلام المتعلقة بعالم كرة القدم، لكن اترك هذا (المول) وانزل لتشرب مشروبك الطبيعي على قهوة مصرية عادية، أو حتى إجلس في (كافيه) صاخب، وارمِ بأذنك على المناضد من حولك لتستمع إلى المزيد والمزيد من الحوارات المرتبطة بكرة القدم المصرية وغير المصرية.

وإذا لم تقتنع بما يدور حولك، فإنني أدعوك لترك كل هذا، وقرر أن تخرج مع الأصدقاء لتجدهم سيجلسون في الـ (play station) التي لا تقدم سوى مباريات كرة القدم رغم احتواء هذا الجهاز الصغير على غيرها من الألعاب، ليتوحد الجميع مع أبطال كرَة القدم في العالم، ستصدقني لما تستمع إلى معاركهم وخلافاتهم المتكررة بسبب تكرار الأخطاء في اللعبة أو معاندة الحظ معهم، قرر أن تزور صديقا لك في منزله لتجده يدعوك إلى مباراة (play station) جديدة (ع السريع)، أقنعه بأن يتناسى

اللعـب وقـم بدعوتـه أنـت لمشـاهدة فيلـم سـينمائى علـى قنـاة فضائيـة مـا، لتجـد الفواصـل الإعلانيـة تمتلـئ بلاعبـى كـرة القـدم مـن الشـرق والغـرب.. فـلا تنفعـل وتترفـع وتنظـر حولـك فـى تأفـف متسـائلا عـن السـبب الـذى يدفـع الكوكـب بأكملـه لمثـل هـذا الجنـون!

فقط، صدق ما تراه

حـاول أن تتفهمـه، فكـرة القـدم ياسـيدى رغبـة، هـوس، شـهوة، ولا يضاهيهـا فـى ذلـك شـىء، وإذا كنـت مصـراً علـى الرفـض والتكبـر، فاتـرك كل هــذا واذهــب لتجالــس جــدك وأصدقـاءه، لتجـد منهـم شـخصا أو أكثـر ينتمـى لكـرة القـدم أكثـر مـن انتمائـه لأسـرته، فـلا تنفعـل عليهـم احترامـا لسـنهم المتقدمــة، لكننــي أدعــوك أن تتركهــم وشــأنهم وتذهــب إلــى المطــار فــى وقــت توديــع منتخبنــا للبــلاد، ليذهــب خـارج الحـدود لملاقـاة أى فريـق آخـر، اكتشـف بنفسـك كـم البشـر المودعيـن والداعيـن لهـم بالتوفيـق، وإن تعجبـت مـن تصرفـات البشـر هنـا فأننـي أدعـوك لأن تكـره بلـدك وتتركهـا، اذهـب لتريـح نفسـك مـن ضوضـاء الكـرة فـى أى مـكان آخـر مـن العالـم الرحـب.. لكننـي أقولهـا لـك آسـفا، لـن تجـد طلبـك فـى أى مـكان، لـن تجـد غايتـك فـى كوكـب الأرض، فهـو كوكـب يحيـا لكـرة القـدم.. يحيـا لهـذا العشـق.. لهـذه الرغبـة.

وإذا كانت كرة القدم بهذه الأهمية، فبكل تأكيد ستجد أن كل من يشجع كرة القدم يعلم أن المباريات المهمة لها طقوس خاصة، يتجمع فى يومها الأصدقاء فى مكان واحد، يتهرب الجميع من المواعيد واللقاءات والأعمال، يتحرر الجميع من المسئوليات لمدة تسعين دقيقة آملين قضاءَها فى متابعة السحر الصادر من حركة الكرة، الجميع يضبط إشارات التلفاز على محطة بعينها فى انتظار جودة أحسن للصورة، معلق بعينه يعشقونه، محطة تلفزيونية تحمل أقل عدد ممكن من الإعلانات.. المباريات المهمة بمثابة (عطلة رسمية)، ولم يخترع البشر بعد فى كرة القدم ما هو أهم من مباريات كأس العالم ونهائي بطولة أوروبا على المستوى العالمى، فتلك مباريات يتابعها سكان كوكب الأرض بدرجات حماس شديدة متقاربة فى الحدة، أما مباريات الديربى والكلاسيكو فلها شأن خاص جدا فى كل بلد، الكل يستعد، الجميع يتحفز، الكل ينتظر، الجميع يتلهف، والكثير من البشر يتابعون، وأقل القليل منهم يركزون، وأنا أصرخ فى المدرجات، أقف طوال تسعين دقيقة، ليس فقط لأنني أولتراس والأولتراس لا يجلس، إنما أقف لأن توترى سيتضاعف حتما لو جلست، تتابع عيناى حركة الكرة فى أرضية الملعب كما تتابعها فى أية مباراة أخرى، ولكن إحساسى بحركة كرة الديربى شىء مختلف. ففى أثناء تلكم التسعين دقيقة تنغمس أعصابي وحواسى فعليا فى هوة عميقة من النيران.

للديربـى والكلاسـيكو، شـأن خـاص بحـق، ليـس فـى مباريـات كـرة القـدم فقـط، بـل فـى جميـع الألعـاب الأخـرى، دعنـى فقـط أُذكـرك بـأن مجموعـات الأولتـراس التـي تنتمـى لأى نـاد لا تُشـجع كـرة القـدم فقـط، مجموعـة الأولتـراس تشـجع الرياضـات المختلفـة التـي يشـترك فيهـا النـادي، ولهـذا فنحـن نتواجـد بكثافـة فـى جميـع الصـالات والملاعـب التـي تسـتضيف كافـة المباريـات والمنافسـات فـى الألعـاب المختلفـة، وفـى مواجهـات الديربـى والكلاسـيكو يكـون لنـا شـكل مختلـف وشـأن آخـر.. تمامـا .

الديربـى والكلاسـيكو، لفظـان يختلفـان فـى المعنـى لكنهمـا يحمـلان ذات الأهميـة، فالكلاسـيكو هـو لقـاء قطبـى الكـرة فـي أى بلـد، وفـى الكثيـر مـن الأحيـان تأتـي أقطـاب الكـرة مـن مقاطعـات ومحافظـاًت مختلفـة مـن ذات البلـد كمـا هـو الحـال فـى إسـبانيا مثـلا فـكل مـن برشـلونة وريـال مدريـد ينتمـى لمقاطعـة مختلفـة عـن الآخـر... أمـا الديربـى فهـو المبـاراة التـي تجمـع الفريقيـن الأهـم والأقـوى المنتميـن لـذات المقاطعـة أو المحافظـة.. هـذا هـو وجـه الاختـلاف.. أمـا وجـه التشـابه فيتمثـل فـى أن كلا اللفظيـن يطلقـان علـى المباريـات الأقـوى علـى الإطـلاق فـى كل بـلاد العالـم.. سـتجدهما الأقـوى فـى بـلاد مثـل إسـبانيا وإنجلتـرا مثـلا، سـتجدهما الأكثـر حماسـا فـى بـلاد مثـل إيطاليـا والأرجنتيـن والبرازيـل، وفـى مصـر يجتمـع اللفظـان.. ليتـم إطلاقهمـا معـا

علـى لقـاء الزمالـك والأهلـي الـذى يتكـرر مرتيـن فقـط فـى كل دورة مـن دورات الـدورى العـام، وصحيـح أن مباريـات الديربـى فـى مصـر تأتـي باهتـة فـى أغلـب الأوقـات إلا أن سخونة التنافس تجعـل منهـا أعراسـاً لا تتكـرر كثيـراً.. الديربـى هـو اليـوم الـذى تنتظـره مصـر وتتوقـف فيـه الحيـاة، تكـف عقـارب السـاعة عـن الـدوران إلا فـى الاسـتاد، تتلاحـق الأنفـاس، ويسـتعد الجميـع.. وبطبيعـة الحـال وبحكـم الانتمـاء والحـب والإيمـان تسـتعد مجموعـات الأولتـراس لهـذا اليـوم اسـتعدادا خاصـاً ومميـزاً، وأنـا عاشـق محـب مؤمـن، لـذا فقـد كنـت أسـتعد لذلـك اليـوم دومـاً بشـكل خـاص حتـى قبـل انضمامـي رسـميا للأولتـراس، أرتـدى أكثـر الأطقـم التـي تعبـر عـن انتمائى للزمالـك أناقـة ونظافـة، أخـرج مـن البيـت منـذ الصبـاح لأحجـز مكانـا متميـزا ومضمونـا فـى المدرجـات.. ولطالمـا دعـوت اللــه قبـل الديربيـات المختلفـة التـي عشـتها أن ينصرنـا، ويظـل القلـق ينهشـنى لسـاعات وسـاعات قبـل المبـاراة بأيـام، لأجدنـي مدفوعـا بلهفـة كبيـرة لمتابعـة الأخبـار والتطـورات داخـل الفريـق محـاولا تخميـن الحالـة المعنويـة والنفسـية للاعبيـن، ذلـك أنهـا الأهـم فـى مثـل هـذه المواجهـات، ودومـاً مـا تمتلـئ رؤوسـنا - علـى حـق - بـكلام كثيـر مفـاده أنـه لا حسـابات للديربـى وأنـه لا علاقـة لموقـع الزمالـك والأهلـي فـى جـدول مسـابقة الـدورى العـام بمـا سـيحدث فـى المبـاراة، وأن هـذه المبـاراة تحديـداً دورى مـن نـوع خـاص يسـعى إلـى كسـبه كلا الفريقيـن رغبـة منهمـا فـى تحقيـق مجـد خـاص

وإضافة سطر جديد فى سباق الإحصاءات والأرقام الدائر بينهما منذ عقود وأعتقد أنه سيستمر للأبد.

في الديربى مربط الفرس.

فى الديربى الحدث الأهم.

فى الديربى سقط القمر فى المحيط.

في الديربي حجبت كل غربان الأرض ضوء الشمس.

ستاد القاهرة الدولي- سور نادي الزهور وما حوله

لقد ملأت رأسك بكل ما سبق من معلومات وحكايات عنى وعن حياتي وعن زملكاويتى فقط لأصل بك إلى هنا.. إلى الديربى الذى أقيم باستاد القاهرة الدولى يوم الجمعة 16 إبريل 2010 تعادل الزمالك مع الأهلي بنتيجة غريبة على مثل تلك المباريات الحماسية بنتيجة 3-3 ليكتمل بتلك النتيجة عقد الأفكار الذى يتنامي فى ذهنى منذ طفولتى بأننا الزملكاوية مضطهدون، عابسون، قليلو الحظ، نفتقر للسلطة التي تسمح لنا بشراء التحكيم واتحاد الكرة ولجانه المختلفة وبالتالى نحن نخسر دوما.

هناك حقائق كونية مؤكدة فى مجال كرة القدم المصرية هي أن الأهلي لا يستطيع الحصول على المركز الثاني إلا نادراً، بينما الزمالك - وبكل أسف- يتسيد هذا المركز فى الأعوام الأخيرة، بل إنه يحصل على مراكز أقل

فـى بعـض الأحيـان، حقائـق كونيـة مشـابهة تقـول إن الزمالـك لا يكسـب الأهلـي أبـداً فـى وجـود اللاعـب الأحمـر النشـيط (محمـد بـركات)، والـذي مثـل معظـم (نجـوم) الأحمـر، أتـى إليـه عبـر بوابـة الإسـماعيلي!!.

سـنين عجـاف هـيَ حقـاً التـي لـم نفـز فيهـا علـى الأهلى، أذكـر جيـداً آخـر فـوز للزمالـك علـى الأهلـى، كان هـذا فـى مبـاراة الـدور الثانـي مـن الـدورى العـام موسـم 2006-2007 يومهـا كان الأهلـي يضمـن الفـوز بـدرع الـدورى مهمـا كانـت النتائـج، لعبنـا نحـن بقوتنـا الضاربـة كاملـة، ولعبـوا هـم بدكـة الاحتياطـى، حتـى إن البرتغالـى الداهيـة مانويـل جوزيـه- المديـر الفنـى للأهلـى وقتهـا - سـافر إلـى بـلاده ولـم يحضـر المبـاراة وتـرك إدارتهـا الفنيـة لحسـام البـدرى -المـدرب العـام وقتهـا- وهـو فـوز لـم يرضنـى شـخصيا ولـم أشـعر بحلاوتـه تغمرنـي.

مـا يؤكـد قولـى هـذا يـا سـيدى هـو أن آخـر فـوز للزمالـك علـى الأهلـي قبـل مبـاراة 2006، كان فـى مبـاراة الـدور الأول عـام 2001 عندمـا فزنـا بنتيجـة 3-1، وتلـك كانـت نهايـة الأفراح، فمثـلا كانـت مبـاراة الـدور الثانـي مـن نفـس العـام هـي تلـك المبـاراة الشـهيرة التـي هُزمنـا فيهـا بنتيجـة كبيـرة 6-1، المباراة التـي تنـدر عليهـا المصريـون لشـهور وشـهور، ومنـذ تلـك المبـاراة المفجعـة بـدأت أسـهم الزمالـك فـى التراجـع يومـا

بعد يوم.. وعادة ما أذهب للديربيات وكلى أمل وطموح، أتذكر وقتها دورى كلاعب آخر فى الفريق ينحصر دوره فى التحفيز والتشجيع، أجمع الجماهير حولى فى المدرجات لننادي بأصواتنا التي لا نملك سواها، نشجع لاعبينا بتدفق طوال تسعين دقيقة لكى نبلغ الأمل... تملؤني تصريحات اللاعبين والأجهزة الفنية المتعاقبة على الزمالك بالتفاؤل، الذى يتحطم دوما، ويبدو أنني لن أعيش لحظة الفوز على الأهلي أبداً.

الزمالك ناد له معجبون ومريدون بالملايين ليس فى مصر فقط، مثله فى ذلك مثل الأهلى، لكليهما مجلس إدارة، لكليهما أجهزة فنية عالية المستوى، يمتلك كلاهما كتيبة من النجوم، يمتلك كلاهما رغبة الفوز، وأنا كمشجع زملكاوي أقف على حافة اليأس، فعلت كل ما أستطيع تجاه الكيان، لكن يبدو أن الكيان يأبى أن يريحني وينجدني مما أنا فيه، تغيرت الأجهزة الفنية ومجالس الإدارة، واللاعبون، ولم يتبق سوى الجمهور، والحال كما هو.. وصدق أو لا تصدق يا سيدى، إنها مأساة.

لكن ديربى الدور الثاني لعام 2009-2010، كان مختلفا بكل تأكيد، فهو ديربي "حسام حسن"، ديربى إثبات القوة، ديربى الحياة أو الموت.. وكان الاستعداد لتلك المباراة على أشده، فثقافة الأولتراس تؤكد أن الديربى يوم

عيـد، وفرصـة لإثبـات جـدارة المجموعـة وقوتهـا، كان الزمالـك يومهـا يحـاول- كمـا ذكـرت لـك مـن قبـل- اللحـاق بغريمـه ومصارعتـه علـى المركـز الأول ودرع الـدورى، كان يبـدو كطالب مجتهـد أصيـب بمـرض قـاس فـى نصـف العـام الأول فحـاول أن يُلملـم مـا فاتـه فـى النصـف الثانـي فقـط مـن العـام.. ولأنـه متفـوق فلـن يرضـى أبـداً بأقـل مـن المركـز الأول وظـل يحـاول ويحـاول.. صـارع كل مـا ومـن فـى المدرسـة.. زمـلاؤه الطلبـة الذيـن لا حيلـة لهـم والذيـن لا يحلمـون بالمركـز الأول قـط، لكنهـم يحاربونـه، يكبلونـه، يقيدونـه بجنازيـر صدئـة كـى لا يحقـق أحلامـه، لأن هنـاك ذلـك الفتـى الأحمـر الوسـيم الـذى يجلس فـى مكتـب الناظـر ينظـر إلـى الجميـع بسـخرية، لثقتـه فـي دعـم السـلطات لـه وأنـه الأول لامحالـة.

يومهـا كنـت متوجسـا متفائـلا كالعـادة، مسـتيقظا فـى الصبـاح الباكـر، آخـذا إجـازة مرضيـة- وهميـة بالقطـع- مـن العمـل، الكثيـر مـن المكالمـات الهاتفيـة مـع الكثيريـن منهـم (كابـو) المدرجـات لأحفـزه وأسـتحثه وأطلـب منـه أداء مبـاراة جيـدة فـى المدرجـات، تلقيـت مكالمـة أمنيـة المصـدر قبـل المبـاراة بسـاعات تأمرنـي (كمـا تأمـر غيـرى مـن المجموعـة وبعضـا مـن أفـراد مجموعـة أولتـراس أهـلاوى) بالثبـات الانفعالى وعـدم الانسـياق وراء محـاولات الشـغب، وكالعـادة مـررت علـى "ناصـر" فـى ميـدان العـرب قبـل المبـاراة بخمـس سـاعات كاملـة، وتفاءلـت لمـا رأيتـه بعباءتـه البيضـاء إياهـا، تحدثنـا كثيـراً

عـن المبـاراة وظروفهـا، لكنـه لـم يكـن كأى حديـث، فكلانـا كان واثقًـا مـن الفـوز ثقتنـا فـى أنفسـنا... كلانـا كنـا نثـق فـى العميـد "حسـام حسـن".. كلانـا كنـا نؤمـن بعـودة الزمالـك .

"هشـام" لـم يرافقنـا يومهـا، فضلـت أن أكـون بمفـردى مـع "ناصـر" وألا يلـوث الأجـواء أى أهـلاوى حتـى لـو كان صديقـى "هشـام".. قطعنـا الطريـق بسلاسـة غيـر معتـادة، حتـى وصلنـا إلـى منشـية "ناصـر" التـي تزخـر بالأهلويـة، فمـا إن رأى مجموعـة مـن الصبيـة علـم الزمالـك معلقـا علـى زجـاج سـيارتى الخلفـى، حتـى بـدأوا فـى توجيـه ألفـاظ بذيئـة لنـا ولفريقنـا، لكـن هـذا لـم يضايـق كلينـا - أنـا و"ناصـر" - إطلاقـا، فقـد كنـا نعتبـره مـرآة لمـا يشـعر بـه جمـوع مشـجعى الأهلـي فـى هـذا اليـوم، هـم سيخسـرون بـكل تأكيـد، هـم "سـيأكلون النجيلـة" علـى حـد التعبيـر الكـروى، هـم سـيهانون كرويـاً علـى أرض الملعـب، ونحـن سـنفوز.. سـنطحن عظامهـم، ونأخـذ كعكـة المبـاراة، وقـد ننـال كعكـة الـدورى كذلـك.

وكمـا ذكـرت لـك يـا سـيدى فـإن نتائـج المباراتيـن السـابقتين للزمالـك، (مباراتـي حـرس الحـدود واتحـاد الشـرطة) أثرتـا كثيـراً فـى اقترابنـا مـن الـدرع.. ولكنـك تعلـم أيضـا أن للديربـى شـأناً خاصـاً، يمكنـك لـو لـم تكـن تعلـم عـن سـير ذلـك الديربـى تحديـدا أن تسـأل، فهـو سـيناريو غيـر متوقـع حتـى فـى أحلامنـا.

بطبيعة الحال كنت من أوائل المشجعين اللذين دخلوا إلى المدرجات، ورغم أن الأمن منع الدخلات فى هذا اليوم- أي أنني لم أكن مضطرا للتواجد فى المدرجات مبكرا - إلا أنني كنت أعلم يقيناً أن توترى الشديد سيمنعنى من انتظار المباراة إلا على كرسي فى (الكورفا سود)، التواجد فى المدرج وحده يملؤنى بمشاعر عديدة يختلط فيها الأمل بالسعادة والاعتزاز والحماس، أشعر فى هذا المكان بأنني فى بيتى.. هنا لن أجد نفسي وحيدا، غريبا، منعزلا، هنا فقط سأتخلص من مسئوليات فودافون، وجدال أبي، إلحاح "شيماء"، سطوة "وليد".. هنا سأعيش كأولتراس حقيقى.. هنا لن أخجل من زملكاويتى.. هنا سأكون حراً .

ولما أطلق الحكم صافرة بداية المباراة، كنت فخورا بزملكاويتى للغاية، كنت فخورا بإخوانى مشجعى الزمالك أيما فخر.. كنا يومها - على غير العادة - نملأ المدرجات عن آخرها.. كنا الأزهي.. الأعلى صوتا.. الأكثر حماسا.. تملؤنا الثقة.

ثم جاء سيناريو المباراة ليغير كل تلك المشاعر.. نحرز هدفا فى الدقيقة الثانية فنفرح ونملأ المدرجات ضجيجاً.. يتعادلون.. نحرز الثاني.. فيتعادلون.. نحرز التقدم.. فيتعادلون قبل نهاية المباراة بثوانٍ.. لتخرج المباراة بيضاء

كجيوب الغلابة.. تعادل قاس كان هو النتيجة فى الملعب.. وكرب وهم شديدان كانا يمثلان النتيجة داخلى.. يخرج اللاعبون من الملعب كأصدقاء وأخرج أنا من الملعب أبكى دما.. كارها هذا اليوم الذى وجدت فيه نفسي زملكاوياً محباً لهذه الدرجة التي قد تقتلني يوما ما.

كانت أعصابي بعد المباراة تستقر على بضعة سكاكين حامية تمزقها إربا.. كنت أوقفت سيارتى بجوار نادي الزهور القريب، كنت مضطراً للسير حوالى كيلومتراً كاملاً أجتر فيه آلامي.. سار بجوارى "ناصر" وأحد زملائى فى المجموعة يسكن هو الآخر بالقرب منى فى المعادي، طلب أن يركب معنا... فلم أرفض، وسرنا سوياً وسط الحشود المتألمة لتلك النتيجة غير العادلة والتي زاد من وطأتها السباب الجماعي المنظم الذى قامت به الجماهير الحمراء فى حق التوأم "حسام وإبراهيم حسن".. وصحيح أن خلع "حسام حسن" لقميصه الأبيض وتقبيله وطواف الملعب به بعد المباراة أثلج صدورنا جميعا.. ولكن ما فائدة ذلك ونحن نخسر فى نفس اللحظات حلم المنافسة على الدرع.. نخسر بطولة جديدة.. وتنطفئ شمعة جديدة للأمل والحلم.

سـرت هائمـاً مفكـراً فيمـا حدث فـى المبـاراة.. وتسـاءلت إلـى أى مـدى سـتحتمل أعصابـي تلـك الصدمـات المتتاليـة التـي أتلقاهـا مـن الفريـق الأول لكـرة القـدم بنـادي الزمالـك؟.. وإلـى متـى سـيظل الأهلـي محظوظـا لهـذه الدرجـة، كان مـا يزيـد مـن هموـمى هـو أننـي أعلـم تمـام العلـم أننـي سـأواجه عاصفـة متجـددة مـن السـخرية والاسـتهزاء بـى وبفريقـى مـن جيرانـى فـى المنطقـة والذيـن سيسـهرون بـكل تأكيـد فـى انتظـاري، وأننـي سـأواجه عاصفـة مماثلـة فـى الصبـاح عندمـا أخطـو أولـى خطواتـى داخـل الشـركة الحمـراء التـي أعمـل بهـا.

كنـت غارقـا فـى هـذه الأفـكار، كنـا نسـير ونسـير، الضجيـج والصخـب يمـلآن المـكان، أبـواق السـيارات تصـدر لحنـا احتفاليـا نعرفـه جميعـا، يخـرج شـاب أحمـر مـن سـيارته ليسـبنا، شـاب آخـر يحيينا ويقـول إن كلا الفريقين كانـا ممتازين وأن التعـادل نتيجـة عادلـة للغاية..ضجيـج، ضجيـج، ضجيـج،.. كاد الضجيـج يفقدنـى صوابـي، فاتجهـت إلـى حيلـة نفسـية أحترفهـا منـذ سـنوات، فأغرقـت نفسـي فـى أفـكار بعيـدة عمـا أعيشـه الآن، ورغـم أننـي حاولـت، لكـن تلـك المحـاولات بـاءت بالفشـل واتجهـت بأفـكاري كلهـا تجـاه الرمـز، الأيقونـة، "حسـام حسـن"، كان مشـهد حسـام حسـن وهـو يسـجد علـى قميصـه الأبيـض مؤثـرا للغايـة، كنـت علـى يقيـن بـأن حسـام قد تحـول بفضـل موافقتـه وترحيبـه بتدريـب الزمالـك، إلـى أيقونـة كرويـة مصريـة بـكل تأكيـد، حتـى لـو تـرك الزمالـك، حتـى لـو

رحـل عنـا بمشـكلة أو خـلاف حـاد - لا قـدَّر اللـه - سـيظل حسـام هـو ذلـك البطـل الـذى انتشـل جسـد الفريـق قبـل السـقوط فـى القـاع، سـيظل هـو كمـا أتخيلـه دومـاً.. (محمـد علـى) الزملـكاوي الـذى كـون لنـا جيشـا وجعـل منـا قـوة لا يسـتهان بهـا، وهـو أيضـا (صـلاح الديـن) الزملـكاوي الـذى دافع عـن حدودنـا ومنـع الاقتـراب منهـا، كان كذلـك مثـل (قطـز) الزملـكاوي الـذى اسـتطاع أن يقـف فـى وجـه التتـار.

محمـد علـى وصـلاح الديـن وقطـز لـم يكونـوا مصرييـن، لكنهـم دافعـوا عنهـا بشـرف وبقـوة، كذلـك "حسـام حسـن"، قضـى أكثـر مـن نصـف عمـره بيـن جـدران الأهلـى، ثـم وقـف فــى أول الصــف الزملــكاوي ليدافــع عنــه بشــرف وبقــوة، "حسـام" لـم يتخـل عـن فريقـه القديـم، هـم مـن تخلـوا عنـه، لـم يتفهمـوا حبـه وارتباطـه بتوأمـه إبراهيـم وتخلـوا عنهمـا معا بـدون أى اعتبـار لتاريخهمـا المشـرف مـع النـادي الأحمـر، زعـم الأهلـي أنـه فـوق الجميـع، وداس علـى التـوأم، زعـم الأهلـي أنـه نـادي القيـم، ورغـم ذلـك دهـس قيمـة كبيـرة مـن أبنائـه، ولهـذا كان طبيعيـا أن يأتـي الوقـت الـذى يسـجد فيـه حسـام علـى قميـص الزمالـك.

ومــا إن اقتربنــا مــن البوابــة الرئيســية لنــادي الزهــور والتــي كانــت تبعــد عنــا بأمتــار قليلــة، حتــى جذبنــى رفيقــى بعنــف شــديد، فأنقذنــى بهــذه الجذبــة مــن ارتطــام (طوبــة)

متوسـطة الحجـم كادت تشـج رأسـى.. والتفـت إلـى مصـدر الطوبـة فوجـدت مجموعـة مـن الشـباب العابـث.. معظمهـم يصغرنـى بأعـوام يرتـدون جميعـا قمصانـاً حمـراء تعبـر عـن انتمائهـم للنـادي الأهلـي ويوجهـون لنـا عـددا قليـلا مـن الحجـارة وسـط وابـل مـن أقذع الألفـاظ.. كانـوا علـى بعـد مـا يقـرب مـن عشـرين متـرا.. نقـف نحـن بالقـرب مـن رصيـف نـادي الزهـور، ويقفـون هـم علـى الرصيـف المقابـل لنـا والـذى يتوسـط نهـر الطريـق، ويسـتقر على عتبـات شـريط متـرو عبـد العزيـز فهمـى ومدينـة نصـر، كانـوا حوالـى عشـرة مـن الصبيـة، يملأهـم الحمـاس والفخـر بعـد أن قهـروا زملكاويتنـا بالتعـادل السـخيف فـى المبـاراة، مجموعـة شـباب لـم ولـن ينفـد منهـم الطـوب أبـداً، فهـم يقفـون بجـوار شـريط المتـرو الـذى يمتلـئ كمـا تعلـم بأطنـان مـن هـذه الأسـلحة الفتاكـة، ويحاولـون أذيتنـا بهـا، إضافـة إلـى اسـتفزازنا بعشـرات الألفـاظ النابيـة التـي يعاقـب عليهـا القانـون يقولونهـا فـى حقنـا كزملكاويـة وفـى حـق حسـام وإبراهيـم حسـن، رددنـا عليهـم وبمنتهـي العصبيـة بإشـارات خارجـة بأصابعنـا، مصحوبـة قطعـاً بعـدد لا بـأس بـه مـن الشـتائم، ويبـدو أن هـذا مـا زاد مـن حماسـتهم فانحِنـوا جميعـا علـى شـريط المتـرو ينتقـون منـه عـددا مـن الحجـارة الفتاكـة ليواصلـوا قذفنـا بـه.

عـدد لا نهائـي مـن السـيارات تتحطـم حولنـا، الحجـارة تنـال مـن بعـض المـارة مـن مشـجعي الزمالـك، وفـي ثـوانٍ معـدودة كثـر عـدد الزملكاويـة الخارجيـن مـن الاسـتاد لتوهـم مـن حولنـا، وتكاتفنـا جميعـا وعبرنـا نهـر الطريـق باتجاههـم، فـى اللحظـة التـي زاد فيهـا عددهـم أيضـا نظـرا لتجمـع نفر من مشـجعى الأهلـي حولهـم، كنـت شـخصيا فـى ذروة انفعالـى بسـبب سـبهم لحسـام وإبراهيـم، تحديـدا كنـت منفعـلا لسـبهم حسـام، ففكـرة أن يتـم سـبى بسـبب الزمالـك هـو أمـر معتـاد ومتكـرر بسـبب العصبيـة الكرويـة والتـي أبادلهـا بعصبيـة مماثلـة، أمـا حسـام فلـن أحتمـل سـبه أبـداً خاصـة بعدمـا حـدث علـى أرضيـة الملعـب، فحسـام كان نموذجـا حيـا وشـديد السـطوع لرجـل يحـب مـا يفعـل، يصدقـه، ويؤمـن بقدرتـه علـى الوصـول للهـدف الأسـمى، وأعتقـد أن جميـع الزملكاويـة فـى هـذا الوقـت قـد آمنـوا بـه وصدقـوه لهـذا السـبب، فنحـن جميعـا هـذا الرجـل، كلنـا يبتغـى الفـوز، كلنـا يشـتهي النصـر، ولهـذا توحدنـا معـه تمامـا وصدقنـاه ولا زلنـا.

كنـت أعبـر الشـارع حيـن تقافـزت فـى ذهنـى صـور للعديـد مـن المعـارك المماثلـة، والتـي كنـت أفـوز فيهـا أحيانـاً وأخسـرها فـى أحيـان أخـرى، لكننـي كنـت صادقـاً تمامـاً وعازمـاً أشـد العـزم علـى الفـوز فـى هـذه المعركـة بالـذات، تمـر بجـوارى الحجـارة لترتطـم بسـيارة أوقفهـا صاحبهـا البائـس بالقـرب مـن مـكان المعركـة، أو تصطـدم بجسـد أحـد رفاقـي،

وفـى محاولـة منـى لحمايـة وجهـي اصطدمـت بسـاعدى إحدى هـذه الحجـارة لتزيـد مـن انفعالـى وتقـوى مـن عزيمتـى علـى الفـوز أكثـر وأكثـر.. كنـا نتفـادى السـيارات القليلـة بنشـاط ونحـن نتوجـه إليهـم عـدواً... حاولـوا هـم زيـادة جرعـة قـذف الحجـارة فـى محاولـة منهـم لردعنـا، فلـم نـزد نحـن سـوى إصـرارا علـى إصـرار... كان عددنـا كبيـرا وكانـوا مثلنا...حتـى التقـى الجمعـان.

كانـت درامـا دمويـة، قريبـة ممـا نشـاهده فـى أفـلام الأكشـن، كان أول مـن قابلنـى فـى تلـك المعركـة شـاب يقاربنى فـى العمـر والحجـم عاجلتـه بقبضـة يـدى فـى نظارتـه الطبيـة فتهشـمت تمامـا مسـببة لـى جرحـاً غائـرا.. ضربنـى فـى سـاقى بقدمـه ضربـة موجعـة، فضربتـه بركبتـى بمنتهـي العنـف بيـن فخذيـه، ليسـقط أرضـا وأذهـب أنـا لمسـاعدة رفيـق لـى، أمسـكنى أحدهـم بعنـف وألقانـى علـى شـريط المتـرو فقمـت ممسـكا بحجـر كبيـر وضربتـه بـه فـى رأسـه، ثـم أمسـكته وقذفتـه علـى لوحـة مـن لوحـات الإعلانـات الموجـودة علـى الرصيـف، لتتهشـم تمامـا.. صـراخ يملـؤه الحمـاس يلـف الأجـواء، تجمـع عشـرات النـاس علـى الأرصفـة ليتابعـوا مبـاراة جديـدة بيـن الزمالـك والأهلـى.. أسـاعد صديقـا، أتلقـى ضربات وضربـات، وسـط ضجيـج لا يحتمـل وصـراخ لا ينتهـي.

واستمر الحال على هذا النحو لدقائق.. كانت معركة عنيفة بحق، ندافع فيها عن شرف فريقنا ومدربه.. جُرح فيها العديد من رفاقى وجُرحت أنا فى ساعدى وقبضة يدي وقصبة ساقي وفى أعلى رأسي.. وبالمثل حدثت خسائر عديدة فى أجساد بعض الأهلوية، وما هي إلا ثوان معدودة حتى جاءت قوة لا بأس بها من الشرطة لتكنسنا جميعا، وجدت نفسي لحظتها أبحث عن "ناصر" بلهفة فقد كنت أعلم أن إقامته فى مصر بصورة غير شرعية قد تسبب له مشاكل عديدة لن تنتهي عند ترحيله من البلاد نهائيا، كنت أعلم أنه سينسى كل تفاصيل حياته السيئة، ويجبره حماسه أو ينسيه وضعه غير القانوني بمصر، ويدافع عن الزمالك وكرامته مهما كلفه الأمر حتى الرمق الأخير، كنت أعلم أنه سيتعامل مع النادي على أنه قبيلته ومع "حسام حسن" على أنه شيخ القبيلة.

اكتشفت لحظتها أن عدد المتعاركين قد وصل إلى ما يقرب مائة شخص من الجانبين، كان الجميع فى حالة فوضى بسبب قدوم الشرطة، كان الجميع يحاول الفكاك من أنيابهم التي لن ترحم أياً منا، وفى واقع الأمر فإن الهروب من الشرطة فى مثل ذلك الشارع كان يسيراً للغاية نظرا لرحابته واتساعه، لكنني لم أفكر فى الهرب فعلا بقدر تفكيرى فى حماية "ناصر".

كان الوصـول إليـه سـهلا نظـرا لطـول قامتـه الملحـوظ، بيـد أن إقناعـه بالهـرب كان صعبا بالفعـل.. زحزحتـه مـن فـوق أحـد الأهلويـة بصعوبـة بعـد أن هشـم "ناصـر" وجـه الرجـل تقريبـاً.. ودفعتـه دفعـاً ليجـري بعيـداً عـن سـاحة المعركـة... كان تجمهـر النـاس- مـن غيـر المتعاركيـن- حولنـا يعطينـا فرصـة أكبـر للهـرب.. وعندمـا اقتنـع "ناصـر" ونظـر حولـه بسـرعة ليجـد الوضـع متأزمـاً بالفعـل، قـرر أن يتركنـا ويهـرب مـع الهاربيـن، كان الطبيعـى أن نتفـرق ثـم نجتمـع بعـد نصـف سـاعة علـى الأكثـر عنـد السـيارة لمـا تهـدأ الأمـور.. لكـن الحقيقـة أن "ناصـر" جـرى فـى اتجـاه (مسـاكن التوفيـق) القريبـة والتـي تقـع قبالـة بـاب نـادي الزهـور، ليختفـى بيـن شـوارعها المظلمـة، وجريـت أنـا فـى اتجـاه بوابـة النـادي الرئيسـية وهـو مـا كان تصرفـاً غبيـاً بحـق، فاتسـاع الشـارع لـن يعطينـى فرصـة للاختفـاء، فـكان لابـد أن أسـتخدم مـا تبقـى من طاقتـى لأركـض كالنمـر وأسـتطيع الفـكاك.

جريـت وجريـت، ركـض خلفـى فـرد أمـن نشـيط، ومـع كل خطـوة أخطوهـا كانـت طاقتـى تنضـب شـيئاً فشـيئاً.. يزيـد الأمـر سـوءا هـو نزفـي المسـتمر مـن ذراعـي وسـاقي، والأهـم أننـي لـم أكـن أعـى أن قـوة الشـرطة أتـت بالفعـل مـن هـذا الاتجـاه، لهـذا كنـت أجـري نحـو بـاب النـادي كمـن رمـى بنفسـه بيـن أحضـان جهنـم... لاحقنـى الرجـل النشـيط بحمـاس، كان يصـرخ ويأمرنـى بالتوقـف، يسـبنى بـلا انقطـاع،

وأنـا أجـرى بـلا هـدف محـدد، حتـى لحـق بـى بعـد انتهـاء سـور النـادي وأمسـكنى بـكل قوتـه... ضربنـى وجرجرنـى كثيـراً، ورغـم قوتـي البدنيـة الظاهـرة إلا أن قدرتـه وخبرتـه غلبتنـي، بـل سـحقتني.

- إيدك يا.. ،، أنا أخويا ظابط يابن الـ.. ..
- ... أمـك علـى.. أم أخـوك، هـي كلهـا بقـت ظبـاط والـلا إيـه يـا...

حتـى ركبـت البوكـس كحلـى اللـون حديـث الطـراز مـع عـدد آخـر مـن الشـباب مـن مشـجعى الفريقيـن ممـن لـم يسـتطيعوا الهـرب.. حاولـت أن أنظـر فـى اتجـاه "ناصـر" لأتأكـد مـن نجـاح محاولتـه... وأراجـع الوجـوه حولـى، فاطمـأن قلبـي لعـدم وجـوده.. وتملـك منـى الهـدوء تمامـا رغـم الصخـب الـذى كان يمـلأ السـيارة.. وظللنـا وسـط هـذا الصخـب المصحـوب باهتـزاز شـديد مـن جـراء رعونـة السـائق، أنـزف الكثيـر لكننـي متماسـك، حتـى وجدنـا أنفسـنا بعـد دقائـق ندخـل وسـط اسـتقبال حافـل مـن بوابـة قسـم مدينـة نصـر ثـان.

ثانى رُبع ساعة

« أنصر يا رب الأبطال »

قسم مدينة نصر ثان.

لـن أبتعـد كثيـراً عـن الحقيقـة إذا قلـت إن ثقافـة الأولتـراس، تُعَد فكـراً مـن نـوع خـاص ومتفـرد بيـن الثقافـات والأفـكار الأخـرى التـي ولدَهـا البشـر وابتكروهـا، ليـس لكونهـا ثقافـة تعلـى مـن شـأن الانتمـاء والـولاء والاجتمـاع تحـت رايـة واحـدة فحسـب، وإنمـا أيضـا لأنهـا تكسـب العضـو المنتمـى إليهـا صفـات شـكلية واضحـة، فهـو مثـلا يمشـى دومـاً معتـداً بنفسـه رافعـاً رأسـه، ثابـت الخطْـوات واثقهـا، وتكسـبه أيضا صفـات داخليـة عديـدة لعـل أهمهـا أنهـا ترفـع مـن درجـة وعيـه بقضايـا فريقـه ومشـاكله، وبالتالـى فهـي ترفـع مـن درجـة إيمانـه بقضيـة مـا، مهمـا كانـت بسـاطتها.. ممـا يصبـغ روحـه بصبغـة محَببـة، ناعمـة، تطبـع علـى وجهـه ملامـح صوفيـة واثقـة، لاحـظ أننـا نتحـدث عـن فـرد الأولتـرا الحقيقـى، وليـس مجـرد تابـع، وفـى أحيـان أخـرى يسـاعد فكـر الأولتـراس معتنقيـه علـى الاسـتمرار والبقـاء فـى الحيـاة كأشـخاص أسـوياء، ففـي حالتـي مثـلاً سـاعدتنى مجموعـة (أولتـراس وايـت نايتـس) كثيـراً فـى أن أكـون شـخصاً جسـوراً لا يهـاب أحـدًا أو شيئًا، جعلـت منـى الأولتـراس شـخصا دؤوبـاً، شـديد التركيـز فـى عملـه وفيمـا يفعلـه للمجموعـة، جعلـت منـى شـخصا لا يخشـى الوحـدة كمـا كنـت مـن قبـل، فلـمَ أخافهـا وحولـى مـا يقـرب مـن أربعـة آلاف أخ هـم العـدد

التقريبى لأعضاء المجموعة هنا فى القاهرة؟.. لمَ أخاف التجول بين المحافظأت والسفر إليها بل والاشتراك فى الكورتيجات على أرض الفرق المنافسة، وأنا أمتلك العديد من الإخوة فى الدم من أعضاء المجموعة فى عدد لابأس به من محافظات مصر كالإسكندرية والدقهلية والمنوفية وغيرها؟.. الخلاصة هي أنني وبعد انضمامي للأولتراس لم أعد أخشى الناس.. لم أعد أخشى التعبير عن ذاتى، لم أعد أهاب شيئاً.

لم أكن خائفاً بالفعل عندما كنت أخطو أولى خطواتى داخل قسم الشرطة، فلم تكن المرة الأولى التي أحيا فيها موقفا مشابها، كنت فقط متوجسا، تدور فى عقلى عشرات الأسئلة، لعل أهمها هل سأخرج من هنا الليلة، أم سأبيت فى القسم ؟.. وهو سؤال مهم للغاية، حيث إنني لن أستطع تبرير غيابي عن العمل فى الصباح وهو ما قد يسبب لى مشكلة كبيرة مع مديرتى، والحقيقة أنني سألتمس لها العذر إذا قامت بأى إجراء إدارى عنيف ضدى، فقد استنفذت رصيد إجازاتى كاملاً ونحن حتى لم نقترب من منتصف العام بعد، والحقيقة أن تركيزى مع الزمالك والأولتراس قد ألهانى كثيراً عن العمل، وهو بكل تأكيد ما يؤثر على مسيرتى فيه، لكنني شرحت لك مسبقا أنني غير راضٍ أصلاً عن تواجدي فى العمل الذى لا يلائم مؤهلي العلمي وانتمائي الكروي.. كنت أتساءل أيضا

عـن رد فعـل والـدى.. والـذى أعلـم أنـه لـن يكـون هيناً علـى الإطـلاق، إذا علـم أننـي تشـاجرت مجـددا بسـبب الزمالـك..، غيـر أننـي وبالتأكيـد كنـت أحتـاج وقتهـا لشـخص يخرجنـى ممـا أنـا فيـه، شـخص ينجدنـى، ورغـم أن ثقافـة الأولتـراس تقطـع بـأن مشـجع كـرة القـدم أهـم كثيـراً بالنسـبة للنـادي من اللاعـب والمديـر الفنـى وعضـو الجهـاز المعـاون، بـل عضـو مجلـس الإدارة، ذلـك أنـه يفنـى حياتـه فـى خدمـة الكيـان، علـى عكـس الآخريـن الذيـن يتكسـب بعضهـم ويُطعمـون أبناءهـم مـن خزينـة النـادي، إلا أننـي سـأكون كوميديـا بحـق لـو كنـت أعتقـد أن "حسـام حسـن" أو أحـد لاعبـي الفريـق أو السـيد "ممـدوح عبـاس" رئيـس مجلـس إدارة نـادي الزمالـك فـى ذلـك الوقـت.. أكـون كوميديـاً بحـق لـو ظننـت أن أحدهـم سـيأتي لنجدتنـا، حتـى لـو طلبنـا مسـاعدة أحدهـم!!

كانـت تلـك الأفـكار تراودنـي أثنـاء صعـودي السـلالم مـع مجموعـة المشـجعين المقبـوض عليهـم، وسـط اسـتقبال حـاد مـن مخبـري وجنـود القسـم، اسـتقبال ملـيء بالـركلات والصفعـات، مغلـف بالشـتائم، كانـوا يتعاملـون معنـا بكراهيـة حقيقيـة، فأنـا أعلـم يقينـاً أننـا بالنسـبة إليهـم مجموعـة أخـرى مـن (الصيَّـع)، وأنهـم مشـغولون بمـن هـم أعتـى منا فـى الإجرام ومسـؤولياتهم الجسـام، ورغـم أن هـذا الاسـتقبال الحافـل كان يزعجنـى بالفعـل إلا أننـي آثـرت الصمـت حتـى يأتـي الفـرج مـن عنـد اللـه.. وأفكـر فـى شـخص قـد ينجدنـى مـن تلـك المحنـة.

بـكل تأكيـد سـأجد "شـيماء" سـاهرة بجـوار الراديـو الآن تسـتمع لهـذا البرنامـج الأيقونـي الـذى لـم أفهمـه إطلاقـا "أنـا والنجـوم وهـواك" تسـتمع هـي الآن لصـوت مذيعـه الأبـرز "أسـامة منيـر" الوقـور الرخيـم الـذى يخبـر بنـات مصـر أجمعيـن أن الحـب هـو أهـم مبـاراة فـى حيـاة كل منهـن، ويدلهـن عـن طريـق نصائحـه الماسـية علـى طـرق اللعـب فـى تلـك المبـاراة.. سـتنتهي "شـيماء" مـن البرنامـج ثـم تتكـئ إلـى أريكـة حمـراء وثيـرة بغرفتهـا، لتذاكـر بجـد وحمـاس حتـى تنجـو مـن مقصلـة الحصـول علـى تقديـر سـيئ، فـ "شـيماء" تحلـم فعليـا بـأن تكـون مـن أسـاتذة قسـم اللغـة الإسـبانية بكليتهـا، وهـو الحلـم الـذى يعطـى احترامـي لهـا مبـررا وحيـدا، فهـو حلـم مشـروع أسـاعدها علـى تحقيقـه بـكل مـا أسـتطيع كتعويـض مسـبق منـى علـى الصدمـة الكارثيـة بـكل تأكيـد التـي ستشـعر بهـا عندمـا أتركهـا وحيـدة لتواجـه هـذا العالـم الرحـب بـدون "أبـو نيرميـن".

صحيـح أنني لـم أكـن أول مـن لمـس جسـد "شـيماء"، لكننـي أقـر بأننـي أول مـن ضاجعهـا، لـم أكـن أول مـن أحبتـه لكننـي كنـت حبهـا الصـادق وأكثـر نضوجـاً... "شـيماء" شـخص لحـوح بحـق، ثقيلـة علـى قلبـي بحـق، لكننـي أعتـرف بأنهـا طيبـة القلـب وتحبنـى بجنـون.. أعـرف أيضـا أننـي قـد أتغاضـى يومـاً عـن صفاتهـا السـيئة، وأجلـس بجوارهـا فـى قاعـة مكيفـة الهـواء بأحـد المسـاجد الكبـرى لأعقـد قرانـى عليهـا وسـط

فرحـة الأهـل والأصدقـاء، فقـط لأؤدب نفسـي علـى مـا فعلتـه ببـراءة تلـك الفتـاة التـي كان خطؤهـا الأكبـر هـو أنهـا أحبـت شـخصاً مثلـى... أعيانـى تفكيـرى فـى قضيتهـا معـى كثيـراً، لكننـي فـى موقـف كهـذا أقـول لنفسـي إنـه هـا قـد أتـت الفرصـة الذهبيـة لكـى تتركنـى هـي بكامـل إرادتهـا ولا أتركهـا أنـا بإرادتـى.. أو أننـي أريـد أن يبـدو الأمـر علـى هـذه الصـورة.. وعمومـاً وبمـا أنهـا فـى أول الأمـر وآخـره فتـاة، فهـي إذن لـن تكـون أبـداً الشـخص الـذى أحتاجـه هنـا والآن.

أمـا أبـي، هـذا المهنـدس الوقور والـذى يحفـر الأرض لمدة تزيـد عـن العشـرين يومـا فـى كل شـهر باحثـاً عـن الذهـب الأسـود والغـاز الطبيعـى فيبـدو أنـه لـم يشـف بعـد مـن جـرح وفـاة أمـي ولهـذا قـرر أن يقضـى أطـول مـدة ممكنـة وحيـداً فـى الصحـراء، وبـكل ثقـة أسـتطيع القـول إنـه سـاهر حتـى الآن فـى ركـن قصـى مـن الموقـع متأمـلاً نجـوم السـماء، جالسـاً فـى حضـرة أغنيـة "لأم كلثـوم" ويدنـدن معهـا حالمـاً بأمـي، داعيـاً لهـا بالرحمـة، دعـاء أشـاطره إيـاه بـكل تأكيـد، لكننـي أدعـوه أن يسـامحنى هنـا والآن، فرغـم محـاولات الرصـف التـي قـام بهـا كل منـا فـى الـدرب الموصـل بيننـا فـى الفتـرة الأخيـرة إلا أننـي أعلـم يقينـاً أننـي لـم أفهـم هـذا الرجـل قـط، عـاش محـاولا الحفـاظ علـى هيبتـى وهيبـة "وليـد" الاجتماعيـة، عانـى كثيـراً فـى صحـاري مصـر والسـعودية لكـى يسـتطيع أن يؤمـن لكلينـا شـقة فاخـرة فـي مـكان فاخـر، حـاول أن يضمـن

لـى وظيفـة محترمـة وإطـاراً اجتماعيـا أنيقـا حيـن ظـل يقنعنـى باللحـاق بـ"وليـد" وتقديـم أوراقـى فـى كليـة الشـرطة، أوجـد لـى أكثـر مـن فرصـة عمـل مناسـبة أثنـاء الدراسـة، لـم أعمـل فـى أى منهـا لأننـي شـاب أخـرق، كسـول، ميسـور الحـال، لا أريـد تخشـين يـداي إلا بعـد حصولـى علـى الشـهادة الجامعيـة.

حتـى إنـه لمـا حصـل لـى علـى وظيفـة فودافـون ترفعـت عنهـا، إلـى أن جـاءت اللحظـة التـي جـزم فيهـا- ولأول مـرة فـى تاريخنـا معـا- بأنـه سـيطردني مـن المنـزل حتمـا لـو رفضتهـا.. أبـي فصـل وعـر فـى حياتـي المظلمـة، أبـداً لـن ينتهـي، ولـن أطلـب منـه أى شـيء فـي هـذه اللحظـة سـوى الدعـاء لأمـي بالرحمـة والدعـاء لـى بالهدايـة.. ونظـرا لبعـد المسـافة بيننـا فلـن يكـون بالتأكيـد الشـخص الـذى قـد ينجدنـى هنـا والآن.

وبالنسـبة لـ"هشـام" فسـاهر بـكل تأكيـد ليذاكـر بجديـة متطلعـاً للتخـرج مـن مـودرن أكاديمـى بعـد سـبع سـنوات عجـاف قضاهـا بيـن جنباتهـا ليحصـل علـى بكالوريـوس إدارة أعمـال لا قيمـة لـه مثلـه مثـل أى بكالوريـوس أو ليسـانس آخـر، لكنـه فقـط سـيضمن لـه عـروس متعلمـة، ووظيفـة مؤكـدة فـى مصنـع العـدادات الـذى يملكـه أبيـه بالسـادس مـن أكتوبـر، والـذى يسـتقبل فيـه الوالـد تلـك العـدادات آتيـة مـن الصيـن ليجمعهـا هنـا فـى بلدنـا ويعطينـا نحـن الشـعب عـدادات صينـى تقفيـل مصـري، و"هشـام" هـذا الشـاب العابـث يؤمـن

فـى قـرارة نفسـه أنـه لا يوجـد علـى سـطح الأرض أى مـكان يمكنـه قبـول غـزارة معلوماتـه عـن إدارة الأعمـال سـوى مصنـع أبيـه والـذى يخطـط للاسـتيلاء عليـه بعـد وفـاة أبيـه عـن طريـق الميـراث ثـم تحويـل أرض المصنـع ومـا عليهـا لمجمـع كافيهـات يجنـي مـن ورائـه الكثيـر، اليـوم فقـط أكتشـف أننـي صديـق لـ"هشـام" ليـس لأننـي أحبـه، لكننـا فقـط نشـبه بعضنـا بشـدة، فهـو أيضـا يخشـى التطـور، يريـد أن يصـل إلـى ملذاتـه، يحيـا ليفعـل مـا تمليـه عليـه نزواتـه لا مـا يمليـه عليـه ضميـره، اكتشـفت بعـد تفكيـر سـريع أنـه بالفعـل شـخص بـلا تأثيـر فـى حياتـي، فهـو ليـس ككـوب المـاء الضـرورى الـذى سـأموت بدونـه إنمـا هـو ككـوب الميـاه الغازيـة الـذى يمكـن الاسـتغناء عنـه أو اسـتبداله بآخـر فـى أى وقـت أريـد.. ولهـذا فـإن "هشـام" ليـس الشـخص الملائـم لـى هنـا والآن إطلاقـا .

والسـيد "ناصـر" لـن يأتـي قطعـا، وبالقطـع لـن أطلبـه، فشـخص مثـل "ناصـر" وبعـد أن خسـر جميـع رهاناتـه وصُـدمَ فـى جميـع اختياراتـه، لـن يحتمـل بـكل تأكيـد صدمـة جديـدة أو خسـارة رهـان جديـد علـى تعاطـف ضابـط مباحـث شـاب، علـه يتفهـم خوضنـا لمعركـة كرويـة مـن أجـل الدفـاع عـن شـرف الزمالـك ومشـجعيه، ولأنـه يقيـم فـى بلـد هـذا الضابـط بصـورة غيـر شـرعية، أصبحـت العـودة إلـى السـودان مـن جديـد بمثابـة الكابـوس الـذى يهـرب منـه "ناصـر" دومـا، فلـمَ يعـود؟.. لـمَ يعـود وهـو ذلـك الجمـل الشـائخ الـذى يهيـم فـى

الدنيـا بـلا زوج أو أخ أو حتـى رفيـق فـي درب التيـه؟.. لـمَ يعـود إلـى وطـن لا يوجـد بـه مـرآة حقيقيـة تعكـس آدميتـه وتشـعره بأنـه يشـغل حيـزا ماديـا مـن الفـراغ؟.. لـمَ يعـود إلـى وطـن لا يوجـد بـه زمالـك ؟!!!.

"ناصـر" أيضـا غيـر موجـود ولـن يكـون موجـوداً.. فبعـد أن ظـل طـوال حياتـه صفـرا علـى اليسـار، لـن أطلـب منـه اليـوم أن يكـون صفـرا علـى اليميـن وآسـفا أقولهـا، إن "ناصـر" لـن يكـون الشـخص الـذى أحتاجـه هنـا والآن .

وأثنـاء انشـغالى بالـدم النـازف مـن جروحـي، كنـت أقلـب فـى أوراق حياتـي عـن شـخص قـد يصلـح لنجدتـى ممـا أنـا فيـه، كنـت أُمسـك بهـذا الألبـوم قليـل الصفحـات، وأجـرى بيـن صفحاتـه، فلـم أجـد شـخصاً واحـداً، لا أحـد مـن الجيـران، لا أحـد مـن الأقـارب، لا أحـد مـن زمـلاء العمـل، إذن لا مفـر مـن مهاتفـة "وليـد".. لا مفـر.

خمـس سـنوات فقـط هـي مـا يفصـل بينـى وبيـن "وليـد" فـى العمـر، لكننـي أشـعر أحيانـاً أنهـا خمسـة عقـود، كـم مـن المـرات منـذ أن كنـت طفـلا اختلـف معـى وتعـارك وانفعـل لأسـباب واهيـة بالفعـل، كـم مـن المـرات كرهتـه فيهـا، كـم من المـرات كرهـت فرضـه لنفسـه علـى حياتـي بدعـوى (سُـلطة الأخ الكبيـر)، ذكـرت لـك أن طبيعـة عملـه كضابـط شـرطة

أكسبته مزيدا من العنف والصلف، لكنني أحتاج فعلياً إلى طبيعة عمله تلك، أحتاج الآن إلى ضابط شرطة بجوارى، أحتاج إلى البدلة الميرى التي ستنتشلنى بكل تأكيد مما أنا فيه، أحتاج إلى "وليد"، الذى لن يرد علىَّ حتما.. لأنه قرر مقاطعتى منذ شهور .

المعادي- البساتين – قسم مدينة نصر ثان

المعادي فى العموم حى راق، معظم سكانه من علية القوم، وتلك الشريحة من البشر تجدها فى الأغلب متأففة، مترفعة، متسقة مع ذاتها تماماً، وتعلم قدر نفسها تماماً، فاهمة لما يدور حولها، يولد كل منهم وفى يده خريطة صغيرة ترشده إلى الكتف ومن أين تؤكل، يعملون فى شركات ضخمة أو وظائف حكومية رفيعة، ينشئون العديد من المشاريع التي تنجح بكل تأكيد، لأن أصحابها من سكان المعادي، تقرر الحكومة أن تضمهم إلى محافظة حلوان الوليدة فيثورون ويحتجون وينظمون الوقفات الصامتة لا لشيء غير (البرستيج) الذى يمنعهم من الاقتراب من الناس (البيئة)، يظهر عندهم شاب أخرق يستهدف البنات متحرشاً فيطلقون عليه لقب (السفاح) ويستحثون الحكومة لتقبض عليه سريعا خوفاً على بنات الذوات من غدره، فيحدث لهم ما تمنوا وتجد الحكومة هذا السفاح سريعاً..، ورغم التصاق المعادي بحى البساتين الشعبى،

ورغـم احتـواء المعـادي علـى مناطـق (العـرب- شـارع أحمـد زكـى- شـارع حسـنين دسـوقى- شـارع 77 - فايـدة كامـل)، إلا أن معظـم أهـل المعـادي يتناسـون ذلـك تمامـا ويقـررون التركيـز مـع (دجلـة- السـرايات- شـارع النصـر- الثكنـات- شـارع 9) وغيرهـا مـن المناطـق المتميـزة.

ولأن طبيعـة أهـل المعـادي لا تقبـل الخسـارة فقلمـا تجـد بينهـم زملـكاوي، الكثيـر والكثيـر جـداً مـن البشـر رجـالاً ونسـاء يمـلأون جنبـات المعـادي ليـل نهـار، ملاييـن الكلمـات تخـرج مـن أفواههـم يوميـاً عـن الكـرة وسـحرها، والقليـل جـدا مـن مشـجعى الزمالـك ومحبيـه، هـذا مـا يخلـق منـى أقليـة بائسـة تعيـش وسـط غابـة حمـراء لا ترحـم، لهـذا أهـرب إلـى (ميـت عقبة)يوميـاً، فهـي المنطقـة الأكثـر بياضـاً فـى مصـر، أهـرب لأجـد فيهـا السـلوى والرفقـة، أهـرب لأجـد فيهـا أناسـاً يشـبهونني، لكننـي أعـود مضطـرا لبيـت يملـؤه الأهلويـة، داخل عمـارة لا يوجـد بهـا زملـكاوي غيـرى، فـى شـارع يسـكنه سـبعة زملكاويـة علـى الأكثـر، فـى حـى يرفـرف فـى سـمائه شـيئاً واحـداً، علـم النـادي الأهلـى.

لكننـي مـع الوقـت صـرت أكثـر شـجاعة، واجهـت قـدري متسـلحا بزملكاويتـى، كنـت أنـزل مـن بيتى أيـام مباريـات الزمالك وأعـود إليـه مرتديـا قميـص الزمالـك بـكل إبـاء وفخـر مهمـا كانـت نتيجـة المبـاراة، أجلـس علـى كافيـه فـى المعـادي وحيـداً مشـجعاً

الزمالـك متلقيـا آلاف النظـرات السـاخرة والمتحسـرة علـى شـبابي الـذى سـيضيع- مـن وجهـة نظرهـا- علـى فريـق لـن يكسـب أبـداً.. لكننـي أبقـى دومـاً حريصـا علـى زملكاويتـى، محافظـاً علـى عذريتهـا، مدافعـا عنهـا حتـى الرمـق الأخيـر.

أحب المعادي رغم أنها لم ترحمنى أبداً

وكمـا ذكـرت لـك فقـد خضـت العديـد والعديـد مـن المعـارك الداميـة بسـبب السـخرية مـن زملكاويتـى، وبطبيعـة الحـال لـم تكـن معاركـى تلـك تلـق أى قبـول أو استسـاغة مـن أسـرتي، وخاصـة "وليـد" الـذى كان يعاملنـى بقسـوة وفجاجـة شـديدة بعـد كل معركـة أخوضهـا، مـن بـاب أننـي سأسـبب لـه يومـا حرجـاً بالغـاً وذلـك قطعـاً بسـبب وضعـه المهنـي المتـأزم، وصحيـح أننـي أتفهمـه تمامـا، لكننـي كنـت أتمنـى أن يبادلنـى هـو يومـا نفـس التفهـم وأن يقـر ويعترف بـأن إيمانـى بالزمالك أهـم كثيـراً مـن صـف الدبابيـر التـي يحملهـا فـوق كتفيـه، لكنـه أبـداً لـم يفعـل، وأنـا لـم أعـد أقـوَ علـى مجادلتـه، فبيـن السـياط المتتاليـة التـي أتلقاهـا مـن زملكاويتـى و"شـيماء" وضغـط العمـل علـى أعصابـي، لـم أكـن لأتحمـل أبـداً سـوطاً جديـدا يدعـى "وليـد"، أبـداً .

فـى أواخـر عـام 2009، وقـت أن كنـت أسـتمتع بجسـد "شـيماء" فـى منطقـة منعزلـة بالمعـادي، عبـر عـدد لا بـأس بـه مـن القبـلات واللمسـات الحانيـة، كانـت متألقـة ومتجاوبـة

للغايـة يومهـا، وكنـت أشـعر برغبـة قاتلـة فـى التهامهـا التهامـاً، حـدث أن ظهـر فجـأة شـابان، قـالا أنهمـا مـن رجـال الأمـن، حـاولا التحـرش بنـا وسـبَاها بألفـاظ نابيـة ممـا أثـار رجولتـى، أمرتهـا بالابتعـاد وتوجهـت لهمـا بثبـات، متحسسـا الـ Electric chock التـي أحملهـا أحيانـاً فـى حزامـي، وبعـد معركـة داميـة بحـق، خسـرت فيهـا إحـدى أسـنانى، وأصبـت فيهـا بجـرح غائـر فـى الكتـف الأيمـن، ونجحـت فـى إصابـة كليهمـا إصابـات بالغـة، انتهـت المعركـة بعـدد لا بـأس بـه مـن المحاضـر التـي كنـت فيهـا المتهـم. التشـاجر، فعـل فاضـح بالطريـق العـام، التعـدي علـى موظفيَـن عمومييـن أثنـاء تأديتهمـا لوظيفتهمـا، هتـك عـرض أنثـى!!، الـخ...

وكالعـادة جـاء "وليـد" لينقذنـى، لكنـه جـاء يومهـا وقـد بلـغ منـه الغضـب مبلغـه، خصوصـا بعـد معرفتـه بسـبب المشـاجرة، وتأكـد مـن أننـي كنـت ألهـو بجسـد الفتـاة، فهـب الشـابان لتربيتـى وتأديبـى، رأيتـه يومهـا كمـا لـم أره مـن قبـل.

دخـل قسـم البسـاتين بخطـوات متعجلـة، تحـدث للحظـات مـع أميـن الشـرطة الـذى كان يسـتعد لفتـح المحضـر، فتوقـف القلـم فـى يـده، توسـم القـوة والسـطوة فـى أحـد الشـابين فأخـذه إلـى الخـارج، ليعـود ويأخـذ صديقـه ويرحـلا بعـد إجـراء الصلـح، وينتهـي كل شـيء فـى لحظـات.. وبعينيـن حمراويـن تمامـاً مـن أثـر الإرهـاق وربمـا الغضـب نظـر لـي

"وليـد"، ثـم صفعنـى علـى وجهـي أمـام الجميـع بـدون مراعـاة لأى شـىء، حاولـت أن أرد كرامتـى فلـم يعطنـى فرصـة، حاولـت أن أسـتردها عندمـا عدنـا للبيـت حتـى إننـي حاولـت صفعـه مثلمـا صفعنـى - لأول مـرة فـى حياتـي- فعاجلنـي أنـا وأبـي وأصـدر بيانـا أعلـن فيـه أنـه لـن يتدخـل فـى شـؤونى مـرة أخـرى، وأنـه مـل، وأنـه يلعننـى فـى كل يـوم، وأنـه، وأنـه.. إلـخ، وعبـأ حقيبتـه بالملابـس، وانسـحب مـن المنـزل فـى خفـة، عرفنـا أنـه لبـث عنـد صديـق لـه فـى المعـادي لأيـام قليلـة، ثـم عـاد للمنـزل بعـد أن هـدأ، وانتهـت علاقتنـا علـى هـذا النحـو.

فـرد الأولتـراس الحقيقـى يتحلـى بسـمات الرجولـة ولا يهاجـم أحـدا إلا إذا هاجمـه ولا يتعـدى علـى أحـد إلا إذا أهـان رمـزا أو شـعارا أو فـردا مـن أفـراد المجموعـة أو النـادي، فنحـن نحتـرم معتقداتنـا ومقدسـاتنا التـي تحتـم علينـا عـدم إهانـه الآخـر أو السـخرية مـن لونـه أو عقيدتـه، لذلـك نتسـم دومـاً بصفـات الرجولـة التـي تحتـم علينـا عـدم التكالـب علـى فـرد مـن مجموعـات الخصـم لمجـرد أنـه يمشـى وحـده.. فنحـن نهاجـم فقـط مـن يتعـدى علينـا ونظهـر أنيابنـا الحقيقيـة فقـط فـى مواقـف الرجـال.

السـطور السـابقة يعرفهـا كل فـرد أولتـرا زملـكاوي، مـن خـلال المقـال الأشـهر للمجموعـة والـذى يحمـل عنـوان (ثقافـة وعقليـة الوايـت نايتـس)، وهـو المقـال الـذى أحفظـه عـن

ظهـر قلـب، فهـو كالدسـتور الـذى أسـير مهتديـا بـه مسـتندا عليـه، ولهـذا فقـد كنـت أثـق حيـن أمسـكت بطـرف قميـص الزمالـك لأمسـح بـه نقـاط الـدم الغزيـرة التـي تناثـرت علـى سـاعدى ورأسـى بأنـى وزملائـى الزملكاويـة الذيـن شـاركونى معركـة الديربـى لـم نكـن مخطئيـن فـى تلـك المعركـة، وأن الأهلويـة هـم مـن بـدأوا الاعتـداء، لأننـا لا نبـدأ بالعـراك أبـداً، ولهـذا كنـت مطمئنـا إلـى حـد بعيـد إلـى أن العواقـب لـن تزيـد عـن محضـر تشـاجر عـادى وسـنخرج بعـده جميعـا أهلويـة وزملكاويـة إلـى العالـم الرحـب، لنواجـه مصائرنـا فـى أمـور حياتيـة أخـرى.

حاولـت مـراراً أثنـاء توجـه البوكـس بنـا إلـى القسـم مهاتفـة "وليـد"، لكـن هاتفـه المحمـول كان غيـر متـاح لسـبب مجهـول، ولـدى وصولنـا إلـى القسـم كان الجميـع يعلـم أن الأمـر لا يزيـد عـن احتـكاك عـادى بيـن مجموعـة مـن الشـباب وسـينتهي سـريعا كمـا بـدأ.

ومنعـاً لأيـة احتـكاكات جديـدة فقـد فصلـوا الأهلاويـة عن الزملكاويـة وجلسـت مـع مجموعـة مـن إخوانـى الزملكاويـة فـى غرفـة منفصلـة بالقسـم، وهـو مـا خفـف الوطـأة قليـلا عنـى حيـث اعتبـرت أننـي فـى بنسـيون أو أننـي سـأقضي ليلتـى عنـد صديـق فقيـر الحال..كمـا إنهـا كانـت فرصـة لإخوتـي وزمـلاء الزنزانـة ليسـاعدوني علـى تضميـد جراحـي

إيقافاً للنزيـف، كان دخولنـا هـذا المـكان أمـراً طبيعيـا للغايـة إلـى أن يسـتدعينا الضابـط ليعـرف منـا مـاذا حـدث بالتفصيـل.

كانـت الغرفـة رحبـة (تسـع لخمسـين علـى الأقـل مـن البشـر)، يعيبهـا ألا شـبابيك لهـا فكانـت خانقـة قليـلا، بابهـا الخشـبى الوحيـد قـد يغـري أى شـخص بالتفكيـر فـى الهـروب، لكننـا لـم نجسـر علـى فعلهـا إطلاقـا.. تحدثـت مـع الرفـاق عـن بسـاطة الموقـف، خاصـة أن الموضـوع يمكـن إنهـاؤه بمكالمـة هاتفيـة، أو محضـر صلـح، وكلاهمـا أمـر بسـيط لا يسـتدعي أكثـر مـن ضامـن يأتـي ليأخـذك مـن هنـا.. ولتخفيـف حـدة الموقـف ذكرتهـم بالمبـاراة ومـا حـدث فيهـا، وكيـف أن "أحمـد غانـم سـلطان" لاعـب فريقنـا أضـاع المبـاراة منـا بسـبب عـدم تركيـزه، وتحاورنـا لدقائـق، ثـم غنينـا بصـوت خفيـض بعضـاً من أغانـى الأولتـراس فـى المدرجـات.. وقـال أحـد رفقـاء الحجـز إن أكثـر الأغانـى ملائمـة لحالنـا هـي (انصـر يـا رب الأبطـال) وهـي أنشـودة جميلـة وشـهيرة لنـا.

حوارنـا معـاً كان يهـدئ مـن روعـى- وروعنـا جميعـاً- فعـلا، إلا أن المشـكلة التـي لا يمكننـى نسـيانها هـي أننـي لا أسـتطيع العثـور علـى أى مـن معارفـى وبالتالـى قـد لا أخـرج مـن هنـا الليلـة، لكننـي حمـدت ربـي أن بطاقتـي الشـخصية التـي قمـت بتحديـث بياناتهـا بعـد تـرك "وليـد" للمنـزل، تحمـل عـدداً لا بـأس بـه مـن المعلومـات التـي قـد تسـاهم فـي خروجـي مـن هنـا، دجلـة/ المعـادي/ فودافون.

كان الوضـع مسـتقراً للغايـة، والأجـواء هادئـة، وكان الـكل فـي انتظـار دوره، إلـى أن دخـل علينـا مخبـر حـاد النظـرات، تفحصنـا جيـداً، وبمـا أننـي كنـت الأقـرب للبـاب فقـد اقتـرب منـي ثـم أمسـك بـي مـن قفـاي وسـحبني كالبهائـم إلـى الخـارج، عرفـت مـن خـلال حروفـه التـي تخـرج مـن فمـه أننـي كنـت أول زملـكاوي علـى القائمـة، حاولـت التملـص منـه لكنـه كان قويـا بحـق رغـم نحافتـه الشـديدة، حاولـت أن أنفعـل وأثـور عليـه لكنـه كان يخرسـنى بضرباتـه الموجعـة وصوتـه الجهـورى، كان يسـب كـرة القـدم والزمالـك والأهلـي و"حسـام حسـن" وكل شـيء معلنـا أن الورديـة (مـش ناقصـة أرف)، تمـزق قميصـى تمامـاً، رمانـي كمـا ترمـي أنـت قمامتـك بـلا اهتمـام لأسـتقر علـى حائـط تعلـوه لافتـة تقـول إن خلـف هـذا الحائـط يجلـس (رئيـس مباحـث القسـم).. انتظـرت أمـام الغرفـة قليـلا لأجـد شـابا أهلاويـاً يتـم ركلـه إلـى خـارج الغرفـة مشـفوعاً بجملـة رنانـة مـن المخبـر الـذى ركلـه مـن الداخـل إلـى الخـارج :

- مشوفش سحنتك هنا تانى يا روح أمك .

وهكـذا، خـرج الشـاب الأحمـر إلـى الحريـة، ثـم جذبنـى المخبـر الخـاص بـى مـرة أخـرى ليدخلنـى إلـى السـيد رئيـس المباحـث، ويبـدأ التحقيـق .

ثالث رُبع ساعة
« كـارت أحمـر »

قسم مدينة نصر ثان

(شلوت) عنيف من الخلف طال الخصيتين

كانت تلك هي الطريقة التي أدخلني بها المخبر إلى مكتب الباشا الضابط، وكان هذا مؤلماً بحق، مفاجئاً بحق، قوياً بحق، حتى إنني طرت للأمام ما يقرب من مترين لأرتمي أسفل المكتب الوحيد بالغرفة، وترتطم رأسى بحافته، ويتسبب ذلك فى جرح جديد، قمت مسرعاً، ململماً شتات نفسي، واستدرت لأواجه المخبر الذى فعل بى ذلك مرتسمة على وجهي آيات شيطانية لعينة لو رآها أعتى العفاريت لفر هارباً.. لكن المخبر العتيد المتمرس المتمكن لم يطرف له جفن، وقف ثابتا فى تحد واضح لشخصى، سببته بالأم، وضربته في صدره ضربة شرسة أعلم يقيناً أنها مؤلمة، لم يبدو أنه تأثر كثيراً واستمر في ضربي وركلي.

كانت (الأنا) فى أوج توهجها لدي، لكن يبدو أنني لما سببته بأمه قد أثرت حفيظته بشدة، فهجم على ضارباً إياي بعنف شديد.. بادلته الضرب و السباب وسط تأوهي، وتدخل الضابط بعد ثوان بصيحة أعتقد أنها أوقفت المرور فى الشارع أسفل القسم، متسائلا :

- إنت بتمد إيدك عليه أدامي يا.... أمك؟!.

كان السـؤال والسـباب موجهيـن لـى بالطبـع، فـرددت عليـه بـكل حـزم وثقـة:

- لما يتعامل مع الناس كده.. يبقى أضربه بالجزمة.

العمرانية الغربية

سـهر "محمـود" ليلتـه مـع ولديـه "أحمـد" و"خديجـة" وزوجتـه "صفـاء" وهـم يتابعـون فيلمـاً شـديد الدمويـة لسـتيفن سـيجال علـى إم بـي سـي 2، وأثـر الفيلـم علـى معنوياتـه كثيـراً، فأمـر ابنـه طالـب المرحلـة الإعداديـة وابنتـه طالبـة دبلـوم التجـارة، أن يُكمـلا مـا تبقـى مـن طبـق البيـض الـذي أمامهمـا، ثـم يذهبـا لغرفتهمـا، وأخـذ زوجتـه مـن يدهـا، ودخـلا إلـى غرفتهمـا الضيقـة، ضاجعهـا حتـى ارتـوى، ونـام هـو الآخـر مسـتريحاً.

وفـي الصبـاح تلـت عليـه "صفـاء" مجموعـة مـن الطلبات التـي تحتاجهـا للمنـزل، ثـم دعـت لـه بـأن يبعـد عـن طريقـه (ولاد الحـرام).

- لو ولاد الحرام بعدوا عني، مش هناكل عيش يا ولية

قالهـا بصـدق، فهـو مخبـر بقسـم شـرطة مدينـة نصـر ثـان، راتبـه فـي الداخليـة أحقـر مـن أن يتـم ذكـره، لـذا فـإن أكل عيشـه يرتكـز علـى (المصالـح) التـي يُجيـد إخراجهـا

مـن جيـوب المتعامليـن مـع القسـم ليـل نهـار، شـخص يُحـرر محضـراً، أم تـزور ابنهـا المحبـوس، ضابـط يريـد علبـة سـجائر وكارت شـحن، مسـجون يريـد الفاكهـة التـي يرسـلها لـه أهلـه فـي الزيـارة.. وهكـذا.

كان "محمـود" شـديد الحنكـة فـي هـذه الأمـور، يُمكنـه إخـراج القـرش (مـن الهـوا) كمـا يقـول دومـاً، وهـو يعـرف جيـداً أن الثلاجـة والـدِش والتلفزيـون الـ 40 بوصـة فـي شـقته، والتكييـف الصغيـر فـي غرفـة نومـه، كلهـا أتـت كمصالـح فـي الأسـاس بسـبب خبرتـه الواسـعة وشـبكة علاقاتـه المتشـابكة فـي دهاليـز وزارة الداخليـة، وأن دعـوة كالتـي قالتهـا "صفـاء" لتوهـا، تعنـي ببسـاطة أن يخلـو جيبـه تمامـاً وأن يعيـش وأسـرته كالمتسـولين.

خـرج مـن بيتـه مقبلاً زوجتـه، قائلا لهـا (كلمتيـن حلوين)، محتضنـاً أطفالـه ومداعبـاً إياهـم، كان قـد حـرص علـى أداء صلاتـه قبـل النـزول مباشـرة، لكـى يبـارك اللـه لـه فـى طريقـه، مشـى جـاداً فـوق أكـوام القمامـة ولتـرات الميـاه الآسـنة حتـى وصـل إلـى شـارع (الثلاثينـي) المحـوري بالعمرانيـة، سـلَم علـى هـذا وذاك، وسـب أحدهـم بأمـه، كمـا لـم ينـس المـرور علـى موقـف التكاتـك القريـب ليسـب الديـن "للـواد معتصـم" الـذي تأخـر فـي سـداد يوميـة التـوك تـوك الـذي يمتلكـه "محمـود" مطالبـاً إيـاه بالخمسـين جنيـه.

اتهـم "الـواد شـريف الملـزأ" بالشـذوذ، عاكـس فتـاة ترتـدى عبـاءة سـوداء بعـد أن ألهـب خيالـه مـا قـد يكـون تحتهـا مـن مفاتـن.... وجـدَّ فـى سـيره متجهـا إلـى موقـف الميكروباصـات المتراصـة خلـف بعضهـا البعـض لتسـد قـدرا ليـس باليسـير مـن الشـارع.. تلـك العربـات التـي تحمـل ماركـة موحـدة وهـى إلترامكـو والتـي ينطقهـا الجميـع (رامـا)، ركـب بجـوار السـائق فـي هـذا اليـوم، ودفـع الأجـرة المقـررة علـى غيـر عادتـه، فـكل سـائقو الموقـف يعرفونـه ولا يطلبـون منـه الأجـرة علـى الإطـلاق خشـية كارنيـه وزارة الداخليـة وسـطوة "محمـود" وهيبتـه فـى العمرانيـة كلهـا.

وكعادتـه أيضـاً بـدل صاحبنـا ثـلاث مواصـلات حتـى وصـل مقـر عملـه فـى قسـم مدينـة نصـر ثـان.. طلـب مـن أحـد المجنديـن أن يُحضـر لـه بيضـاً مسـلوقاً ضمـن إفطـار اليـوم، فقـد كان يشـتهيه بـلا سـبب معلـوم... ثـم دخـل الحجـز، وأيقـظ "هانـي سـافوريا" ضيـف الحجـز شـبه الدائـم، وأخـذ منـه علبـة مارلبـورو أحمـر وعشـرين جنيهـاً كانـت بحوزتـه، كمـا أخـذ (سـنة أفيـون) كان قـد أحضرهـا لسـجين آخـر مسـاء أمـس بعـد أن (هفـه كيفـه) علـى الأفيـون.

كان يعلـم أن اليـوم سـتقام مبـاراة الأهلـي والزمالـك، ممـا يعنـي أن المنطقـة سـتكون مشـدودة بسـبب زيـارة السـيد اللـواء مديـر الأمـن للمنطقـة، والتـي يبدأهـا قطعـاً مـن قسـم

مدينـة نصـر ثـان، لـذا فقـد حـرص علـى أن ينتهـي مـن إفطـاره سـريعاً قبـل أن يتجـه برفقـة (البلوكاميـن) إلـى مكتـب السـيد رئيـس المباحـث ليعلـم كلاً منهمـا طبيعـة المهمـة المكلـف بهـا فـي مثـل هـذا اليـوم الحافـل.

كان يعلـم أن (عمـرو بيـه) رئيـس المباحـث، سـيذهب للاسـتاد بـلا شـك برفقـة مديـر الأمـن، لكـن "محمـود" كان يتمنـى ألا يرافقـه فـي هـذه الرحلـة، فهـو لا يُفضـل الخـروج مـن القسـم، كان يـود لـو أن يبقـى هنـا ليشـاهد المبـاراة فـي التليفزيـون اسـتغلالا للهـدوء الأمنـي الـذي سـتحدثه المبـاراة فـي دائـرة القسـم بـكل تأكيـد.

كان "محمـود" يريـد الاسـترخاء وتجميـع طاقته اسـتعدادا لتبعـات المبـاراة، هـو ليـس بالكسـول، يحـب عملـه فعـلاً، ولأنه رجـل مؤمـن يـؤدى فرائـض اللـه بانتظـام، فهـو يـؤدى عملـه الـذى يتطلـب منـه إيـذاء خلـق اللـه فـى كرامتهـم وإهانتهـم باسـتمرار علـى أكمـل وجه.

- أى عمـل هـذا الـذى يسـمح لإنسـان أيـا مـن يكـون بإهانـة أخيـه الإنسـان علـى هـذا النحـو؟
- أى عمـل هـذا الـذى يتـرك شـخص مـا بيتـه وأسـرته ليسـحل ويسـب ويضـرب خلـق اللـه فيـه؟ أى وظيفـة تلـك؟!!
- أى لعنة قد تحل علينا لو كثر أمثال هذا الشىء بيننا؟؟

قسم ثان مدينة نصر.. من جديد

كـور المخبـر يـده فـى لحظـة وضربنـى بهـا أسـفل ذقني.. ضربـة قويـة تحمـل الكثيـر مـن الغـل، ليرتطـم فكـي السـفلي بالعلـوي، عاصريـن بينهمـا لسـاني الـذى بـدأ ينـزف بعـد هـذه الضربـة، ضربـة موجعـة للغايـة أسـالت دموعـى رغمـا عنـى، مشـفوعة بألفـاظ أكثـر إيلامـاً فـى حـق أهلـي قالهـا كلاهمـا، لكننـي لـم أقـو علـى الـرد فقـد وقفـت مكانـى مـن الألـم.. بادرنـي الضابـط بأنـه سيُضيع مسـتقبلي وسـيحرر لـي محضـرا رسـميا بالاعتـداء علـى موظـف أثنـاء تأديـة وظيفتـه.

تركـت الضابـط الشـاب يتحـدث ويتحـدث، وسـرحت بخيالـى عـن هـذا الموظـف الـذى يعمـل فـى قسـم مدينـة نصـر، هـذا المخبـر القاسـى، تبـدو علـى ملامـح وجهـه أنـه مـن مثـل تلـك المناطـق الشـعبية التـي تحتـم ظروفهـا الماديـة علـى أهلهـا أن يحيـوا بطريقـة صعبـة.. كان هـذا الجـلاد رفيعـا كعـود القصـب، لـه شـارب رفيـع يعلـو شـفتين تقفـزان خـارج حـدود وجهـه لتعطيانـك إحساسـا أنـك تواجـه شـخصًا شـرهًا، يرتـدى قميصـاً واسـعاً مفتـوح الصـدر كحلـى اللـون، وبنطلونـاً قماشـياً بنـى اللـون، وينتعـل حـذاء جلديًـا أسـود شـديد النحافـة مـن الأمـام.. لـه دبلـة فـى خنصـر يـده اليمنـى، ودبلـة شـبيهة غارقـة فـى دمـي تلتـف حـول بنصـر يـده اليسـرى...

يقف لاهثا واضعا يديه حول خاصرته، يغرق العرق بشرته الخمرية التي لفحتها الشمس، ينتظر مثلى تماما انتهاء الضابط من حديثه، ليشعر بلذة الانتصار على أمثالى من المتعلمين المتعالين.

كان الضابط ثرثارا بحق.. وقف على مكتبه الذي تتصدره لافتة أشارت إلى اسمه...وضع كفيه على حافته مستنداً عليهما، ليعطينى درسا فى معاملة رجال الشرطة وفي أن شكلي ابن ناس و"مش حمل بهدلة".. وهو كلام لا أعبأ به مطلقا فى الحقيقة.

رأسى تنزف من أعلى من جراء المعركة، وجبهتى تنزف من جراء الارتطام بالمكتب، وأكاد أقطع ساعدى بسبب الألم الذى يسببه لى، بعد الحجر الذي تلقيته فى المعركة، وأشعر أن لسانى قد قطع فعلا بعد اعتصاره بين فكيَّ.. وعقلى يفكر ويفكر فى سبب وجودى فى هذا المكان.. مستمعا لهذا الشخص الذى يقاربنى عمريا ويتعامل معى على أنني سفاح النساء.. ويؤكد لى مع كل حرف يخرج من فمه وكل إشارة من جسمه أنني سأرى الويل.. سأتمنى لو لم أولد!!.

طلب منى إفراغ جيوبى وإخراج بطاقتى.. ففعلت.. لم يكن معى شىء باستثناء علبة سجائر مهشمة، وبضع

عشـرات مـن الجنيهـات أحملهـا فـى جيبـي الخلفـى، ومحفظتى التـي كانـت جديـدة مـن أيـام لا تحـوي سـوى البطاقـة وإثبـات الشـخصية فـى العمـل وكارت ائتمـان أتلقـى مرتبـى مـن خلالـه كل شـهر، أخـذ الضابـط بطاقتـى، قـرأ محتوياتهـا بـلا عنايـة.

- انت بتشتغل في أنهي داهية تاخدك في فودافون؟
- فرع كورنيش المعادي... أجبت
- بقالك أد إيه؟
- ست سنين تقريباً

بـدا شـارداً للحظـات، ثـم بـدأ فـى ترديـد كلمـات سـخيفة لا معنـى لهـا عـن أننـي أبـدو ابـن نـاس، فلمـاذا أهيـن نفسـي مثـل هـذه الإهانـات.. حقيقـة الأمـر أننـي كنـت أرد عليـه الكلمـة بالكلمـة، عـرف أن أبـي مهندس بتـرول بشـركة محترمة، والأهـم أنـه عـرف أن أخـي الأكبـر يعمـل ضابـط شـرطة... سـأل عـن "وليـد"، وأيـن يعمـل، ووضـح علـى قسـماته أنـه بـدأ فـى الهـدوء لمـا عـرف أن أخـي ضابـط مثله، صحيـح أنهمـا لايعرفان بعضهمـا البعـض، وصحيـح أننـي قـد أكـون كاذبـاً بهـذا الشـأن، لكننـي أعتقـد أن الثقـة الباديـة فـى حروفـى جعلتـه يصدقنـى. رن هاتفـه، فأخـذه خارجـاً مـن الغرفـة، ورد عليـه بصـوت خفيـض:

- أيوة يا حبيبي..

عـاد إلينـا بعـد برهـة، جلـس إلـى مكتبـه وكنـت أتوقـع أن يبـدأ فـى ممارسـة عملـه بصـورة طبيعيـة، لحظات وسـمعت نغمـة هاتفـي المحببـة، النغمـة التـي أخصصهـا لــ"وليـد"، فأعطيـت الهاتـف للنقيـب "عمـرو".. شـاعراً أخيـراً بـأن الأمـر انتهـى.

علمـت أنـه فـي قسـم الوايلـي، وأن المسـافة بيـن القسـمين لـن تأخـذ منـه أكثـر مـن رُبـع سـاعة فـي مثـل هـذه السـاعة المتأخـرة مـن الليـل، ويبـدو أن نبـرة صوتـي لـم تعطـه الفرصـة لأي محـاولات لـوم وتقريـع، فبـدأت فـي الاسـترخاء، مطمئنـاً لمجـئ "وليـد".

وبـدأ النقيـب "عمـرو" فـي معـاودة عملـه الروتينـي بصـورة طبيعيـة وكأن شـيئاً لـم يكـن، فسـألنى عـن المعركـة ومـا دار فيهـا، فشـرحت لـه مـا حـدث تفصيليـا... بدايـة مـن خروجـى مـن الاسـتاد مهمومـا فـى طريقـى إلـى السـيارة وانتهـاء بركوبـى البوكـس الأزرق اللامـع.. مـرورا بالسـباب الجماعـى الـذى اسـتقبلناه كزملكاويـة وشـرح وافٍ للمعركـة بتفاصيلهـا، فاجأنـى عمـرو بحـق حيـن قـال إن الأهلويـة ذكـروا ذات الروايـة لكـن مع عكـس الأدوار.. أى أنهـم قالـوا أن الزملكاويـة هـم مـن بـدأوا بالتشـاجر.. فـرددت عليـه بعصبيـة مـن جـراء الألـم والانفعـال :

- كدابين وولاد... زى الطور اللى ورايا ده.

هاج الضابط.. إتهمنى بالغباء والإصرار على اختلاق المشاكل، ثم أمر "محمود" بإشارة من يده، أن يصفعني مرة أخرى على قفاي... فعلها هذا المحمود.. ضربته بالقلم... فهاج وانفعل بشكل هستيري.

اضرب في أمه بقى لغاية ما أخوه ييجي يستلمه

هكذا أمر "عمرو".. فسحبني إلى خارج الغرفة بعد أن استأذن الباشا بصوت عال لأنه يرغب فى تربيتي، كان آخر ما رأيته فى الغرفة هو الضابط الشاب وهو يضع بطاقتى فى جيبه ويغلق الباب فى وجوهنا، خرجت مدفوعاً، مهاناً إلى طرقة ضيقة، وتكاتف معه اثنان من زملائه أمناء الشرطة، كل منهما كان يضرب بعنف، بقسوة، بحماس شديد، صرخت صرخات متتالية مدوية بسبب الألم والشعور بالإهانة، كنا فى الدور الثاني من القسم، لكن هذا لم يمنع خروج بعض الضباط والمواطنين من أماكنهم وصعود بعضهم من أسفل لاستكشاف ما يجرى.

كانوا يحاولون سحبي إلى الغرفة التي كنت فيها منذ دقائق بين زملائي، لكنني ولسبب مجهول كنت أقاوم بشدة، كنت أحاول البقاء بجوار مكتب الضابط، كانوا يضربوننى بقسوة، زادت لما علموا بسبى وضربي لزميلهم، حاولت التماسك والقيام من جديد، لكنهم لم يسمحوا لى بذلك، كنت أتألم، أصرخ، أركلهم جميعا، ولكن بلا جدوى..

ولمحت فى نظرة خاطفة قميص الزمالك الذى أرتديه وقد تحولت مساحة كبيرة منه إلى اللون الأحمر، وأثناء ضربى وسحلى سرحت بخيالي وقد شارفت على فقدان وعيى، محدثا نفسي !

- حتى التيشرت بقى أحمر.. كده حرام والله .

ارتطمت بالحائط مرات ومرات، نزفت من مواقع عديدة من جسدي... تمنيت لو أن لساني فقد النطق فى تلك اللحظة التي سببت فيها "محمود" أمام الضابط... لكن (الأنا) ذكَّرتنى بمن أكون من جديد.. لعنتها وأخرستها.. زحفت على الأرض محاولا الهرب.. ليلحقوا بى ويمسك ثلاثتهم بى من أقدامي ويسحلوننى مرة أخرى، نجوت من السحل بأعجوبة ما، وقمت جريا لأفتح مكتب الضابط مرة أخرى مستنجدا به:

- هيموتوني.. الحقني يا باشا أبوس إيدك

رميت بنفسي على مكتبه وأنا أنزف من وجهي بغزارة سائلًا عجيبًا يختلط فيه الدم والدمع واللعاب، فامتعض الضابط بشدة ونهرنى، خلفي جاء "محمود" ورفاقه، محاولين سحبي مرة أخرى، أمسكت بطرف المكتب وأوقعت بعض الأوراق وريموت التلفزيون الذى كان يعرض وقتها فيلماً قديما يدعى (المدبح).. وأثناء جرهم لى، جريت بعيني بسرعة على المكتب، فوجدت شيئاً ما قد

ينقذنـى مـن بيـن أنيابهـم، شـيئاً كان بمثابـة الشـمعة التـي قـد تفتـح لـى طريقـا للخـروج مـن هـذا النفـق المظلـم... لقـد رأيـت علـى المكتـب منفضـة سـجائر الباشـا الملقـاة علـى مكتبـه، كانـت علـى شـكل قوقعـة البحـر، أمسـكت بهـا بقـوة فأسـقطت علـى جروحـى ومـا تبقـى مـن ملابسـي بعضـاً مـن محتوياتهـا القـذرة، كنـت متشـبثاً بهـا كمـن يتشـبث بولـده قبـل أن يدهسـه قطـار، هددتهـم بهـا، فلـم يرتدعـوا.

وحدث كل شيء في ثوان معدودة

لـم أشـعر بنفسـي إطلاقـاً وأنـا أدور نصـف دورة بجسـدي وضربـت بهـا أحـد الأمنـاء فـى فكـه ليتهشـم، ثـم ضربـت بهـا وجـه "محمـود" مـرات متتاليـة بـكل مـا تبقـى لـي مـن قـوة، كانـت المنفضـة متوسـطة الحجـم، مدببـة الأطـراف، طالـت أجـزاء منهـا عيـن "محمـود" اليسـرى ففقأتهـا، ليفقـد البصـر بعـد أن فقـد البصيـرة.. لـن أنسـى صرخاتـه النابعـة مـن ألمـه قـط، أرى وجهـه ينـزف.. رأيـت مـا تبقـى مـن عينـه فكـدت أفقـد الوعـى، كـدت أنهـار بسـبب مـا حـدث لـه، فأنـا ورغـم خوضـى عشـرات المعـارك إلا أن (العاهـات المسـتديمة) لـم تكـن ضمـن قائمـة الإيـذاء الـذى أسـببه لمـن يتعـارك معـى، ويبـدو أن انفـلات أعصابـي كان أكثـر مـن الـلازم، أكثـر مـن المطلـوب، فحـدث مـا حـدث، ومـع ذلـك لـم تمنعنـى تصفيـة عينـه اليسـرى، لـم توقـف التدفـق، فتابعـت ضربـه بعنـف، كنـت غائبـا عـن الوعـى تقريبـاً، أحـاول بضربـه أن أسـترد

كرامتي التي مزقها هذا الغبي، أحسست بجمجمته تتهشم تحت وطأة ضرباتى المتتالية... وتختلط كل التفاصيل.

سقوطه على الأرض، صراخه ورجفة جسمه القوية، صراخي، دماء كلينا، أفقد الوعي تدريجياً، ضربات تأتينى من كل مكان، دوران "محمود" على الأرض كالثور المذبوح، شتائم تأتي من كل مكان، جمهور غفير من البشر يتابعون، طلقات رصاص هنا وهناك، أمي تحتضننى أمام بيت الفيل، وتقرأ علىَّ أجزاء من منهج فلسفة الجمال، وجه "ناصر" فى المدرجات وعباءته البيضاء الناصعة، تشجيعه موجه لى هذه المرة، خيالات مهزوزة عن أخته التي اختطفها الجنجاويد، "شيماء" عارية تحتى لأمتعها وأستمتع، "حازم إمام" يدخل بوابة النادي ويهرول نحوى ليوقع على قميصي ويشجعني ويشد من أزرى، "مهدي" يقف أمامي منحنيا كعادته يرص حجر معسل، ويضع البيبسى على رأسى ليبردها ويوقف سيل الدم، "حنين" تدفن رأسي بين فخذيها من جديد وهي تداعب شعري، الكابُو يقف فى الكورفا سود كعادته محرضا جماهير الزمالك العظيمة على الهتاف باسمى، ويأمرنى ألا أستسلم لهم، و"محمود" يتلوى ألما، دارت رأسى، ودار المكان من حولى، أرى عدداً جديداً من مجلة الزمالك كنت أنا على غلافه، شقة نيركو التي أريد فى مدخلها سجادة على شكل كرة قدم، مكتبي في فودافون، أغانى المدرجات تتردد فى رأسى، "حسام

حسـن" يشـير إلـيَّ بعلامـة النصـر، الأولتـراس يقفـون صفـاً واحـداً أمامـي لتحفيـزى، كارت أحمـر يشـهره حكـم فـى وجهـي ليطردنـى، فتصفعـه أمـي علـى خـده، ويشـهر "وليـد" سـلاحه فـى وجهـه، صفعـة جديـدة أتلقاهـا، عشـرات الأيـدى تحمـل "محمـود" خـارج الغرفـة، ومثيلتهـا تضربنـى، أجلـس وحيـدا فى مدرجـات ملعـب حلمـى زامـورا، أنـزف المزيـد والمزيـد مـن الدمـاء، ويغـرق قميـص الزمالـك الممـزق فـى اللـون الأحمـر القانـى.. لـون الـدم، كانـت تلـك هـي اللقطـة الأخيـرة، وأفيـق بعدهـا لأجـد كل شـىء قـد انتهـى.

المستشفى- السجن

بعـد وقـت يَصعـب تحديـده وجـدت نفسـي بعدهـا مقيـداً بكلابشـات حديديـة، راقـدا علـى سـرير صـدئ، داخـل مستشـفى حكومـي عفـن، اسـتغرقت الكثيـر مـن الوقـت لأسـتوعب هـذا الموقـف فـى البدايـة، ثـم اسـتوعبته جيـداً عندمـا تـم التحقيـق معـى لمـا يقـرب مـن السـاعتين، كان وكيـل النيابـة شـاباً واعيـاً ومتفهمـاً، لكنـه كان يـؤدى عملـه، كان متفهمـاً لموقفـي، لكنـه وكالعـادة لـم يسـتطع أن يعطينـى مبـرراً لارتـكاب الجريمـة، والحقيقـة أن هنـاك لائحـة طويلـة مـن التُهـم كانـت بانتظـارى، وهـو مـا زاد مـن حيرتـى وتوتـرى أثنـاء التحقيـق، لكننـي كنـت حريصـاً أشـد الحـرص علـى قـول الحقيقـة كاملـة، بـلا رتـوش، بـلا زيـادة أو نُقصـان.

عرفـت مـن وكيـل النيابـة أننـي أُصبـت بارتجـاج فـى المـخ وكسـور وشـروخ متفرقـة فـي أنحـاء جسـدي، الحقيقـة أننـي كنـت خائفـاً للغايـة فـى أول الأمـر، فمـاذا سـيحدث لـي فـي العمـل؟، كيـف سـيكون شـكل مسـتقبلي؟ ماهـو موقـف أسـرتي مـن ذلـك؟ كيـف سـيكون مسـتقبل "وليـد" تحديـداً؟ لكننـي قـررت بعـد سـاعات أن أُسـلم أمـري للـه، فقـد قـدر اللـه ومـا شـاء فعـل.

بعـد انتهـاء التحقيـق بدقائـق رأيـت أبـي يلهـث وهـو يسـير بيـن جنبـات العنبـر الـذى أرقـد بـه بـلا حـراك، كان يسـتند علـى "وليـد" الـذى كان ينظـر إلـى لأول مـرة بشـفقة لـم أعهدهـا تكسـو ملامـح وجهـه مـن قبـل، لـم أقـو علـى مناداتهمـا، لكنهمـا وجدانـى بسـهولة بيـن زحـام المرضـى.. رأيـت أبـي يجلـس علـى ركبتيـه ذات الجلسـة التـي جلسـها لمـا أحـرز (مجـدي عبـد الغنـي) هـدف مصـر فـى كأس العالـم 1990، لكنـه يجلسـها الآن بعـد عشـرين عامـاً بـداع من الحسـرة والألـم، لا مـن الفرحـة والفخـر، احتضننـى كلاهمـا.. وبكيـت فـى أحضانهمـا مـن المـرارة والخـوف... ارتعشـت لمـا لمسـت خـدى تلـك النجـوم الذهبيـة علـى كتـف "وليـد"، وخفـت علـى مسـتقبله المهنـي الـذى قـد يضيـع بسـبب رعونتـي.. لكننـي نسـيت ذلـك بعـد نظـرات الطمأنـة التـي نظرهـا لـى "وليـد".

التفـت إلـى أبـي لأجـد عينيـه غارقتيـن فـى الدمـوع، تسـاءل أبـي كثيـراً عـن الأسـباب التـي دفعتنـى إلـى ذلـك، واحتـرت بـمَ أجيبـه!! هـل أقـول لـه أننـي تعرضـت لإهانـة واسـتفزاز فـوق طاقتـى بيـن طرقـات القسـم؟ هـل أحكـي لهمـا عـن حنيـن وحكايتـي المخجلـة معهـا؟ هـل أقـول لـه أننـي لـن أقبـل إهانتـى، لـن أقبـل إهانتـه، لـن أقبـل إهانـة أمـي؟ ومـاذا لو سـألنى عـن سـبب دخولـي المعركـة؟ هـل أقـول لـه إن إيمانـى بأمـي- رحمهـا اللـه- يمنعنـى مـن سـماع أى لفـظ خـارج فـى حقهـا وأننـي بالفعـل لـم أحتمـل كل هـذا السـباب؟ هـل أخبـره أن سـب حسـام حسـن يعنـى لـى أن هـؤلاء الرعـاع قـد سـبوك يـا أبـي؟ هـل أقـول لـه أننـي حاولـت بمـا حـدث أن أدافـع عـن كرامـة الزمالـك؟ هـل أقـول لـه أننـي شـعرت أننـي أحبـه للغايـة؟ وأننـي- ولأول مـرة- أثنـاء ضربـى فـى القسـم شـعرت بأننـي أذوب فـى "شـيماء" عشـقا؟ هـل أقـول لـه أننـي لـم أفعل شـيئاً؟.

سـألانى عشـرات الأسـئلة، كان جسـدي يئـن، وعقلـى واهـن، فلـم أسـتطع إجابـة معظمهـا، اقتـرب منـى "وليـد" بهـدوء وطمأننـي بأنـه عيَّـن لـى محاميـاً محترفـاً مـن أصدقائـه وأن القضيـة لهـا مخـارج قانونيـة بـإذن اللـه، وأننـي سـأخرج مـن هـذا المستشـفى قريبـا، فلـم أعـرف بـم أجيبـه... قلـت لـه إن الكلابشـات تعذبنـى، فقـال إنـه سـيحاول أن يتوسـط لـدى جنـدي الحراسـة ليخلعهـا مـن يـدي.. بكـى أبـي وقـت أن كان لسـانه يلهـج بسـؤال وحيـد :

ليه كده يا "مصطفى"؟.. ليه كده يابني؟

وارتمى أبي فى أحضاني وهو يبكى، كان على حافة الانهيار وهو يقبلني، وأفقد أنا قدرتى على التماسك رويداً رويداً... كان صعبا على بحق أن يفقد أبي أعصابه بتلك الطريقة فى هذا المستشفى القذر، والأدهي أنه بسببى... انهمرت الدموع من عيني لما رأيتهما يخرجان من العنبر، رأيت أبي يستند إلى الحائط، و"وليد" يتحدث مع الجندى الواقف على الباب... كانا يزورانى يومياً، يسألاني عما أريد، وأنا لم أكن فى حاجة لأى شىء سوى حضن أمي، وسريرى.. كنت أريد حياتي .

* التعدي على عدد من الموظفين العموميين أثناء تأديتهم لعملهم
* مقاومة السلطات
* القتل العمد

كانت تلك هي قائمة التهم الموجهة إلَيَ والتي استوجبت مبدئيا حبسي أربعة أيام على ذمة التحقيق، ثم زيادتهم إلى خمسة عشر يوماً، قضيتهم جميعاً فى المستشفى، ولما تحسنت صحتي تقرر نقلي محبوساً إلى سجن الاستئناف بعد تجديد الحبس مرة ثانية، تم نقلي هذا داخل سيارة ترحيلات كبيرة، وكان التجربة الأصعب في حياتي على الإطلاق.

ارتديت البدلة البيضاء إياها ليوم واحد حتى جاءني "وليد" في اليوم التالي ببنطلون وتيشرت أبيضان كي لا أرتدي ملابس السجن الخشنة القذرة، (الأنا) كانت تتعذب من جديد، ها هو ابن المعادي يرقد كصندوق قمامة بلا قيمة على تلك الأرضية العفنة، هاهو الموظف المتمرس في فودافون على شفا خسارة تلك الوظيفة بسبب مشاجرة جديدة تضاف إلى سجل مشاجراته، ها هي كل الأحلام والطموحات التي كنت أعيشها قبل أيام قد تمزقت تماما.. ها هي آلامي تزيد من جديد، فأفقد نفسي مرة أخرى بعد أن وجدتها مع الأولتراس، كنت أفتقد (الكورفا سود) كثيراً، كنت أفتقد أبي، "شيماء"، و"هشام".. كنت أفتقد "ناصر" بشدة، كنت أفتقد "وليد".

كان موقفا صعبا للغاية لا يمكنني وصفه، لكن وإحقاقاً للحق كان جميع من في السجن من أمناء وضباط وحراس يعاملونني بشكل جيد، فقد كانوا متفهمين للموقف بشدة، فالتوصيف القانوني للواقعة قد يتحول ببعض المجهود إلى ضرب أفضى إلى موت على أسوأ تقدير.. وكان الكل يعلم جيداً ماذا يمكن أن يفعله أمين شرطة بأي شخص أمامه.

لم استوعب الأمر حتى تم نقلي محبوساً إلى سجن طرة، ويبدو أيضا أن "وليد" قام بالتوصية عليَّ مجددا، حتى أن هناك ضابطا برتبة كبيرة جلس ليستمع إليَّ

بحماس... قال لى إنه بمثابة والدى فقد خدم معه "وليد" فـي (سوهاج) فور تخرجه، كان يتحدث عن "وليد" بحب حقيقى، وقال إنه واثق بأنني تعرضت لضغط عصبى غير طبيعي أوصلنى لتلك الحالة وتلك النتيجة... طلب أن أحكى له الواقعة، فحكيتها بصدق كما حكيتها لك الآن، فحاول الرجل مشكورا أن يطمئننى ويقلل من هول المأساة.. حتى إنه اعترف لى بزملكاويته وسأل عن ماهية الألتراس، وطبيعة فكرهم.

حاولت التماسك فيما تلا ذلك من أيام، وكان يوم زيارتى الأولى هو أصعب الأيام، زارني أبي يومها، كنت أراه لأول مرة فى تلك الصورة، ملابسه غير متناسقة، ذقنه غير حليقة، زائغ النظرات، اطمأن على ودعا لى كثيراً جدا.. ثم زارنى "هشام"، حاملاً لى تحيات ودعوات "شيماء" و "ناصر" وعدد لا بأس به من الجيران ومن مجموعة الـــ (وايت نايتس)، وشرح لى صعوبة موقفهم جميعا وأن لكل منهم سببًا قهريًا يمنعه من الزيارة، كنت متفهماً، لكنني متألم.. شكرت "هشام" للغاية، حملته الكثير من التحيات لكل من سأل علىّ.

وفى موعد زيارتى التالية لم يأتني أحد، وفى مساء هذا اليوم جاءنى الضابط ذو الرتبة الكبيرة ليقول لي: (البقاء لله). فهمت أن لدى حالة وفاة لكنني لم أعرف

مـن، وللحظـات، صمـت الضابـط، وسـرحت أنـا بأفـكاري فيمـن قـد أكـون فقـدت؟.. عرفـت أن الخبـر جـاءه مـن زمـلاء "وليـد" بالأمـس، عرفـت أن أبانـا توفـى بعـد أن ارتفـع ضغطـه فجـأة وهـو جالـس فـى المنـزل مـع "وليـد" ليصـاب بنزيـف فـى المـخ.. ليلحـق بأمـي وينتهـي كل شـىء، عرفـت أن "وليـد" يقـف الآن ليسـتقبل العـزاء فـى أبينـا، سـألت الضابـط عـن ملابسـات إرتفـاع الضغـط للدرجـة التـي قتلتـه؟، وعرفـت منـه أن المحامـي قـد ذكـر لأبـي أن العقوبـة قـد تصـل إلـى 10سـنوات أو يزيـد، حـاول أن يناقشـه فـى كافـة التفاصيـل القانونيـة، فلـم يجـدا حـلا... ذهـب بنفسـه مـع "وليـد" إلـى أهـل محمـود، المخبـر القتيـل، فـى محاولـة لإجـراء الصلـح مقابـل ديـة ماليـة، فلـم يُجـد هـذا معهـم نفعـا.

كنـت أنـا محبوسـاً، وهـو يتـرك شـؤونه كلهـا ليحـاول إخراجـى مـن محبسـى وإنقـاذ مـا تبـق لـى مـن مسـتقبل.. عرفـت أن أبـي يحبنـى بجنـون، عرفـت مـن الضابـط أن معـه رسـالة شـفهية مـن "وليـد" يخبرنـى فيهـا أنـه لا يلومنـى علـى أى شـىء وأنـه استسـلم لقضـاء اللـه.... جاءنـى "وليـد" فـى اليـوم التالـى.. ارتميـت فـى أحضانـه باكيـا معتـذرا.. لكنـه كان صامتـا تمامـاً... ليتـه هـاج.. ليتـه انفعـل.. ليتـه ثـار.. فقـط احتضننـى بقـوة وطلـب منـى التماسـك وقـال لـى إنـه سيسـتمر فـى محـاولات إجـراء الصلـح مـع أسـرة محمـود.. أوصـى علـىَّ فـى السـجن مـرة أخـرى.. وتركنـى لنفسـي لتذكرنـى بمـا فعلتـه بأبـي وأخـي وبهـا، لتعنفنـى وتقطعنـى إربـاً.

أجلس أنا الآن.. داخل سجن المزرعة بطرة فى انتظار جلسة جديدة من المحاكمة، وفى انتظار يوم الزيارة التالى، اليوم الذى سيأتينى فيه "وليد"، ليؤنس وحدتى، ليعاملنى كما كنت أود أن يعاملنى يوما ما كأخي الأكبر.. كرفيق الدرب، كناصح، كمحتضن، أصبحت زيارته هي الشىء الوحيد الذى يشعرنى بالأمل حالياً، أثق تماما في قدرة "وليد" على إنهاء الخصومة بينى وبين أهل محمود، لكنه قال إن مثل تلك الأمور تأخذ وقتا، حتى يستطيع أهله نسيان الجرح الذى سببته لهم... وفوق كل هذا أثق فى ربى، وأعلم أن عقابه يكون دوماً على قدر الفعل... أوقن أن ربي يعلم أنني لست بقاتل، أنني فقط كنت أُدافع عن نفسي.

كنت أنتظر الزيارة التي سيحمل لى فيها "وليد" عددا من الجرائد أقتل بها وقتى، ومنذ ما يقرب من أسبوعين قابلت الضابط صديقي إياه فى السجن بالصدفة أثناء وقت الفسحة، وطلبت منه مجموعة من الأوراق وقلما لأكتب بهم شيئاً أقتل به وقتى.. وافق الرجل وبترحاب شديد، قال إنها طريقة ممتازة لقضاء الوقت حتى أخرج للحرية مرة أخرى، وقال لى إن الأمر لن يطول - بإذن الله - عن أسابيع قليلة.

وهكـذا، أكتـب الآن أوراقـى تلـك، لأعلمـك يـا سـيدى أننـي "مصطفـى أحمـد سـعد الديـن".. شـاب مصـري... زملـكاوي.. أحـب أمـي... وأنفـذ وصيتهـا بحـب العالـم وإفنـاء نفسـي مـع كل مـن ومـا أحـب.. فأحـب أبـي رحمـه اللـه وأقـدره أيمـا تقديـر وأدعـو لـه بالرحمـة والمغفـرة وأطلـب منـه أن يسـامحنى مـع كل صـلاة.. وأحـب أخـي، وأطلـب منـه أن يتفهمنـى ويظـل محتويـا إيـاى مهمـا طـال الزمـن.. وأعشـق صديقتـي التـي ظلمتهـا كثيـراً بغـرورى وعليائـى.. وأُعلمـك أننـي مازلـت أذوب حبـا فـى الزمالـك ككيـان بـكل رمـوزه ونجومـه.. فأنـا شـاب أعشـق تلـك الموجـات الكهرومغناطيسـية التـي تتولـد مـن حركـة الكـرة.. أؤمـن بفريقـى، وأدافـع عنـه فـى أي مـكان وزمـان.. أتلـوى ألمـا حـال الخسـارة، ويُخلـق لـى جناحـان أطيـر بهمـا سـعيداً حـال الفـوز.. وأقبـع الآن فـى هـذا المـكان المنعـزل الكئيـب غيـر نـادم علـى شـيء.. قـد أكـون مصدومـاً.. قـد أكـون مذهـولا.. لكننـي دافعـت عـن الجميـع فلـن أنـدم أبـداً.. ولـن أتراجـع.. أكتـب لـك الآن لأعلمـك بأننـي فخـور للغايـة بكونـى واحـداً مـن القـوام الفعلـى لمجموعـة (أولتـراس وايـت نايتـس) والتـي اسـتطاعت فـى سـنوات أن تجعـل لجماهيـر الزمالـك طعمـا ولونـاً فـي المدرجـات، سـاهمت بجهودهـا فـى نقـل الزمالـك ومشـجعيه مـن خانـة الأقليـات المقهـورة إلـى خانـة العظمـاء... كنـا قبـل الأولتـراس أقـل عـددا.. أقـل تأثيـرا.. نقتـات علـى الفتـات الإعلامـي ولا يلتفـت لنـا السـادة الحمـر، رغـم انزعاجهـم وخشـيتهم الكبيـرة

منـا.. كانـوا يحاولـون تناسـينا بفـرض أننـا سـنأكل أنفسـنا، كانـوا يعاملوننـا نحـن الزملكاويـة علـى أننـا لسـنا هنا...لسـنا علـى السَاحة.. غيـر مطروحيـن للنقـاش.. نحـن الزملكاويـة عـبء ثقيـل تحملـه الملاعـب والاسـتادات، لكننـا كأولتـراس آمنـا بأنـه لـن يقـدر علـى حملنـا سـوى إيماننـا بمـا نصـدق ونقـول... فـرد الأولتـراس الآن يملـك أن يقـول لا بـكل الحـزم، كنـا فـى السـابق لا نملـك سـوى الصمـت، وبعـد ثـلاث سـنوات فقـط أصبـح لنـا ألـف صـوت .

جـاءت مجموعـة (وايـت نايتـس) لتفعلهـا.. تتكاتـف.. تتفاعـل.. تنفعـل.. تجيِّـش الجيـوش للدفـاع عمـا تبقـى مـن الكرامـة المهـدرة، كمـا تحـاول أى مجموعـة وطنيـة فاعلـة أن تعيـد كرامـة هـذا الوطـن الواهـن أو الـذى أصبـح واهنـاً، وتحـاول ببـطء وثبـات صناعـة مجـد جديـد لهـذا الكيـان العريـق وكتابـة السـطور الأولـى فـى كتـاب زملـكاوي جديـد يأتـي بعـد مائـة عـام مـن تأسيسـه.. فطوبـى لهـم جميعـا.

نعـم، لقـد قتلـت "محمـود منصـور محمـود"، لكنـه كان دفاعًـا عـن النفـس، صدقنـي، وصدقنـي أيضـا فـى أنـه كان يسـتحق القتـل لعجرفتـه وتعاليـه علـى إخوانـه مـن البشـر، نعـم ضربـت مجموعـة مـن الأهلويـة، لكنهـم يسـتحقون، لأنهـم مـن بـدأ بالشـجار، وأنـا لا أُخـرج أنيابـي إلا لمـن يسـتفز رجولتـى، إلا لمـن يسـتفز زملكاويتـى.. نعـم ارتكبـت الكثيـر

والكثيـر مـن الأخطـاء فـى حياتـي، لكننـي أُعاقـب عليهـا الآن.. وفـى النهايـة أود أن أقـول إننـي سـأظل فـي أعماقـي فـرد أولتـراس وفـي، مخلـص للمجموعـة وأفكارهـا وقوانينهـا، طـوال فتـرة وجـودى خلـف القضبـان، طالـت تلـك الفتـرة أو قصـرت، سـأمارس كل الطقـوس قبـل وأثنـاء وبعـد كل مبـاراة وكأننـي أمكـث فـى (الكورفـا سـود)، وسـأقاتل مـن أجـل أن أرى كل مباريـات الزمالـك طيلـة فتـرة سـجني.. أود أن أعلمـك أننـي سـأظل مؤمنـاً بزملكاويتـى طيلـة حياتـي.. لكـي أؤكـد للجميـع ولـكل رفقـاء سـجني أننـي لسـت مجرمـاً، وأننـي.. أولتـراس.

مصطفى أحمد سعد الدين

يونيو 2010

صافرة النهاية

بعد مرور ثلاثة أشهر على سجن أخي "مصطفى أحمد سعد الدين"، استطعت أن أجمع العديد من الخيوط في قضيته، كنت أعلم أن قضيته بتوصيفها القانوني الحالي لن تقل عقوبتها عن السنوات الثلاثة على أقل تقدير، لهذا كنت أحاول جاهداً أن أستغل شبكة علاقاتي وأن أضع كل خبرتي القانونية لأخلصه من مأزقه.

ولهذا جمعتني جلسات طويلة مع معارفه وأصدقائه وزملائه، وفهمت وتأكدت بعد جهد ليس باليسير أن "مصطفى" مجرد عضو من آلاف الأعضاء في مجموعة أولتراس، لكنه ليس بمجرم، وأن تعديه على مجموعة من أمناء الشرطة والمخبرين داخل قسم مدينة نصر ثان في هذا اليوم المشؤوم لم يكن أبداً لأي غرض سوى الدفاع عن النفس، حتى وإن أدى ذلك إلى مقتل المخبر الراحل "محمود منصور محمود".

مع بداية الشهور الثلاثة التي تلت حبس "مصطفى" بسجن الاستئناف، قمت أول ما قمت بزيارة إدارة شؤون العاملين بشركة فودافون التي يعمل بها، محاولاً تبرير غيابه، والضغط عليهم لكي يوافقوا على اعطائه إجازة بدون راتب إلى حين الإفراج عنه بإذن الله...قابلت مديرته المباشرة التي حولتني إلى إدارة شؤون العاملين.

وهنـاك قابلـت "حنيـن"، والتـي ارتبكـت كثيـراً لمـا سـمعت منـي اسـم أخـي، وبحـس ضابـط المباحـث، شـعرت أن هنـاك مـا تخفيـه عنـي، لـذا ورغبـة منـي فـي فهـم الصـورة الكاملـة، جمعتنـي بهـا أكثـر مـن جلسـة، فهمـت فيهـا طبيعـة علاقـة "مصطفـى" بهـا، وحكيـت لـي كافـة التفاصيـل التـي قرأتهـا أنـت هنـا.

كان طبيعيـاً أن أعـود إلـى النقيـب "عمـرو" الـذي كان منوطـاً بـه التحقيـق مـع أخـي وقـت الحـادث، ولقـد لعبـت علـى وتـر وحيـد لا يمكننـي اللعـب علـى غيـره، هـو وتـر الزمالـة.

"عمـرو" كان شـاهداً علـى لحظـات قتـل "مصطفـى" معنويـاً التـي دفعتـه إلـى قتـل "محمـود" ماديـاً، فرجوتـه بـأن يكـون رحيمـاً بأخـي ومسـتقبله، خاصـة بعـد وفـاة أبـي المباغتـة، ويكفـي "مصطفـى" مـا رآه منهـم بالقسـم، ومـا يـراه حاليـاً فـي السـجن.. وقـد وعدنـي "عمـرو" بشـهامة متوقعـة بمحاولـة التدخـل لـدى أهـل القتيـل فتنازلهـم عـن القضيـة قـد يُحـدث بعـض الفـرق، كمـا وعدنـي بصياغـة كلماتـه مـرة أخـرى بتحقيقـات النيابـة لكـي يتـم إعـادة إرسـال ملـف القضيـة إلـى المحكمـة بعـد إعـادة صياغـة التوصيـف القانونـي للجريمـة لتصبـح قتـل ضـرب أفضـى إلـى مـوت بـدلاً مـن قتـل عمـد.

ثـم ذهبـت إلـى قسـم مدينـة نصـر ثـان، محـاولاً جمـع بعـض المعلومـات عمـا حـدث فـي هـذا اليـوم، مـن خـلال لقائـي بالمأمـور، وبعـض زمـلاء القتيـل ممـن حضـروا الواقعـة، كمـا أننـي وبمسـاعدة المأمـور التقيـت بعـض المسـاجين الذيـن سـاعدوني فـي تكويـن صـورة ولـو بسـيطة عـن القتيـل وشـخصيته، والتـي قـد تعضـد مـن موقـف "مصطفـى" بالقضية.

وبعـد أيـام، حَمَلنـي مصطفـى أمانـة الاعتـذار إلـى صديقتـه "شـيماء" فـكان أن التقينـا بالمعـادي، وبطبيعـة الحـال كانـت علاقتهـا بـ"مصطفـى" هـي محـور الجلسـة، حكيـت لهـا عـن حالتـه بالسـجن، فبكـت كثيـراً، وسـردت الكثيـر مـن التفاصيـل التـي جعلتنـي أحترمهـا وأحتـرم حبهـا لـه رغـم كل شـئ.

بعـد لقائـي بـ "شـيماء"، كان معـدل دهشـتي المتعلـق بـ"مصطفـى" وحياتـه قـد تضاعـف، فـكل مـا كنـت أراه مـن تصرفـات أضعهـا أنـا تحـت مظلـة الرعونـة والخـرق، كان لهـا مبررهـا دومـاً، مبررهـا الـذي لـم أفهمـه أنـا رغـم قربـي - نظريـاً- منـه كأخيـه الأكبـر، لـذا فقـد شـعرت بوطـأة مسـؤولية الاعتـذار لـه عـن طريـق جمعـي لحكايتـه وعرضهـا للعلـن بتلك الطريقـة، وقـررت أن أبـدأ مشـوار الاعتـذار هـذا مـن أقـرب الأماكـن إليـه (ميـت عقبـة).

فجمعتني جلسة سريعة بـ"مهدي" القهوجي، رسمت لي صورة كانت غائبة عني تماماً عن شهامة أخي، ثم جلست مع (الكابُو) لساعات طويلة عرفت فيها الكثير من الأسرار حول الحياة الموازية لأخي.. حياة (الأولتراس)، ولماذا كان يتصرف بهذا الشكل الحاد أحياناً.. الأرعن أحياناً، فسنه الصغيرة، وخبرته المحدودة نوعاً ما جعلت منه أكثر حساسية، وأكثر قابلية للإيمان بمثل تلك الأفكار التي أراها متطرفة نوعاً.

ولقد سعدت للغاية، بالفرصة التي حصل عليها "مصطفى" لكتابة تلك الأوراق، والتي زادت من قدرتي على فهمه وتفهمه، وبعد قراءتي لها أكثر من مرة، قررت أن أُعيد كتابتها وتنسيقها على جهاز كمبيوتر بلا زيادة أو نقصان، وأضفت عليها كافة المعلومات والتفاصيل والحكايات التي سمعتها من "حنين" و"شيماء" و"مهدي" وأهل "محمود" ورفاقه، لكي أقدم لمن يهمه الأمر صورة شبه متكاملة لطبيعة الحياة التي عاشها أخي، علّها تكون سبباً في رحمة الناس به وبكل رفاقه من مشجعين الأولتراس، عندما يخرج من سجنه بسلامة الله.

النقيب/ وليد أحمد سعد الدين

المعادي- القاهرة

أغسطس 2010

شكر وتقدير

أود أن أستأذن قارئ الرواية العزيز في أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والمودة لعدد من رفاق رحلة كتابتها التي بدأت عام 2010 وانتهت في يونيو 2015 .

على رأسهم الصديق العزيز /مهند حسن الذي أسعفتني ذاكرته الكروية كثيراً كثيراً.

والصديق الأقرب د./ وليد فوزي القارئ الأول لتلك الصفحات.

والصديق الكاتب الصحفي (أحمد الدريني) الذي عرفني بالأعزاء في دار (كتابي) للنشر الذين أشكرهم بدورهم على مجازفتهم بنشر مثل تلك الرواية في مثل ذلك التوقيت الحرج، بعد أن اعتذرت قبلهم أكثر من دار نشر عن نشرها.

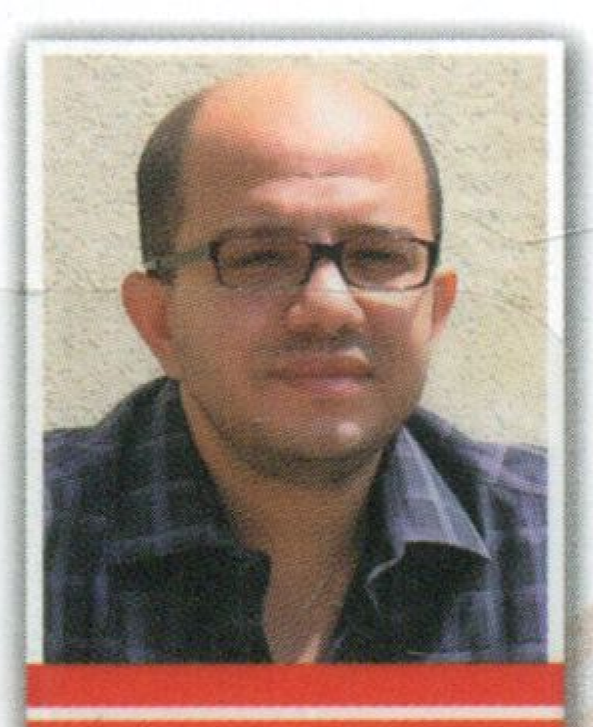
وكل الزملاء والأصدقاء اللذين دفعوني دفعاً بتشجيعهم المبالغ فيه لناديي الزمالك والأهلي، لكتابة تلك الرواية.

ولن يفوتني بالقطع أن أتوجه بالشكر وعميق المحبة لزوجتي ورفيقة دربي (صبا ياسين) على دعمها المستمر والمتواصل وقت إعادة كتابة الرواية من جديد، ولكل ما فعلته وما تفعله لأجل ثلاثتنا هي وأنا وابننا "شام".

أشرف أبو الخير

فى العقل الباطن هناك قائمة تضم أمورا شتى قيد الإنتظار، ليس للواحد سلطة عليها، لايقدر أن يحركها أو يقرب بعيدها. صدفة تلقى فى طريقك صديق قديم. نسمة هواء باردة نقية تساعدك فى الحصول على نفس عميق يخرج زفيره بالأتربة الرطبة القابعة فى صدرك.
نكتة جديدة لم تسمع ما يشبهها من قبل تجعلك تضحك حتى تتصلب فقرات رقبتك.
فنجان قهوة بتلقيمة لا يغلب فيها البن المر على التحويجة ولا تضيع التحويجة فيه مرارة البن.
حقيبة بها مليون جنيه يتركها أحدهم على باب شقتك، رحلة عمل ترغمك على قضاء ٤٥ يوما تتجول بين عدة دول لم تحلم يوما بزيارتها.
أو أن يفوز فريقك المفضل ببطولة كبيرة، وأعنى بفريقك المفضل الزمالك طبعا، وأن يكتب أحدهم رواية عن دراما تشجيع الزمالك، أن يكتبها أشرف أبو الخير مثلا.

حسنا.. تحقق السطر الأخير و صار ضروريا أن يشطب عليه الواحد ليخفف حمل قائمة الإنتظار، أمنيتان فى ضربة واحدة، شخص تحبه و تؤمن بطريقة تفكيره و دأبه واجتهاده، يضع يده على مادة ثرية للكتابة، فتشجيع الزمالك أكبر من كرة القدم والصفقات واستوديوهات التحليل، تشجيع الزمالك هو طريقة حياة، (الزملكة) فلسفة ما يعرفها جيدا من اختاروا تشجيع هذا الفريق، هو موقف من الحياة بتناقضاتها، بقوانينها المختلة، هو نظرة جريئة تعترض على تعريف القوة والشكل الكلاسيكى للبطل، الزملكاوى شخص يصلح لأن يكون بطلا لرواية، هو الذى تنطبق عليه مقولة الخواجة لوريانو(كل القصص العظيمة فى التاريخ تقوم على تفصيلة درامية واحدة فقط وهى أن البطل لم يستسلم أبدا... هذه رواية بطلها زملكاوى كتبها أشرف أبو الخير، على الأقل لدى الآن سببان للبدء فى قرائتها.



عمر طاهر



ISBN 978-977503865-4
9789775038654

كتابي